ديوان

بشار بن برد

شرح وتكميل

الأستاذ محمد الطاهر ابن عاشور

الجزء الرابع

Bibliotheca Alexandrina
01074472

مكتبة لسان العرب
أ. علاء الدين شوقي
رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس

لجنة التأليف والترجمة والنشر

ديوان
بشار بن برد

لناشره ومقدمه وشارحه ومكمله
حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ العلامة السيد

محمد الطاهر ابن عاشور

شيخ جامع الزيتونة الأعظم فى تونس

الجزء الرابع

ملحقات الديوان

راجعه وصححه

محمد شوقي أمين

المحرر الأول فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة

١٣٨٦ هـ – ١٩٦٦ م

القاهرة
مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

فهرس

الجزء الرابع من ديوان بشار

صفحة

المقـــدمة ١
قافية الهمزة ٦
قافية الباء ١٠
قافية التاء ٢٧
قافية الجيم ٣٠
قافية الحاء ٣١
قافية الدال ٣٤
قافية الذال ٤٧
قافية الراء ٤٨
قافية السين ٨٢
قافية الشين ٨٧
قافية الضاد ٨٩
قافية الطاء ٩٥
قافية العين ٩٨
قافية الفاء ١٠٧
قافية القاف ١١٠
قافية الكاف ١٢١
قافية اللام ١٢٦

صفحة

قافية الميم ١٥٦
قافية النون ١٩٣
قافية الهاء ٢٢٤
قافية الواو ٢٢٤
قافية الياء ٢٢٤
قافية الألف اللينة ٢٢٨

بسم الله الرحمن الرحيم

ملحقات ديوان بشار بن برد

مما جمع ورتب وعلق «محمد الطاهر ابن عاشور»

لما شرحت الجزء الموجود فريداً من ديوان بشار بن برد المنتهى إلى أثناء قافية الراء ، صحت عزيمتى على أن أجمع ما لدى من شعر بشار وما أجده من شعره فى مجموعات الأدب مما قد خلا عنه ذلك الجزء ، ضماً لشتاته ، ومسرة لهواته ، وأكثره مقاطيع قصيرة مما تناقلته رواة الأدب ، إذ كانت مما يتمثل به الأدباء فى منتديات الأدب من كل حدب ، فشأنُ القطع القصار أن يَغفل عنها رُواة الدواوين ، وتبقى سائرةً على ألسُنِ المتمثلين ، فتجمّع لى منه زهاء ألف بيت أكثرها صحيحُ النسبة إليه وبعضها مختلَف فى نسبته ، فأثبتُّه تبعاً لمن نَسَب ذلك إليه ولو شاذاً ، ووراء ذلك نقدُ الناقد ، ومصداق (عباراتُنا شتّى وحسنك وَاحِد) ، وعزوت كل قطعة إلى مأخذها ، وتوخيت أن أصِلَ القبيلة منها بفخذها ، إذ رتبت هذا الجمع على حروف المعجم بحسب القوافى ، وأثبت ما روى من المقاطيع متصلا معتمداً على أوفر الروايات فى اتصال أبياته ، وما أجده من الأبيات مفرداً غير موصول أعقب به مثيلَه فى البحر والقافية وحركتها عسى أن يكون تكملة لنظيره ، لكنى لا أجزم بكونه من جملة القطعة التى أعقِبَتْ به ، فإن الشاعر قد تكون له القصائد ذواتُ العَدد من بحر وقافية متماثلين ، ولا سيما بشار الثرىّ شعرُه . وإذا ذكَرتُ فى بعض القطع أنها زائدة على القصيدة التى

أولها كذا فإنى أعنى بذلك أنها مروية مع أبياتٍ ذُكرتْ فى الديوان ولكنه خلا عنها . وقد اجتنيت هذا الجنَى من أفنان الكتب الآتية :

الأغانى لأبى الفرج الأصبهانى فى الجزء ٣ والجزء ٦ والجزء ٧ والجزء ١٣ من النسخة المطبوعة ببولاق مصر سنة ١٢٨٥ . والجزء ٢١ طبع التقدم بمصر وإنما اعتمدت هذه النسخة دون النسخة المخطوطة فى مكتبتنا لشهرة هذه الطبعة .

ديوان الحَماسة لأبى تمام .

البيان والتبيين للجاحظ ، طبع المطبعة العلمية سنة ١٣١١ بمصر .

العقد الفريد لابن عبد ربه ، طبع بولاق سنة ١٢٩٣ .

خزانة الأدب لعبد القادر البغدادى ، طبع بولاق سنة ١٢٩٩ .

شرح العكبرى على ديوان المتنبى ، طبع البابى الحلبى بمصر سنة ١٣٥٥ .

المختار الذى اختاره أبو الطاهر التجيبى القيروانى المعروف بالبرق مما اختاره من مختار الخالديْن من شعر بشار ، وزاد على الخالديْن بعض ما لم يذكراه .

زهر الآداب للحصرى بطرة نسخة العقد الفريد ، طبع بولاق سنة ١٢٩٣ .

ديوان المعانى لأبى هلال العسكرى ، طبع مطبعة القدسى بمصر سنة ١٣٥٢ .

كتاب الصناعَتين لأبى هلال العسكرى ، طبع مطبعة محمود بك فى الآستانة سنة ١٣١٩ .

العمدة لابن رشيق القيروانى ، طبع أمين هندية بمصر سنة ١٣٤٤ .

لسان العرب لابن مكرم ، طبع بولاق .

الكامل لأبى العباس المبرد ، طبع الخيرية بمصر سنة ١٣٠٩ .

شرح التبريزى على ديوان الحماسة ، طبع بولاق بمصر سنة ١٢٩٦ .

نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، طبع الجوائب سنة ١٣٠٢ .

كتاب الزَّهْرة لمحمد بن داوود الأصفهانى ، طبع اليسوعيين فى بيروت سنة ١٣٥١ .

غرر الخصائص الواضحة ، طبع بولاق سنة ١٢٨٤ .

محاضرات الأدباء للراغب الأصفهانى ، طبع المطبعة الشرقية بمصر سنة ١٣٢٦ .

أمالى أبى على القالى ، طبع دار الكتب بمصر .

شرح الشريشى على مقامات الحريرى ، طبع بولاق سنة ١٣٠٠ .

الصبح المنبي عن حيثية المتنبي .

ثمار القلوب للثعالبي ، طبع مطبعة الظاهر بمصر سنة ١٣٢٦ .

الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلى الجرجانى .

الفصول لابن المعتز ، طبع الزركلى بمصر سنة ١٣٤٤ .

كتاب الحيوان للجاحظ ، طبع المطبعة الحميدية المصرية سنة ١٣٢٣ .

عيون الأخبار ، طبع دار الكتب .

كتاب الوشاء لمحمد بن إسحاق .

أمالى الشريف المرتضَى ، طبع السعادة بمصر سنة ١٣٢٥ .

نهاية الأرب للنويرى ، طبع دار الكتب بمصر من سنة ١٣٤٣ .

معجم البلدان لياقوت ، طبع مطبعة السعادة بالقاهرة طبعة أولى .

كتاب الكنايات للجرجانى .

معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، طبع دار الطباعة المصرية سنة ١٣٧٤ .

الطرائف واللطائف لأحمد المقدسى ، طبع حجر سنة ١٢٧٥ . وهو منتخب من كتابين لأبى منصور الثعالبى .

وفيات الأعيان لابن خلكان .

للوشح للمرزبانى ، طبع السلفية بمصر سنة ١٣٤٣ .
المستطرف ، طبع الميمنية بمصر سنة ١٣٠٨ .
كتاب ربيع الأبرار للزمخشرى ، مخطوط بالخزانة العاشورية بتونس .
روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ، مخطوط بالخزانة العاشورية .
نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى .
النزهة لحفيد وكيع بن خلف ، مخطوط بالخزانة العاشورية .
معجز أحمد ، وهو شرح أبى العلاء المعرى على ديوان أبى الطيب ، مخطوط بالخزانة العاشورية .
شرح أبى القاسم الأصفهانى على مشكل أبى الطيب ، مخطوط كذلك .
العباب شرح أبيات الآداب ، مخطوط كذلك .
شرح الصفدى على رسالة ابن زيدون ، مخطوط كذلك .
الوافى بالوفيات للصفدى ، مخطوط بخزانة جامع الزيتونة بتونس .
بهجة المجالس لابن عبد البر ، مخطوط .
أخبار أبى تمام للصولى ، طبع لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٣٥٦ .
شرح الواحدى على ديوان أبى الطيب ، مخطوط بالخزانة العاشورية .
كتاب الآداب لجعفر بن شمس الخلافة ، طبع مطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٤٩ .
كتاب الصداقة والصديق لأبى حيان التوحيدى ، طبع الجوائب .
أدب الدنيا والدين للماوردى ، طبع الجوائب .
ديوان الصبابة ، طبع حجر سنة ١٢٧٩ .
مجموعة أدبية عتيقة أظنها من جمع أبى القاسم الأصفهانى بخزانة جامع الزيتونة بتونس عدد ٤٠٦١ .

شرح الشريف الغرناطي على مقصورة حازم القرطاجني ، طبع السعادة بمصر سنة ١٣٤٤ .

كتاب الشعراء لابن قتيبة ، طبع الخانجي بمصر سنة ١٣٢٢ .

شرح الخفاجي على درة الغواص ، مخطوط .

شرح الجواليقي على أدب الكاتب ، طبع مكتبة القدسي سنة ١٩٥٠ .

الاقتضاب شرح البطليوسي على شواهد كتاب أدب الكتاب ، طبع بيروت .

دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، طبع المنار .

أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني ، طبع المنار .

حاشية الخفاجي على تفسير البيضاوي .

تفسير القرآن للقرطبي .

كتاب صحة العين للدكتور شاكر الخوري ، طبع الكاثوليكية في بيروت سنة ١٨٩٠ .

خاص الخاص للثعالبي ، مخطوط .

مجموعة المعاني ، مجهولة الجامع ، طبعت بمطبعة الجوائب سنة ١٣٠١ عن نسخة بمكتبة أسعد افندي .

كتاب اسمه الحماسة السنية للأستاذ محمد محمود الشنقيطي نزيل مصر ، طبع الموسوعات بمصر سنة ١٣١٩ .

شرح ابن أبي الحديد على نهج البلاغة ، طبع المطبعة اليمنية بمصر سنة ١٣٢٩ .

القسم الثاني من كتاب الذخيرة في أدباء الجزيرة لعلي بن بسام الشنتريني مخطوط بخزانة جامع الزيتونة بتونس عدد ٤٦٣٨ ثم طبع بعد .

تعريف القدماء بأبي العلاء ، طبع دار الكتب بالقاهرة سنة ١٣٦٣ في مجموعة آثار أبي العلاء ، السفر الأول .

قافيـــة الهمزة

* أنشد له فى العقد الفريد صفحة ٨٩ جزء ١ على أنه من أبيات القصيدة التى أولها : « حييا صاحبيّ أم العلاء » عقب قوله : ليس يعطيك للرجاء الخ وهو البيت الرابع من صفحة ١١١ من المطبوع :

لا ولا أن يقال شيمته الجو د ولكن طبائع الآباء(١)

---

(١) جمع بشار فى هذا البيت والبيت الذى هو فى الديوان فى صفحة ١١١ جزء ١ من المطبوع المزيد عليه هذا البيت ، دواعى العطاء ، فهى إما لطلب نفع المعطى وإما لدفع ضرعته وإما التفاخر والمباهاة وإما لمحبة إيصال النفع إلى الناس وإما لكون حب البذل سجية فى المعطى مفطوراً عليها لا تطاوعه نفسه على تركها .

فالثلاثة الأول ليست من المحامد لأنها بذل لأجل مقابل ينتفع به المعطى ، والرابع والخامس محمدتان لانبعاثهما عن خلق إرادة الخير اختياراً أو اضطراراً . أما الرابع فهو حسن شرعاً وعقلا . وأما الخامس فهو حسن لدلالته على حسن الطبع والفطرة وكثير منه محمود شرعاً . والرابع موجب للحمد ، والخامس موجب للمدح . فنفى عنه فى البيتين الدواعى الثلاثة غير الحميدة وأثبت له بحرف الاستدراك فى هذا البيت وكذلك حرف الاستدراك الذى فى البيت قبله الداعيين المحمودين لأن الالتذاذ بالعطاء يبعث على الإكثار منه ولأن كونه طبيعة الآباء يقتضى أنها راسخة فيه لأن الطبع ينتقل فى النسل ، والولد نسخة من أبيه ، وهذا يستدعى عدم الانكفاف عنه لأن ما بالطبع لا يتخلف . قال أبو الطيب :

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقل

وقد سلك بشار فى البيتين أسلوب الإطناب وهو ما يقتضيه مقام المديح .

وحرف لا الأول فى هذا البيت تأكيد للنفى بليس المذكور فى البيت قبله ، وهو :

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو ف ولكن يلذ طعم العطاء

وحرف لا الثانى فى هذا البيت أكد به النفى الذى فى قوله ولا الخوف المعطوف على المجرور الواقع علة لخبر ليس لأن علة المنفى منفية ، والغرض من تأييد النفى فى العامل وليس علته أن يكون كل من المذكورات مقترناً بحرف النفى لتحقيق المنفيات لدفع توهم أن المراد نفى المجموع وليفضى إلى تحقيق ما أثبته بالاستدراكين ، وهو استعمال عربى فصيح نعده من جيل الإطناب كقوله تعالى : « وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور » .

ولقد أبدع بشار فى هذا التفكيك إذ أثبت له بالاستدراك الأول أن العطاء يلذ لنفسه وأثبت له هنا أن العطاء سجية راسخة فيه .

* وأنشد له فى غرر الخصائص الواضحة صفحة ١٩ :[١]

وأُعْرِضُ عن مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا ... فأَتْرُكُهَا وفى بَطْنِى انْطِواءُ
فَلَا وأَبِيكَ ما فى العَيْشِ خَيْرٌ ... ولا الدنيا إِذَا ذَهَبَ الحَياءُ[٢]

وزاه فى باب الأدب من ديوان الحماسة بيتاً ثالثاً ولم يعزه :

يَعِيشُ المَرْءُ ما اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى العُودُ ما بَقِىَ اللِّحَاءُ[٣]

وزاد فى مجموعة المعانى :

إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيالى ... ولم تَسْتَحْيِ فاصْنَعْ مَا تَشَاءُ[٤]

* وأنشد له فى الفصول صفحة ١١ :

تَرْجِعُ النَّفْسُ إِذَا وَقَّرْتَهَا ... وشِفَاءُ الهَمِّ فِى خَمْرٍ ومَاءِ[٥]

---

(١) نسب البيتين الأولين صاحب الغرر إلى بشار وذكر أبو تمام فى باب الأدب من ديوان الحماسة الأبيات الثلاثة الأول ولم ينسبها ، وقال جامع مجموعة المعانى إنه وجدها فى مجموع شعر أبى تمام وكذلك نسبها الآمدى فى الموازنة إلى أبى تمام وذكر أنه أخذها من قول النظار بن هاشم الأسدى :

يعيش المرء ما استحيا ويبقى ... لباب العود ما بقى اللحاء
وما فى أن يعيش المرء خير ... إذا ما المرء زايله الحياء

وهذه الأبيات من بحر وقافية القصيدة الأولى من الديوان فيحتمل أنها سقطت منها لجامع الديوان ويحتمل أنها من قصيدة أخرى فى البحر والقافية مع الموافقة فى كثير من الألفاظ لبيتى بشار . ويجوز أن يكون ذلك ما جرى بين الشعراء مجرى الأمثال فتواردوا عليه مع تصرف فيه . وإن حرف العطف فى أول بيت يقتضى أن قبله كلاماً آخر .

(٢) الانطواء : ضمور البطن من الجوع وغيره ، والحياء : خلق يمنع صاحبه من الأفعال التى توجب معرة أو خساسة .

(٣) اللحاء بكسر اللام وبالمد : قشر أعواد الشجر .

(٤) عقد فى المصراع الثانى قول النبى ، صلى الله وسلم : إذا لم تستح فاصنع ما شئت .

(٥) وقرتها : سكنتها ورصنتها وهو مشتق من الوقار وهو الرصانة وهدو السمت ، وإنما يكون من سمة الخلق ولذلك كان غالباً على أخلاق الشيوخ لبرودة حرارة الشباب . وفى الحديث أن إبراهيم لما رأى الشيب فى شعره قال : ما هذا يا رب ! فأوحى الله إليه أنه وقار ، فقال : رب زدنى —

* وأنشد له فى المختار من مختار الخالديين صفحة ٤٤ :

تَجْرى على أحسابهم والعُودُ يَنْبُتُ فى لِحَائِه(١)

وأنشد له فى صفحة ٦٤ :

وغَلَا عليكَ طِلَابُهُ والدُّر يُترَك من غَلائِه
وإذَا تعرَّضَ فى الحُلِيِّ ثَنَى فؤادَكَ بانثنائِه(٢)

* وأنشد له فى ربيع الأبرار فى باب الصناعات :

كأنَّ قَرْقَرَةَ الإبْرِيقِ بينَهُمُ صَوْتُ المزَامِيرِ أو تَرْجِيعُ فَأْفَاءِ(٣)

= نه ؛ أى هو سبب وقار وباعثه . ومعنى ترجع النفس إذا وقرتها ترجع إلى الوقار بعد الاضطراب والجزع ، وهو معنى قول أبى ذؤيب :

والنفسُ راغبةٌ إذا رغَّبتَها وإذا تُرَدُّ إلى قليل تَقْنَعُ

وهذا بيت مفرد من قصيدة تلاشت يظهر أنها همزية ويوجد فى الديوان فى قافية الألف أبيات منها بيت مماثل لهذا فى أكثر ألفاظه . انظر ص ١٣٢ الجزء ١ .

(١) هذا البيت يتعين أن يكون من قصيدة غير مذكورة فى قافية الهمزة من الديوان فإما أن تكون تلفت ولم يبق إلا هذا البيت على ألسنة الرواة وإما أن يكون جامع الديوان قد وضعها فى قافية الهاء إن كانت فى قوافيها كلمات مختومة بالهاء ، وقد ذكر التجيبى فى شرحه على ما اختاره من مختار الخالديين مأخذ بشار لمعنى بيته هذا . انظر صفحة ٤٤ .

(٢) لعل هذين البيتين من جملة القصيدة التى منها البيت السابق . والطلاب بكسر الطاء مصدر طالب مثل المطالبة ، ولكنه غلب على طلب المغرمين بالهوى بصيغة الفعال مبالغة مثل المفاعلة . قال جميل :

فلو تركتْ عقلى معى ما طلبتُها وإن طِلَابِيهَا لما فاتَ من عقلى

وثنى : صرف ، يقال : ثنى وجوه الإبل عن الماء أى صرفها عنه . والانثناء أصله مشى الحية لأنها إذا مشت ينطوى بعضها على بعض ويماسه ، وشاع فى لغة شعراء الغرام إطلاقه على مشى المرأة المتمايلة المتبخترة لأنهم كثيراً ما يشبهون مشى المرأة بمشى الأيم أى الحية . قال البحترى :

لست أنساه باديا من قريب يتثنى تثنى الغصن غضا

ويقول المولدون تثنى الغصن إذا تحرك متمايلا ، قال بشار فى صفحة ١٧٤ جزء ١ :

وكأنها لما مشت أيْمٌ تأوَّد فى كثيب

وشاع إطلاق الانثناء على مشى المرأة المتمايلة ، فالمعنى صرف فؤادك إليه . والباء فى بانثنائه للمصاحبة أى تابعاً لانثنائه إليه . وتذكير الضمير على نية الشخص بقرينة قوله فى الحلى .

(٣) القرقرة صوت يحكى كلمة قر مكررة ، وهدير البعير قرقرة . والفأفاء الذى يتحبس=

• وعما هو منسوب إليه فى كتب كثيرة يذكر خياطاً اسمه عمرو(١) :

خَاطَ لى عَمْرو قَبَا   لَيْتَ عَيْنَيْهِ سَوَا

قُلْتُ شِعْرًا ليس يُدْرَى   أَمَدِيحٌ أَمْ هِجَا

• وأنشد له الأصفهانى فى شرح مشكل المتنبى مصراعا وهو :

• أقول وقد غَصّتْ جفونى بمائِها(٢) •

— عنه الكلام فى أثناء التكلم فينطق بفا آءمتتابعة من غير اختيار وتلك الحالة تسمى فأفأة وصاحبها فأفاء . وأما الذى ينحبس عنه الكلام فينطق بتا آءمتتابعة فهو التمتام ويقال تمتم وتمتع، قال الراجز :

ليس بفأفاء ولا تمتام   ولا كثيرِ الهُجْرِ فى الكلام

(١) قالوا كان خياط يقال له عمرو وكان أعور فخاط لبشار قَبَاءً فلما جاءه به قال له مازحا جئتك بقباء لا تدرى أقباء هو أم دُرّاج . فقال له بشار لأقولن فيك بيتاً لا يعلم أحد أدعوتُ لك أم عليك . وقد تقدم هذا فى مقدمة شرحى للديوان . وفى محاضرات الراغب صفحة ٤٣ نسبة البيت الأول لبعض الأعراب فيكون بشار إنما زاد البيت الثانى . والقباء بفتح القاف وبالمد ويجوز قصره وإنما قصره بشار للضرورة لأنه قابله بالهجاء وهو ممدود وقصره ضرورة . والقباء همزته منقلبة عن واو بناء على قول من قال هو اسم عربى سمى بذلك لانضمام ما بين الشُّقّتين وقيل هو فارسى معرب وقد جاء فى شعر عبد بنى الحَسْحَاس وهو جاهل مخضرم قوله :

فإن تضحَكِى منى فيارُبَّ ليلةٍ   تركتُك فيها كالقَبَاء المُفَرَّج

قال عياض فى المشارق: الأقبية ثياب ضيقة من ثياب العجم معلومة اهـ . ولم أقف على وصفه بأزيد من هذا ، وكان بتونس فى القرن الماضى لباس للرجال يسمى الكبابة يلبس على النصف الأعلى له جَيْبَان تُخْرَج منهما اليدان. وهو مشقوق من جهة الصدر ، وله أزرار يزرر بها شقه وأدركت أهل الجزائر يلبسون شيئاً مثل ذلك يسمونه بدعية وهو يحيط بالنصف الأعلى . وجاء فى حديث المسور بن مخرمة أن النبى صلى الله عليه وسلم أهْدِيَتْ إليه أقْبِيَةٌ من ديباج مزررة بالذهب فأعطى مخرمة واحداً منها . وقد يسمى القباء فَرُّوجاً بفتح الفاء وتشديد الراء إذا كان مُفَرَّجاً أى مشقوقاً من خلفه وكان أكثر ما يتخذ من الحرير . ولهذا جاء فى حديث عقبة بن عامر أن النبى أهدى له فروجُ حريرٍ فلبِسَه وصلى فيه ثم نزعه نزعاً شديداً كالكاره له وقال لا ينبغى هذا للمتقين . ولا يلزم أن يكون القَباء من ديباج فقد يكون من البود ويسمى اللّبَّادة . والدراج بضم الدال وتشديد الراء ، وكلاهما ضرب من اللباس .

(٢) استعمال الغص فى الامتلاء على طريقة المجاز المرسل .

قافيــة الباء[1]

• أنشد له فى زهر الآداب صفحة ٣٥٠ جزء ٢ :

أغـــدَدْتِ لى عَتَباً بحُبكم   يا عَبْـــدَ طال بحبكم عتْبى[2]
ولقـــد تعَرَّضَ لى خيالُـكم   فى القُرط والخَلْخَال والقُلْبِ[3]
فشرِبْتُ غيرَ مباشر حَرَجا   برُضابِ أشنَبَ باردٍ عذبِ[4]

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٨ جزء ٣ بيتاً من جملة القصيدة التى فى الورقة ٧٤ من جزء الديوان قبل قوله فيها : « وسام لمروان ومن دونه الشجا » :

رُوَيْدًا تَصَاهَلْ بالعراقِ جيادُنا   كأنَّك بالضحَّاك قد قام نادبه[5]

---

(١) هذه الأبيات من بحر وروى القصيدة التى فى صفحة ٢١٢ من الجزء ١ المطبوع من الديوان والظاهر أنها من قصيدة أخرى لأن البيت الثانى وإن كان شبيهاً بالبيت ١٦ من تلك القصيدة فهو يخالفه كثيراً .

(٢) الظاهر أن تاء أعددت مكسورة . والعتب بفتحتين الشدة فى المكروه . وقوله عتبى هو اللوم والموجدة أى طال لوم الناس على فى حبكم وبين العَتَب والعَتْب جناس تام .

(٣) القرط حلى يعلق فى الأذن . والخلخال بفتح الخاء حلى الساقين يلبس تحت الكمين من ذهب أو فضة . والقلب بضم القاف وسكون اللام السوار شبه الحية . وفى للظرفية المجازية وهى هنا بمعنى الملابسة ، جعل الحلى كالثوب .

(٤) قوله غير مباشر حرجاً اعتراض والحرج الإثم يعنى لأنه كان فى الحلم . والباء فى برضاب زائدة فى المفعول به لتأكيد لصوقه بالفعل كقول النابغة : لك الخير أن وارت بك الأرض واحداً . أى وارتك الأرض . والرضاب بضم الراء الريق وغلب فى استعمال الشعراء على ريق الحبيب وتقدم فى ٧ من ٥٤ . وأشنب صفة لمحذوف أى ثغر ، والأشنب شديد البريق صفة مأخوذة من الشنب بفتحتين وهو بياض الثغر ولمعانه .

(٥) الضحاك هو ابن قيس الشيبانى تقدم فى صفحة ٣٠٦ من الجزء ١ . وتصاهل أصله تتصاهل فحذفت إحدى التاءين تخفيفاً وجزم تصاهل فى جواب الطلب باسم الفعل وهو رويداً وهو جائز كقول ابن الإطنابة « مكانك تحمدى أو تستريحى » . والخطاب فى قوله « كأنك » لغير معين أو هو خطاب لنفسه على طريقة التجريد فيكون المعنى كأنى .

* وأنشد له فى الوساطة صفحة ٢٦٦ بيتا ولعله مما سقط من القصيدة التى يوجد فى أولها بياض فى جزء الديوان فى الورقة ٥١ وهو :

وللموت خير من حياة على أذى   يَضيمك فيــه صاحب وتراقبه

وأنشد له الراغب صفحة ٢٧١ جزء ١ ولعله مما سقط من ورقة ٥١ :

كأنَّ حُقوقَ النَّاس حينَ ضَمِنتَها   قذًى فى حقوق العين مِنى أُوارِبهُ(١)

وأنشد له الراغب صفحة ٢ جزء ٢ ولعله مما سقط أيضاً من ورقة ٥١ :

يخونك ذُو القربى سِراراً وربما   وفى لك عند الجهل من لا تُقارِبه

وأنشد له فى المختار صفحة ٧٤ أبياتاً لعلها مما سقط من ورقة ٥١ أيضاً :

وقد رَابَنى قَلْبٌ يكلفنى الصِّبا   وما كلُّ حين يتبع القلبَ صاحبُه(٢)

وما قادَنى فى الدهر إلا غَلَبَّتُهُ   وكيفَ يُلام المرء والحب غالبه(٣)

وأحْوَرَ محسودٍ على حسن وجهه   يزين السُّموطَ نحرُه وترائبُه(٤)

---

(١) القذى ما يصيب العين من دقيق الغبار وتقدم فى ١٠ من ١٩٢ . والموار بة المخاتلة والمداهنة وتقدم فى ٢٢ من ٠٧٢ . وحقوق الأول جمع حَق بفتح الحاء وهو مايكون به أحد أولى من غيره من منافع الدنيا . وحقوق الثانى جمع حُقَّة بضم الحاء وبهاء التأنيث ويقال بدون هاء وهو وعاء صغير مستدير من قطعتين سفل وعليا تتخذ من خشب أو عاج أو نحوه توضع فيه الأشياء النفيسة وتقدم فى ٥ من ٣٦ . شبه جفنى العين بحقة فى الاستدارة والانغلاق والانفتاح .

(٢) رابنى أوقعنى فى الريب وهو الشك فيما يدعونى إليه ، لذلك قال : وما كلُّ حين يتبع القلبَ صاحبه أى لا أتبعه اختياراً . وتقدم راب وأراب فى ٥ من ٧٢ .

(٣) كتب غلبته والظاهر أنه تحريف إذ لا يناسب معناه بقية البيت ، فالصواب غُلُبَّة بضم الغين واللام وتشديد الباء أى قهراً قال الراعى :

أخذوا المخاض من الفصيل غُلُبَّة   ظلما ويُكتب للأمير أفيــلا

(٤) السموط جمع سِمْط بكسر السين المهملة وسكون الميم وهو الخيط المنظم فيه الدر أو الخرز . والترائب أعالى الصدر ما بين الترقوتين والثديين وتقدم فى ٢١ من ١٩٠ . وجعل سدرها وترائبها تزين الحلى لتمام حسنها بحيث يكون الحلى عليها أحسن مما هو على غيرها .

* وأنشد له الوشاء بيتين من القصيدة التى فى الورقة ٧٢ قبل قوله فيها : « إذا كنت فى كل الذنوب معاتباً الخ » وهما[1] :

أخوكَ الذى لا يَنقُضُ الدهرُ عهدَه ‏ ‏ ولا عندَ صرفِ الدهرِ يَزْوَرُّ جانبه[2]
فخذ من أخيكَ العَفْوَ واغفر ذنوبه ‏ ‏ ولا تكُ فى كل الأمور تجانبه

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٧ جزء ٣ وفى زهر الآداب صفحة ١٤٠ جزء ١ الأبيات الثلاثة الأول :

يُزَهِّدُنى فى حب عبدةَ معشرٌ ‏ ‏ قلوبهم فيها مخالفةٌ قلبى[3]
فقلتُ دَعُوا قلبى وما اختار وارتضى ‏ ‏ فبالقلب لا بالعين يُبصِرُ ذو اللب[4]
وما تُبصِرُ العينان فى موضع الهوى ‏ ‏ ولا تَسْمَعُ الأذنان إلاَّ من القلب
وما الحسنُ إلا كلُّ حسن دعا الصِّبا ‏ ‏ وألَّفَ بين العِشق والعاشق الصب[5]

* وأنشد له فى مختار المختار صفحة ١١٨ بيتاً زائداً على القصيدة التى طالعها :

---

(١) ورأيت فى شرح الشريشى على المقامات البيت الأول منهما مع بيت آخر يثنيه منسوبين إلى المغيرة بن شعبة ولم يذكر البيت الثانى المذكور هنا . انظر صفحة ٢٧٢ جزء ١ طبع بولاق سنة ١٣٠٠ .

(٢) يزوَرُّ ينقبض ويميل إلى جانب آخر وتقدم فى ٢٠ من ٧٢ . جعله تمثيلا للإعراض عن الصديق قال الحريرى « وازوَرَّ المحبوب الأصفر » .

(٣) يظهر أن المعشر الذين زهدوه فى حب عبدة قد وصفوها عنده بقبح الوجه وأنها ليس لها من المحاسن ما يحبب فيها وعرضوا له بأنه كيف يحبها ولم يرها فلذلك أخذ فى مجادلتهم على شيئين فى حجة واحدة وهى أن الحب تعلق قلبى وألفة روحانية . والمعشر الجماعة الكثيرون ، يعلون بالعشرات ، وهذا كقول أبى الطيب :

القلب أعلم يا عذول بدائه ‏ ‏ وأحق منكَ بجفنه وبمائه

(٤) فى رواية : ذو الحب .

(٥) العشق فى هذا البيت بمعنى المعشوق كالحِب بكسر الحاء بمعنى المحبوب.

« خليلى قوما فاعذرا أو تعتبا » المذكورة فى ورقة ٥٢ من جزء الديوان عقب البيت : « حطبت على حبل الزمان الخ » وهو :

لعَمْرى لقد غالبتُ نفسى على الهوى ... لتَسْلَى فكانت شهوةُ النفس أغلبا(١)

* وأنشد له الجاحظ فى البيان جزء ١ صفحة ٣٧ فى مدحِ واصل بن عطاء(٢) :

تكلّفوا القولَ والأقوام قد حفلوا ... وحَبَّروا خُطَباً ناهيكَ من خُطَبِ(٣)

---

(١) مضارع سلّى مفتوح العين مثل أبى يأبى وهو أحد أفعال عشرة . [وسيأتى ذلك فى شرح بيت من بعد] .

(٢) هو واصل بن عطاء الغزّال بتشديد الزاى البصرى إمام المعتزلة . قال فى الأغانى ص ٤٠ كان بشار صديقاً لأبى حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين ، أى بشار ، بالرجعة ويكفر الأمة ، وذكر بشار خطبة واصل التى خطبها فنزع منها كلها حرف الراء وكانت على البديهة وهى أطول من خطبتى خالد بن صفوان وشبيب بن شيبه اهـ . وذكر الجاحظ أن هذه الخطبة كانت فى مجلس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز أمير العراق وأن واصلا كان يلثغ فى حرف الراء فلذلك تجنبه فى كلامه لسعة مقدرته وعلمه باللغة ، وهذه الخطبة ذكرها بشار فى بيتين يأتيان فى حرف الراء من هذه الملحقات .

(٣) قوله « ناهيك من خطب » ناهيك كلمة استعملت فى الكلام استعمال أسماء الأفعال فتفيد معنى حسبك أى كافيك والتقدير ناهيك عن غيره فى هذا الغرض كقول الحريرى فى المقامة ٢ :

نفسى الفداء لأغر راق مبسمه ... وزانه شنب ناهيك من شنب

وهى مشتقة من النهى وهو المنع والصرف عن الشيء . قال الجوهرى أى إنه بجده وغنائه ينهاك عن تطلب غيره اهـ . وهى تأتى على ثلاثة أنحاء فيقال أيضاً نَهْيُكَ على صيغة المصدر ، ويقال نَهاكَ على صيغة الماضى ، كذا قال الجوهرى وأنشد للاستعمال الأخير بيتاً غير معزو :

هو الشيخ الذى حُدِّثْتَ عنه ... نَهاكَ الشيخُ مكرُمةً وفَخْرا

ولم يأت بشاهد للاستعمال الثانى . وأكثر ورودها فى الكلام هو كونها على صيغة اسم الفاعل كما فى بيت بشار ، والأكثر فى استعمالها حينئذ أن يعاملوها معاملة أسماء الأفعال فتلازم حالة الأفراد والتذكير كما تلازم حسبُك تلك الحالة . ولك أن تقول عاملوها معاملة المثل ولذلك يسمع فتح يائها عند وقوعها إثر منصوب فبشار لم يؤنثها مع أنها جرت على موصوف هو جمع مؤنث وهو لم ينصبها مع أنها جرت على منصوب وناهيك به حجة فى الفصاحة . وقد يلاحظون أصلها الأصيل فيعاملونها معاملة اسم الفاعل فتَلحقها علامات التأنيث والتثنية والجمع ولعل هذا هو مراد الجوهرى بقوله «وهذه امرأة ناهيتُك من امرأة تُذكر ويؤنث ويثنى ويجمع لأنه اسم فاعل » هكذا زعم الجوهرى ولم يأت له بشاهد ولعله أجراه على مجرد القياس فاطلب شاهدا عليه . ولو صح كلام الجوهرى على إطلاقه لكانت

قام مرتجلا تغلى بداهتـــه[1] كمِرْجَل القَيْنِ لما حُفَّ باللّهَب

= بشار قد لحن فى هذا البيت وذلك لا يظن به فى الاستعمال العربى الشعرى ، ويظهر لى أنهم اعتبروا ناهيك خبراً لمبتدأ محذوف أو نعتا مقطوعاً فتكون الجملة الكائنة هى فيها مستأنفة ولذلك لم يسمع ظهور الفتحة على يائها فى حالة جريها على منصوب كما فى بيت بشار . وإدخالهم الواو عليها فى بعض المواقع كما فى بيت الحريرى فى المقامة الثامنة المذكور [من بعد] ، وقوله فى المقامة التاسعة والأربعين « وناهيك غصة » بمرارة الفطام » دليل على أنهم اعتبروها جملة مستأنفة فإن تلك الواو واو الاستئناف لا محالة فأما إذا قالوا نهيك على صيغة المصدر فإنها تلزم حالة واحدة لا محالة لأن المصدر يلزم حالة واحدة فلا يطابق موصوفه . ويبقى النظر فى إجراء أحكام الإعراب على آخر الكلمة من ضمة وفتحة وكسرة والظاهر أنه يلزم الرفع على الابتداء أو القطع كما ذكرناه آنفاً وإذا قالوا نهاك على صيغة الماضى فالظاهر أنهم يأتون للفعل بفاعل ظاهر كما فى بيت الصحاح أو ضمير مبهم تفسيره ما يأتى بعده من تمييز أو مجرور بمن ، ويكثر أن يؤتى بعدها بتمييز منصوب كما فى بيت الصحاح وبيت الحريرى فى المقامة الثامنة :

واعتاق ميلى رهناً لديه ونا هيكَ بها سُبَّـــــةً تَزَوَّدَها

أو مجرور بمن كما فى بيت الحريرى فى المقامة الثانية وبيت بشار هذا ، ويكون ذلك من قبيل الإبهام ثم التفصيل ليكون السامع أوعى له . وقد يجرّون فاعلها بالباء فيقولون ناهيك به . ونَهْيُكَ به كما يقولون وحسبك به وذلك كما فى بيت الحريرى المذكور آنفاً فتلك الباء زائدة كما فى قوله تعالى (وكفى بالله شهيداً) . وهذا التركيب يأتى للدلالة على أن المتحدث عنه بلغ الغاية فى الغرض المسوق له الكلام فى المحامد كما فى بيت الصحاح وبيت بشار وبيت الحريرى فى المقامة الثانية ، أو فى المساوى كما فى بيت الحريرى فى المقامة الثامنة المذكورة آنفاً . واعلم أنها لا تخلو من اقتران بضمير المخاطب المفرد كما فى بيت بشار وبيتى الحريرى ولم أقف على كون الضمير إلا مفرداً .

وقد أطلت فى بيان هذه الكلمة لقلة من عُنى بتحقيق أحوالها واستقراء موارد استعمالها .

(١) الارتجال ابتداء الكلام فى شعر أو خطبة من غير تهيئة وكأنه مشتق من الرَّجْل كما يقال ترجل للحرب بأن شبه الإقدام على الكلام فى المجامع بدون تهيئة بإقدام الشجاع على قتال الأعداء وهو راجل غير راكب ، وكان القتال على الأرجل أشد القتال لأن المتقاتلين يكونان مقتربين وجهاً لوجه وذلك يكون بالسيوف ، أما قتال الفرسان فهو بالرماح ، والقتال بالسيف أشد وأدل على الشجاعة قال ابن زيابة :

الرمحُ لا أملأ كفى به واللِّبْد لا أتبع تَزَوَالَهُ

وقال النابغة يصف الخالين :

لَهُنَّ عليهم عادة قد عرفنَهـا إذا عُرِّضَ الخَطِّيُّ فوق الكواثب

على عارفات للطعان عَـــوابس بِهِنَّ كلوم بين دَامٍ وجَالِبِ

إذا استنزلوا عنهن للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب =

وجانَبَ الراءَ لم يَشْعُرْ به أحَدٌ قبلَ التصفُّحِ والإغراقِ فى الطلَبِ (١)

* وأنشد له فى البيان صفحة ١٥٣ جزء ٣ :

وإذا عَرِيتَ فلا تكن جَشِمًا تسمو لغَثِّ الكسب تَكْسِبُهُ (٢)

ـ فهم يتساقَوْنَ المنيـــةَ بينهم بأيديهم بيض رقاق المضارب

ومعنى استنزلوا طلب منهم النزول وكانوا يتداعون فى الحرب « نَزَالِ » قال ربيعة بن مقروم الضبى :

فدعوا نَزالِ فكنت أولَ نازلٍ وعلامَ أركبُه إذا لم أنزِلِ

ويسمى القتال على الأرجل منازلة لأنهم ينزلون عن خيلهم ويسمى مجالدة ومضاربة قال زهير :

ولأنْتَ أجرأ من أسامةَ إذْ دُعِيَتْ نَزَالِ ولُجَّ فى الذُّعْر

والغليان اضطراب الهواء الكامن فى جسم مائع إذا اشتدت عليه حرارة النار . وهو تمثيل هنا لإظهار قوة البداهة إظهاراً سريعاً شديداً . والبداهة أول ظهور الشىء، وغلبت فى أول الرأى وإصابته دون طول تأمل ، وهو معنى قوله فى البيت الثالث قبل التصفح . والمِرْجَلُ القِدْرُ من النحاس أو الحجر . والقين الحداد الذى يصنع الشىء من الحديد قال المعرى : وداود قَيْنُ السابغات أذالها

فأراد كرجل صنعه قين كما يقال ثوب البزاز أى كرجل من نحاس وهو أشد غليانا وأقوى صوتا من مرجل الحجر ودل على ذلك قوله لما حُفَّ بالهب أى حفه لهب النار أى أحاط به من جميع جوانبه ، وغليان المرجل تمثيل للاحتداد والغضب كقول ربيعة بن مقروم :

وألَدَّ ذى حَنَقٍ علىَّ كأنما تغلِى عداوة صدره فى مِرْجَل

وفى بعض دواوين الأدب : تلى بداهته وهو تحريف .

(١) التصفح التأمل واصله تقليب الصفحة وهى وجه الصحيفة للتأمل وقد يروى التفصح بتقديم الفاء على الصاد وهو تحريف كتب فى الطبعة الأولى من البيان .

(٢) كتب فى الطبعة الأولى من البيان بالآستانة غَرِيت فهو بمعنى افتقرت أشد الفقر شبه بالعريان قال جابر بن تغلب :

كأنَّ الفتَى لم يَعْرَ يوما إذا اكتسى ولم يك صعلوكا إذا ما تمولا

ورواه فى الطبعة الثانية الرحمانية أغَرْتَ أى طلبت كسباً أطلق عليه الإغارة لأنها وسيلة الكسب عند العرب فى الجاهلية . والجشم الموصوف بالجشم . وهو شدة الحرص على الأكل وهو هنا استعارة للحرص على الكسب . والغث حقيقته الهزيل وضده السمين ، قالت إحدى نساء أم زرع « زوجى لحم جمل غث » واستعاره بشار للدنى المكروه وتسمو أصله تعتلى وأطلقه هنا على سرعة السعى ، قال امرؤ القيس سموت إليها بعد ما نام أهلها .

* وأنشد له فى كتاب الحيوان صفحة ٨٦ جزء ٤ :

تَزِلُّ القَوافى عن لِسانِى كأنَّها ... حُمَاتُ الأفاعى ريقُهن (تَصَبُّبُ)[١]
فكم من أخٍ قد كان يأمُل نفعَكم ... شُجاعٌ له نابٌ حَديدٌ ومِخْلَبُ[٢]
أخٌ لو شكَرْتُم فَضْلَه وعَضَضْتُمْ ... رؤوسَ الأفاعى عَضَّ لا يتَهَيَّبُ

* وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ٨٦ جزء ١ وابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغة صفحة ١٤٤ جزء ٤[٣] :

تأبَى خَلائق خالدٍ وفَعالُه ... إلَّا تجنُّبَ كلِّ أمرٍ عائبِ[٤]
فإذا أتيْتَ الباب وقتَ غَدائه ... أذِنَ الغَداء برغم أنفِ الحَاجِبِ[٥]

---

(١) حُمات الأفاعى جمع حمة بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم المفتوحة وهى إبرة السم التى فى فم الأفعى ، فيكتب حمات بتاء مفتوحة لأنه جمع بألف وتاء . وكتب فى نسخة كتاب الحيوان ريقهن قضاب ولا يستقيم مع قافية البيتين بعده ولا معنى له فهو تحريف ، ولعل صوابه تَصَبُّبُ مصدر تصبَّبَ بمعنى انصب أخبر بالمصدر للمبالغة ، أى ريقهن يَصُبُّ صَبا لكثرته ، ويقال صبت الحية على فلان إذا ارتفعت فانصبت عليه من فوق ، فلعله أراده بشار فيكون على حذف مضاف أى ريقهن ريق تصبب والإضافة لأدنى ملابسة .

(٢) الشجاع بضم الشين وتخفيف الجيم الرجل الموصوف بالشجاعة وهى ثبات القلب عند عروض الأمور المخيفة . وقوله : له ناب حديد ومخلب استعارة مكنية ، شبهه فتخيل له نابا ومخلبا ولك أن تجعل الناب والمخلب مستعارين للشكة من سيف ورمح ، قال أبو فراس :

فلما اشتدتْ الميجاء كُنا ... أشدَّ مخالبا وأحـــــد نابا

ومعنى البيت وصف من يخاطبهم بأنهم لا يحسنون إلى أصدقائهم فلذلك لايجدونهم عند حوادث الدهر كما دل عليه البيت الثالث .

(٣) ونسبهما فى الأغانى إلى عمارة الحطى انظر الجزء ٢ صفحة ١٨٧ طبع بولاق .

(٤) الظاهر أنه يريد خالداً بن برمك أمير خراسان للمهدى أو أنه يريد خالداً بن جبلة ابن عبد الرحمن الباهلى كما تقدم فى شرح الأبيات التى فى ورقة ٩٥ من الديوان :

أخالدُ لم أخبِط عليك بنعمة ... سوى أننى عاف وأنت جواد

وذكر الحاجب هنا يعين أن يكون الممدوح خالداً بن برمك .

[فى طراز المجالس : ٩٦ : يمدح خالد بن يزيد]

(٥) أسند للغداء إذنا كناية عن شدة كرمه وأنه لا يرد أحداً أتاه وقت الغداء ويأمر الحجاب —

* وأنشد له ابن المعتز فى كتاب الفصول (١) :

فَبِتْنَا كأنَّا لو تُرَاقُ زجاجَـــةٌ من المــاء فيما بيننا لم تَسَرَّبِ

* وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ٢٨ جزء ٢ :

ورضِيتُ من طول العناء بيأسِهِ واليأسُ أيسر من عِدَاتِ الـكاذب

* وأنشد له فى الأغانى جزء ٣ بيتاً من جملة القصيدة التى أولها « أجارتنا لا تجزعى وأنيبى » المذكورة فى ورقة ٥٦ من الديوان بعد قوله « وكان كريحان العروس الخ » :

أُصيبَ بُنَيَّ حينَ أَوْرَقَ غُصْنُه وألقى علىَّ الهمَّ كلُّ قريب

— بأن لا يردوا أحدا عنه . والرغم مثلث الراء ورغم الأنف تلويثه بالرغام بفتح الراء وفعله رغم بكسر الغين وفتحها وهو التراب كناية عن الغلب والإلقاء على الأرض مكبوباً على وجهه ويكنى به عن الذل والأشهر فى مصدره بهذا المعنى ضم الراء .

(١) هذا البيت نسبه القالى فى أماليه والحصرى فى زهر الآداب صفحة ٢٢ جزء ٢ إلى على بن الجهم وأنه أخذه من قول بشار (يأتى فى حرف الراء من الملحقات) :

فبتنا معاً لا يَخْلُصُ المـاء بيننا إلى الصبح دونى حاجب وستورِ

وذكر الصفدى فى الوافى بالوفيات فى ترجمة محمد بن محمد بن عروس الشيرازى صاحب على بن الجهم أن عليا بن الجهم أنشده لنفسه ، قلت — وهو فى محاضرات الراغب منسوب إليه :

سقى الله ليلا ضمنا بعــد هجعة وأدنى فؤادى من فؤاد معذب

فبتنا جميعاً لو تُراق زجاجــةٌ من الخمر فيما بيننا لم تَسَرَّب

والأصح ما قاله ابن المعتز . وقوله كأنّا لو تراق زجاجة الخ جملة الشرط هى خبر كأن أى كأننا مفروض فينا هذا الشرط وتخصيص كون الزجاجة من الخمر مقصود به تحسين المشبه به ليفيد تحسين الحالة المشبهة كقول كعب بن زهير :

تَجْلو عَوَارِضَ ذى ظَلْمٍ إذا ابتسمت كأنه مُنْهَـلٌ بالراح معـــلول

شُجَّتْ بذى شَبَمٍ من ماء مَحْنِيَةٍ صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول

تنفى الرياحُ القذى عنه وأفْرَطَهُ من صَوب ساريةٍ بِيضٌ يَعَاليلُ

فان ما فى البيتين الثانى والثالث من أبيات كعب لا أثر له فى وجه الشبه ولا فائدة له إلا تحسين المشبه به عدا قوله تنفى الرياح القذى عنه .

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٠ جزء ٦ :

يا عَبْدَ إنى قد ظَلَمْتُ وإننى   مُبْـدٍ مقالة رَاغبٍ أوْ راهبِ [1]
وأتوب مما تَكْرَهينَ لتَقْبَلى   واللهُ يَقْبَلُ حُسْنَ فِعلِ التّائب

* وأنشد له :

يا عَبْـــدَ بالله فرِّجى كُرَبِى   قَـــد بَرَانِى وشَفَّنِى نَصَبِى [2]
وضِقْتُ ذرعا بما كُلِفْتُ به   من حبكم والمُحِبُّ فى تَعَبِ
ففرِّجى كُربة شَجِيتُ بهـــا   وحَرَّ حُزن فى الصدر كاللَّهَبِ [3]

---

(١) يجوز أن يكون ظلمت بفتح الظاء بالبناء للفاعل على معنى الاعتراف بأنه مذنب فيما أتاه من شىء تكرهه من جراء الغيرة أى على التسليم لها ومجاراتها فى دعواها ويكون تمام البيتين على هذا أو يجوز أن يكون بضم الظاء بالبناء للمفعول فيكون الكلام شكاية من ظلمها إياه ، وهذا عرف أهل الغرام ، ويكون بقية البيتين زيادة فى التظلم والتشكى أى أنى مظلوم ومعتذر وهذا كقوله الآتى :

عبد إنى قد اعترفت بذنبى   فاغفرى واعدلى خَطَانِى بحبى

وهذا من معاملات المتحابين قال الشاعر :

إنى له عن دمى المسفوك معتذر   أقول حَمَّلتـــه فى سفكه تعبا

وقال الآخر :

تذلل لمن تهواه وارضَ بحكمه   وإن كنتَ مظلوماً فقل أنا ظالم
فإنك إن لم تغفر الذنب فى الهوى   تفارقُ من تهوى وأنفُك راغم

(٢) قوله قد برانى ، البَرْىُ نحت العود استعاره بشار لتصييره نحيلا هزيلا كما يصير العود بالبرى دقيقاً . ومعنى شفنى أمرضنى جسداً وعقلا . والنصب التعب أراد به تعب المحبة .

(٣) يقال شجى بعظم أو عود إذا اعترض فى حلقه الشَّجَا بالقصر وهو العود أو العظم الذى يعترض فى الحلق فلا يستطاع بلعه ولا قذفه إلا بعلاج فهو شج بوزن فرح وأصله شجى بدون تشديد فيقال فى حال الرفع والجر شج بحذف الحركة للثقل وحذف الياء لا لتقائها ساكنة مع سكون التنوين ، ويقال فى حال النصب رأيت امرءاً شجيا . شبه بشار كربة محبته بعود أو عظم فى حلقه وحذف المشبه به ورمز إليه بما هو من مرادفاته وهو فعل شجيت . وأما قول المثل : ويل الشجى من الخَلِى فهو بتشديد الياء فى الشجى لأنه فعيل بمعنى مفعول من شجاه الهم يشجوه إذا أحزنه أى أن الخلى عن المصائب لا يعذر المصاب فلا يزال يلومه فذلك معنى الويل له .

ولا تَظُنِّى ما أشتكِى لَعِبًا   هيهاتَ قد جَلَّ ذا عن اللَّعِب

• وأنشد له فيه . ولعلها هى صدر الأبيات التى أولها « ومريضة مرض الهوى » فى صفحة ١٧٣ من الجزء الأول من الديوان :

يا عبد حَىِّ عن قريبْ   وتأمَّلِى عينَ الرقيبْ

وارعَىْ ودادِى غائبًا[1]   فلقد رَعَيْتُكِ فى المغيب

أشكو إليكِ وإنما   يشكو المحب إلى الحبيب

غَرِضًا إليك من الهوى   غرَض المريض إلى الطبيب[2]

• وأنشد له :

يا عبدَ جَلَّ كروبى   وأسْنِى وأنينى

فقد تطاول همِّى   وزفرتى ونحيبى

• وأنشد له الشريشى فى شرح المقامات صفحة ٢٧٢ جزء ١ بيتين هما[3] :

تَوَدُّ عدوى ثم تزعُم أننى   صديقُك إن الرأى عنك لَعازِبُ

وليس أخى من وَدَّنى رأىَ عَيْنِه   ولكنْ أخى من وَدَّنِى وهو غائب

---

(١) غائباً حال من الياء فى ودادى وهى مضاف إليه والمضاف هنا مثل جزء من المضاف إليه كقوله تعالى : أن اتبع ملة ابراهيم حنيفاً .

(٢) غرضا بفتح الغين وكسر الراء صفة من غرض كفرح لواشتاق ، يقال غرض إليه قال الكلابى :

فمن يك لم يَغرَضْ فإنى وناقتى   بحجر إلى أهل الحِمى غَرِضَان

(٣) نسب هذين البيتين ابن عبد البر فى بهجة المجالس إلى العتَّابى مع تغيير يسير فى المصراع الثانى من البيت الثانى .

وذكر البيتين صاحب العباب فى شرح أبيات الآداب ولم ينسبهما وزاد عليهما بيتاً بينهما وهو :

عَدُوِّى الذى آخَى عَدُوى ومن يَكُن صديقَ صديق فهو لى الدهرَ صاحبُ

وذكر البيتين الأولين أبو حيان التوحيدى فى كتاب الصداقة صفحة ٢٢ إلا أنه جعلهما على القافية المجرورة ، فالمصراع الأول : ليس الثوكُ عنك بعازبِ . وكسر باء المصراع الثانى على السناد ، وزاد بيتين وهما :

ومَنْ مالُه مالِى إذا كنتُ مُعْدِما ومالى له إن عَضّ دهرٌ بِغَارِبِ
فما أنْتَ إلا كيفَ أنْتَ ومَرْحَبًا وبالبِيضِ رَوّاغٌ كروْغِ الثعالبِ

ولم ينسبها إلى بشار ولا غيره ، وذكر فى كتاب النزهة فى طبقات الإخوان[1] ثلاثة أبيات أحدها البيت الثانى من للذين أنشدهما الشريشى والبيتُ الرابع الذى أنشده أبو حيان ، وزاد بيتاً آخر جعله بعد البيت الثانى منها أنشده الشريشى وهو :

فلا تَحْمَدَنْ عند الرخاء مُؤاخيًا فقد يُذكَر الإخوان عندَ النوائبِ

فحصل من مجموع هذه الروايات ستة أبيات متفق على أن بعضها متصل ببعض ، وإذ قد نسب الشريشى اثنين منها إلى بشار وسكت صاحب العباب وأبو حيان وصاحب كتاب النزهة عن نسبة البقية فهى لاحقة بنسبة بيتى

(١) النزهة كتاب فى طبقات الإخوان لحفيد وكيع بن خلف الذى كنى نفسه فى أثناء الكتاب ورقة ١٣ بأبى محمد ولم أقف على اسمه وغلب على ظنى أن اسمه على بن عيسى ولم أقف على سنة وفاته ولكنه يروى عن جده وكيع بن خلف بواسطة واحدة فهو من أهل أواخر القرن الرابع أو أوائل الخامس . وهذا الكتاب لى نسخة منه مخطوطة عتيقة وأحسب أنها وحيدة فى العالم .

الشريشي ، ونسب ابن عبد البر وابن قتيبة في عيون الأخبار البيتين الأولين إلى العتابي . ونرى أنها على قافية الباء المكسورة وأن تؤلف هكذا وأن يجمع بين رواياتها :

تَود عـــدوى ثم تزعم أننى   صديقُك ليس النُوكُ عنك بعَازِبِ (١)

عدوى الذى آخَى عدوى ومن يكن   صديقَ صديق فهو لى الدهرَ صاحبى

وليس أخى من ودَّنى رأْىَ عينه   ولــكنْ أخى من ودَّنى فى المصائب (٢)

وَمن مالُه مالى إذا كنت مُعْدِما   ومالِى له إنْ عَضَّ دَهْرٌ بِغَارِب (٣)

فلا تَحْمَدَنْ عند الرخاء مُؤَاخيًا   فقد يُذكر الإخوانُ عند النوائب

فما أنتَ إلا كيف أنت ومرحبا   وبالبـــذل رَوَّاغ كروغ الثعالب (٤)

---

(١) النوك بضم النون وتفتح الحماقة وهو اسم مصدر وفعله كفرح ومصدره النوك بفتحتين فهو أنوك . والعازب البعيد وهو كناية عن كونه أنوك .

(٢) انتصب رأى عينه على النيابة عن ظرف الزمان والتقدير حين رأى عينه . والرأى مصدر رأى وإضافته إلى عينه لئلا يتوهم أنه من الرأى بمعنى العقل قال تعالى: ترونهم مثليهم رأى العين .

(٣) العض الكدم والغارب رقبة الدابة والباء لتأكيد لصوق فعل عض لمفعوله كقوله تعالى : وامسحوا برءوسكم ، وهو تمثيل حاله وحال مصائب الدهر بحال دابتين تعض احداها الأخرى فى غاربها وهو موضع رقيق ، وبنى التمثيل على مكنيتين وعض وغارب تخييلان .

(٤) حصر حال المخاطب فى هاتين الكلمتين وأراد حكاية اللفظ كقول الآخر :

كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما   يَغرِس الود فى فؤاد الكريم

وهو قصر موصوف على صفة بتقدير قائل أى ما أنت إلا قائل هذا الكلام دون إسعاف وعمل بحقوق الصحبة فهو قصر إضافى . وأشنع ذما من هذا قول الآخر :

يا من جفانى وملا   نسيتَ أهلاً وسهلا

وغاب مَرْحَبٌ لما   رأيتَ مالىَ قلا

إنى رأيتُـــك فيا   فعلتَ تحكِى القرلا

والبيض بكسر الباء جمع أبيض أراد الدراهم . [فى رواية أبى حيان : وبالبيض رواغ كروغ الثعالب] .

* وأنشد له الشريشي أيضاً :

عَبْـدَ إني قد اعترفتُ بذنبي فاغْفرى واعْدِلِي خَطَائِي بحُبِّي (١)
عبدَ لا صبر لى ولستُ فَمَهْلاً قَائِلاً قد عَتَبْتِ فى غير عَتْبِ (٢)
ولقد قلتُ حينَ أنْصَبَنِي الحُبـــبُ فأبْلَى جسمى وعذب قلبى
ربِّ لا صبرَ لى على الهجْرِ حسبى فَأَقِلْنِي حَسْبِي لكَ الحَمْدُ حسبى (٣)

* وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ٤٧ جزء ٢ :

طرقَتنى صَبًا فحركت البـا بَ هُدُوًّا فارتَعتُ منه ارتيابا (٤)
فكأنى سَمِعْتُ حِسَّ حَبِيبٍ نَقَرَ الباب نَقْرَةً ثم غابا

---

(١) الخطاء بفتح الخاء ممدوداً لغة فى الخطأ وهو أن يفعل غير صواب من غير قصد إليه . ومعنى اعدلى اجعليه عدلا أى عوضاً قال تعالى : ولا يؤخذ منها عدل ، الباء للتعويض . وفى معنى هذا المصراع بيت المعتمد بن عباد ولى عهد إشبيلية يخاطب أباه المعتضد ملك إشبيلية فى مدة ملوك الطوائف :

دعْ زلتى لبُنُوَّتى واغفر فإن الله غافر

(٢) فمهلا : اعتراض بين اسم ليس وخبرها ، وكان حقه التأخير لاقترانه بفاء الفصيحة فقدمه للضرورة كقوله فيما تقدم :

كقائلة إن الحمار فنحه عن القت أهل السمسم المتهذب

وقوله أيضاً :

إن الحبيب فلا أكافئه بعث الخيال إلىَّ واحتجبا

وذلك من أحسن الاعتراض لما فيه من التشويق . ومهلا مصدر بدل من فعله متعلقه محذوف دل عليه قوله ولست قائلا الخ أى فأقصرى من العتب إذ لا جدوى له بعد اعترافى بالذنب .

(٣) هذا البيت قليل الجدوى فى هذا المقام وكثير الألفاظ فى هذا النظام .

(٤) أراد طرقتنى ريح الصبا شبه تحريكها باب بيته بطرق الطارق ، قال أبو هلال العسكرى : قول بشار هذا مما لم يجىء فى معناه مثله ، وذكر عن أبى أحمد الصولى قال : حدثنى الخليفة المكتفى بالله أنه كان نائماً يوماً فسمع دق باب فانتبه له مرتاعا ثم نظر فاذا الريح تحرك الباب حركة كأنها دق يد قال الصولى فقلت له قد ذكر بشار ذلك وأنشدته قول بشار فقال ما كنت أظن أنه قيل فى هذا شىء وما أقل ما يجرى مما لم يذكره الناس .

* وأنشد له الراغب صفحة ١٨٥ جزء ١ :

إنى مدحتُكَ كاذبًا فأثبتَنِي　　　لمّا مَدَحْتُكَ ما يُثابُ الكاذب[1]

* وأنشد الراغب صفحة ١١ جزء ١[2] :

وما كُلُّ ذِى رأيٍ بمُؤْتيكَ نُصْحَه　　　ولا كُلُّ مُؤْتٍ نُصْحَه بلَبِيب

وَلكِنْ إذا ما استجمَعَا عند وَاحِد　　　فحَقٌّ له من طَاعَةٍ بنَصِيبِ[3]

* وأنشد فى مختار المختار صفحة ٢٧٨ مع بيت من الأبيات التى فى صفحة ٢٥٢ من الجزء ١ من الديوان :

والصِّدق أفضلُ ما حَضَرْتَ به　　　ولربما ضر الفــتى كَذِبُهُ

---

(١) يعنى أنه مدحه بما لا وجود له فيه فأثابه بعدم الجائزة فما يثاب الكاذب هو الحرمان كما نقل عن بشار فى هذه القصة أو غيرها أنه مدح المهدى بقصيدة فحرمه الثواب فقيل له حرمك أمير المؤمنين فقال واللّه لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر ما خشى صرفه على أحد ولكنى كذبت فى العمل فكذبت فى الأمل (معاهد التنصيص صفحة ٥٤) وقد أخذه أبو تمام فقال يهجو المطلب الخزاعى (معاهد صفحة ٥٣) :

مدحتكم كذبًا فجازيتنى　　　بخلا لقد أنصفت يا مُطَّلِبْ

وقال ابن الرومى أو إسماعيل القراطيسى يهجو الفضل بن الربيع :

لئن أخطأتُ فى مـــد　　　حك ما أخطأتَ فى منعى

لقــد أنزلت حاجاتى　　　بواد غــير ذى زرع

(٢) هذان البيتان نسبهما الجاحظ فى كتاب الحيوان لأبى الأسود الدؤلى ، ورأيت البيت الأول فى كتاب سيبويه . وقال السيرافى شارحه هو لأبى الأسود .

(٣) استجمعا بمعنى اجتمعا فالسين والتاء للمبالغة كقول عبد اللّه بن رواحة :

يبيت يجافى جنبه عن فراشه　　　إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

* وأنشد الراغب صفحة ١٥٨ جزء ٢ :

زَيْنُ المَلَابس حين يَلبسها ... وإذا تَسَلَّب زانه سَلَبُهْ(١)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥١ جزء ٦ :

يا عبدَ هلْ للِّقاء مِن سَبَبِ ... أوْلا فأدعو بالويل والحَرَبِ(٢)

* وأنشد فى الموازنة صفحة ١٢٧ :

ذَات الثنايا العِـــذَابِ مِن دونهن عَذَابِي(٣)

* وأنشد له المعرى فى معجز أحمد :

والخَيْلُ شائِلَةٌ تَشُقُّ غُبارَها ... كعقاربٍ قد رفَّعَتْ أذنابَها(٤)

---

(١) السلب بفتح اللام ما يسلب أى ينزع من الثياب والسلاح وتذكير ضمائر يلبس وتسلب وسلبه بتأويل الشخص وإنما أراد امرأة يعنى أنها إذا لبست الثياب زانت بجمالها ثيابها وإذا نزعت الثياب وتجردت زانها تجردها وشبهها بالتى تسلب شكته فى الحرب ، ولصاحبنا البليغ الشيخ عبد العزيز المسعودى رحمه الله :

وأحسنُ غصنِ البان ما كان كاسِيا ... وأحسنُ غُصْن الغِيد ما كان عُرْيانا

(٢) الحرب بفتحتين مصدر حرب إذا أخذ ماله أو أفلس ، ومن كلام لعمر بن الخطاب رضى الله عنه « وإياكم والدينَ فان أوّله همّ وآخره حرب » .

(٣) ذات مؤنث ذو الذى هو بمعنى صاحب فألفها منقلبة عن واوقلبا تصريفيا وهى غير ذات الشىء التى بمعنى صورته وهيكله فإن ألفها شبه الأصلية لأنها قلبت عن الواو فى الاشتقاق لا فى التصريف إذ لم يرد لها اسم مذكر وإنما عرف أن ألفها فى الأصل واو من قولهم فى الجمع ذوات. قال فى الموازنة : أخذ البحترى هذا البيت فى قوله :

سَقَمٌ دُونَ أعينٍ ذاتِ سُقْمٍ ... وعذابٌ دونَ الثنايا العِذَاب

(٤) قوله والخيل شائلة الخ قال أبو العلاء المعرى فى معجز أحمد عند قول المتنبى :

شَوَائِلَ تَشْوَالَ العَقَارِبِ بالقَنَا ... لَهَا مَرَحٌ من تحتِــه وصَهِيلُ

« وهذا من قول بشار (والخيل شائلة — البيت) غير أنه زاد عليه فى التشبيه فبشار شبه الخيل =

* وأنشد فى البيان بيتاً زائداً على القصيدة التى فى الورقة ٨٣ من جزء الديوان :

وفى العِبَرَاتِ الغُرِّ صَبْرٌ على النَّدَى … أولئك حَىٌّ من حَزِيمَةَ أَغْلَبُ(١)

= الرافعة أذنابها بعقارب رافعة أذنابها فالتشبيه واقع على وجه واحد والمتنبى أوقع التشبيه من وجهين أحدهما أنه جعل الخيل شائلة بالقنا كما تشول العقارب ، والثانى أنه شبه أطراف الرماح بأذناب العقارب وأن لها من الطعن مثل ما للعقارب من اللسع فأخذ معنى بشار وضم إليه هذه الزيادة . اه . » يشير أبو العلاء إلى ما فى قول المتنبى «بالقنا» من دلالة الباء على المصاحبة وتعلق المصاحبة هو تشوال العقارب فتضمن ذلك استعارة مكنية بتشبيه القنا بزبانيات العقارب وحرف الجر مع متعلقه هو تخييلية المكنية . ولو سلك المعرى فى معنى بيت المتنبى طريقة التمثيل لكان أحسن من تفريق التشبيه بأن يجعله قد شبه هيئة خيل الفرسان حين الكر شائلة أذنابها مشدودة بها رماح ركابها بهيئة عقارب تسير شائلة أذنابها ، كما هو شأنها . ولعله قصد من تفضيل بيت المتنبى على بيت بشار التورك على الصاحب ابن عباد إذ قال فى رسالة الكشف عن مساوى شعر المتنبى : « وله بيت وهو شوائل تشوال العقارب الخ لم يرض بأن سرق من بشار قوله والخيل شائلة الخ حتى ضيع التشبيه الصائب بين ألفاظ كالمصائب اه . » والحق أن الصاحب ظلم أبا الطيب فى نقده بيته هذا .

(١) الظاهر أن العبرات بضم العين وضم الباء جمع عبرة بضم العين وسكون الباء ومن قبائل الأزد قبيلتان تدعى كل واحدة منهما عبرة وهما بنو عبرة بن منبه وبنو عبرة بن زهران بن كعب . وقد أتى بشار بصيغة الجمع إما لإجراء المثنى مجرى الجمع كما فى قوله تعالى « قد صغت قلوبكما » وإما اعتبار أفراد القبيلتين . وقوله صبر على الندى كذا فى البيان للجاحظ فإذا صح فمعناه أنهم يواظبون على الكرم ويثبتون عليه كما فى قوله تعالى « إن كاد ليضلنا عن آلهتنا لولا أن صبرنا عليها » والظاهر عندى أن قوله صبر تحريف وأن صوابه عبر اشتق لهم من اسمهم فعلا وجعل الندى كالقنطرة يعبرون عليها والعرب تجرى على الأسماء أوصافاً من لفظها كقوله صلى الله عليه وسلم : أسلم سلمها الله وغفار غفر الله لها وعصية عصت الله ورسوله . وحزيمة بفتح الحاء وكسر الزاى اسم لفصائل من العرب إحداها فى بجيلة وهى المراد هنا لأن بجيلة من الأزد وهم قوم الممدوح . وأخرى فى بنى سامة بن لؤى . وأخرى فى نهد من قضاعة وأخرى فى قيس عيلان وهو اسم رجل قال الكحيلة :

فأدركَ إرقالَ العَرَادةِ ظَلْعُهَا … وقد تركتنى من حَزِيمَةَ إصْبَعَا

فسمى به أجداد للفصائل .

● وأنشد له فى بهجة المجالس فى باب الزيارة :

لا تجعلنّ أحداً عليك إذا أحببْتَه وهَويتَه ربّا[1]
وصِلِ الخليلَ إذا شُغِفت به واطوِ الزيارة دونه غِبّا
فلذاك خير من مواصلة ليستْ تزيدكَ عنده قُرْبا
لكن يَمَلُّ ثم تدعو باسمه فيقول هاهِ وطالَمَا لَبّى[2]

● وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٠ جزء ٣ أبياتاً ثلاثة منها بيتان لم يذكرا مع الأبيات الثلاثة التى فى ورقة ٩٥ من جزء الديوان وهما من جملة ما قاله معها :

أيرى له فضل على آبارهم وإذا أشَظَّ سَجَدْنَ غيرَ أوَابِ
وكأن هامة رأسه بِطّيخَة حُملت إلى مَلِك بدجلةَ جابِ

● وأنشد له فى العقد الفريد صفحة ٣٠١ جزء ٣ أنه قال فى أدعياء :

هُمْ قَعَدوا فانتقَوْا لهم حَسَبا يدخل بعدَ العِشاء فى العَرَبِ
حتى إذا ما الصباح لاح لهم بَيَّنَ سَتُّوقُهُمْ من الذّهَبِ[3]

---

(١) فى معناه قول أبى فراس الحمدانى :

ولا تَملكُ الحسناء قلبىَ كلَّه ولو ملكتْها رِقَّةٌ وشَبابُ
وأجرى ولا أعطى الهوى فضلَ مِقْوَدى وأهْوَى ولا يَخْفَى علىّ صوابُ
إذا المرء لم يهجرك إلّا مَلالةً فليس له إلا الفراقَ عتابُ

(٢) هاه كلمة وعيد وكلمة جواب الداعى وفيه جلافة بخلاف لبيك . وحاصل معنى البيت أن الخليل إذا أكثرت زيارته يسأم ذلك فيتبرم فى الجواب ، وقوله لكن يمل كذا فى نسختين من بهجة وهو مصراع غير موزون فلعل صوابه لكن يملك ثم تدعو باسمه .

(٣) المعنى أنهم انتسبوا إلى الحسب زوراً فوهوه بحيث لا يروج إلا فى غفلة كمن يدخل بين قوم بعد العشاء فإذا لاح الصباح عرفوا أنه ليس منهم . والبيت الثالث لا يلتئم مع البيتين قبله وفيه إعادة لفظ الذهب وهو إيطاء قبيح فى الشعر فلعله قد أسقطت أبيات بينه وبين الذى قبله =

والناس قد أصبحوا صيارفة أعلم شيء بزائف الذهب .

* وأنشد له في لسان العرب في مادة خرس هذا المصراع :

في البيت من خُرْسَانٍ لا تُعَابُ[١]

* وأنشد له الثعالبي في كتاب الكنايات صفحة ٢٦ في حماد عجرد :

قل للأمير جزاك الله صالحةً لا يُجْمع الدهرَ بين السَّخْل والذيبِ[٢]
السخْل غِرٌّ وهَمُّ الذئب غَفْلَتُه والذئب يعلم ما في السخْل من طيب

قافيـــة التـاء

* أنشد في الأغاني[٣] :

رَبَابَةُ رَبَّةُ البيتِ تَصب الخل في الزيت

— أو هو من قصيدة أخرى في البحر والقافية . والستوق بفتح السين وضمها وتشديد التاء الفوقية هو الدرهم الزائف الرديء معرب . وبين بمعنى تبين كقولهم : بين الصبح لذي عينين .

(١) خرسان جمع خراساني مثل سودان جمع سوداني وحذف تنوين خرسان للضرورة ، والظاهر أنه يخبر عن امرأة خراسانية يصفها بأنها لا يعيبها أحد كقول الشاعر :

يبيت بمنجاة من اللؤم عرضها إذا ما بيوت بالملامة حُلَّتِ

(٢) قال في كتاب الكنايات : لما قعد حماد عجرد لتأديب ولد العباس بن محمد (يعني عباسا ابن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أخي أبي جعفر المنصور الذي كان أميراً على الجزيرة والذي هجاه بشار بالقصيدة التي أولها «ظل اليسار على العباس ممدوداً» المذكورة في ورقة ٢١٩ من الديوان) قال فيه بشار بن برد هذين البيتين . وذكر صاحب الأغاني في ترجمة حماد صفحة ٧٨ جزء ١٣ طبع بولاق نسبتهما إلى حماد عجرد في هجاء قطرب النحوي لما اتخذه المهدي معلما لبعض ولده وجعل أول البيتين «قل للإمام» . والسخل اسم جمع سخلة وهي الصغيرة من الغنم وهو تمثيل لحال من لا يؤمن على مخالطته . قال أبو منصور الثعالبي : إذا كان أحد يقول بالصغار دون الكبار قيل فلان يؤثر السخال على الكباش .

(٣) قال في الأغاني قال خلاد قلت لبشار إنك لتجيء بالشيء الهجين قال وما ذاك قلت بينا تقول شعرا يثير النقع وتخلع به القلوب ثم تقول ربابة ربة البيت الخ فقال لكل وجه وموضع . وهذا في ربابة جاريتي وأنا لا آكل البيض من السوق ، فهذا عندها أحسن من «قفا نبك» عندك .
وجاريته ربابة هذه سيأتي ذكرها في قصة الأبيات اللامية في ذم شاة المنقري .

لهـا عَشْرُ دَجَاجاتٍ   ودِيكٌ حسنُ الصوت

* وأنشد له يرثى بُنية له :

يا بِنتَ من لم يكُ يهْوَى بِنْتا   ما كُنتِ إلا خَمْسَةً أو سِتّا
حتَّى حَلَلْتِ فى الحشى وحتَّى   فَتَّتِّ قلبى من جوًى فانفتّا[1]
لأنْتِ خــيرٌ من غُلام بَتَّا   يُصْبِح سَكْرانَ ويمسى بَهْتَا[2]

* وأنشد فى الأغانى صفحة ٤٠ جزء ٣[3] :

أتوب إليــكَ من السيآ   ت واستَغْفِر اللهَ من فَعْلتى
تَنَاولْتُ ما لم أرِد نيــله   على جهل أمرى وفى سكرتى
ووالله والله ما جئتُــــه   لعَمْدٍ وما كان من همــتى
وإلا فَمُتُّ إذنْ ضائعــا   وعــذّبنى الله فى مِيتَتى

---

(١) أى ماكنت إلا ذات خمسة أيام أوست ليال أى من العمر فحذف المضاف إلى خمسة لأن حذف مثله مطروق فى مثل هذا المقام أى ماكان عمرك إلا أياما قليلة حتى حللت فى حشاى. والمراد بحلولها حلول حبها فى قلبه . والحشى القلب وهو العقل ، حتى اشتغل عقلى بمحبتك ، فاستعير الحلول للتفكر والتعلق ، وما تم ذلك حتى تقطع قلبى بموتك فكان الموت بعد تمكن الحب فى القلب وهو أشد وقعاً . لذلك اشتد حزن النفس فاستعير التفتت لشدة الألم . والتفتت تقطع الجسم أجزاء صغيرة من دق أو فرك ، وتلك القطع فتات بضم الفاء ، يقال فتات المسك وفتات العهن وهو مستعار لتتابع وتكرر آلام النفس لأن كل قطع له ألم خاص فتفتيت لحم الجسم أشد آلاما من قطعه قطعا كبيرة . وانفت [مطاوع] فته ويقال فت فى ساعده وفى عضده على تشبيه عدم النفع بالتقطع .

(٢) قوله بتا أى قطعاً وهو مصدر منصوب على المفعولية المطلقة ، جعل بدلا من الفعل أى أبت ذلك بتا لا أشك فيه ، شبه عدم التردد بالإقدام على قطع الشىء أو هو بمعنى اليمين يقال حلف يميناً بتاً وكله من القطع المجازى . والبهت مصدر بهت إذا كذب أى حاله بين عدم تمييز وبين كذب إذا صحا . وهذا يدل على أن السكر كان متفشياً فى شبابهم .

(٣) وذلك أنه ذهب إلى زيارة جارية فطعم عندها وشرب نبيذاً فلما أراد الانصراف خرجت تشيعه فلما صار فى الصحن أومأ ليقبلها فأرسلت يدها من يده وتركته يجول فى العرصة وخرج مولى الجارية فقال مالك يا أباساذ فقال أذنبت ولا أبرح أو أقول شعراً وقال : أتوب إليك الخ .

فمن نال خيراً على قُبلة ... فلا بارك الله فى قُبلتى[1]

* وأنشد له فى الأغانى جزء ٧ :

يا عبدَ أنتِ ذَخيرتى ... نفسى فَدَتْكِ وجيرتى
اللهُ يعلم فيكمو ... يا عبدَ حسنَ سريرتى
نفسى لنَفسِكِ خُلَّة ... وكذاكِ أنت أميرتى

* وأنشد له فى ثمار القلوب فى صفحة ٣٥١ :

وأغرَجَ يأتينا كظِلِّ نعامة ... يقوم على الأبواب فى السَّبَرات[2]

* وأنشد له فى مختار الختار صفحة ٨٢ :

فيا عَجَبا زَيَّنْتُ نفسى بحبها ... وزَانَتْ بهجرى نَفْسَها وتَحَلَّتِ
فَبِنى كما بان الشَّبابُ الذى مضى ... وكانَتْ يدٌ منه علىَّ فولَّتِ[3]

---

(١) من شرطية أى ما من أحد نال خيراً والجزاء جملة دعائية أى لا بارك الله فى هذه القبلة كلما نال أحد خيراً على قبلته ، وهذا استعمال شائع تقصد منه المبالغة فى تمكن الشىء وثباته حتى فى أوقات ندرة وقوع مثله ، قال النابغة :

فمن يكنْ قد قضى من خُلة وطرا ... فإننى منكِ ما قضَّيْتُ أوطارى

وقال عبد الله بن رواحة يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فالمعنى الدعاء بنفى البركة فى قبلته فى أخص الأوقات التى يحصل منها الخير فى التقبيل .

(٢) ظل النعامة يوصف به الطويل لأن النعامة طويلة وظلها أطول منها لاسيما فى أوقات امتداده ، ونظيره قولهم كظل الرمح ، قال ابن الطثرية :

ويوم كظل الرمح قصَّرَ طولَه ... دمُ الزق عنا واصطفاقُ المزاهر

والسبرات بفتح السين والباء جمع سبرة بسكون الباء وهى الغداة الباردة من الغدو إلى طلوع الشمس .

(٣) هذا البيت من إغاظة العاشق معشوقه كقول امرئ القيس : فسلى ثيابى من ثيابك تنسل . وفيه ادماج التشكى من ذهاب الشباب والتعريض بأنها برمت به لزوال شبابه .

* وأنشد فى البيان صفحة ٢٤٦ جزء ٣ بعبارة يظهر منها أنها عزو البيت إلى بشار[1] :

إذا ما أمور الناس رَثَّتْ وضُيِّعَتْ　　وجـدتُ أمورى كلَّها قد رَمَمْتَها

* وأنشد فى الأغانى صفحة ٦٤ جزء ٣ :

تَمَزَّكُمْ يا سهيــلُ دُرٌّ وهل يُطْـــمَعُ فى الدُّر من يَدَىْ مُتْعَتِ[2]
فاحْبُنِى يا سهيــلُ من ذلكِ التَّمْـــرِ نواةً تكون قُرْطا لِبِنْتِى

قافيــة الجيم

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٨٤ جزء ٢١ فى ترجمة سَلْم الخاسر أن بشاراً قال فى بعض تميم[3] :

نَزَلَتْ نجومُ الليل فوقَ رؤوسهم　　ولِكُلِّ قومٍ كَوْكَبٌ وَهَّاجُ

---

(١) ذلك أنه ذكر أبياتاً لبشار ثم قال بعدها : وأنشد إذا ما أمور الناس البيت وهو من قبيل المبالغة فى تحقيق عناية الممدوح به بحيث يصلح أموره فى الأوقات التى تضاع فيها أمور الناس كما تقدم فى قوله :

فمن نال خـــيراً على قُبلة　　فلا بارك الله فى قبلتى

(٢) الظاهر أن سهيلا هذا هو سهيل بن سالم ، وقد ترجمته فىالتعليق على البيت ٣ من صفحة ٣٠٩ الجزء الأول وسيجيء ذكره فى ملحقات حرف الدال ، والمتعت المتكبر من عتا إذا طغى وتكبر . يهجوه بالمؤم .

(٣) قال فى الأغانى دخل سلم الخاسر على الرشيد وعنده العباس بن محمد وجعفر بن يحيى فأنشده فيه « حضر الرحيل وشدت الأحداج » فلما انتهى إلى قوله :

نزلت نجوم الليل فوق رؤوسهم　　ولـكل قوم كوكب وهّاج

قال له جعفر : من قلة الشعر حتى تمدح أمير المؤمنين بشعر قيل فى غيره ، هذا لبشار فى فلان التميمى ، فقال له الرشيد : ما تقول يا سلم . فقال : صدق يا سيدى وهل أنا إلا جزء من محاسن بشار وعل أنطق إلا بفضل منطقه . فضحك الرشيد وقال : ما أحسن .

* وأنشد له فى العقد الفريد صفحة ٣٠١ جزء ٣ :

إن عَمْرًا فاعرِفُوه عَرَبِيٌّ من زُجاجِ (١)
مُظلِمُ النِّسْبَةِ لا يُعْـــرَف إلَّا بالسِّراج (٢)

قافيـــة الحاء

* أنشد له فى الصبح المنبى صفحة ١٥٣ :

لعمرى لقد هذَّبْتُ قولى ولم أدَعْ مَقَالاً لمُغْتَابٍ ودَعْوى لِمَن لَحَا
ومن كان ذا فهم بليدٍ وعقلُه به علةٌ عاب الـكلام المُنَقَّحا

* وأنشد له فى نهاية الأرب صفحة ٧٩ جزء ٣ (٣) :

---

(١) عمرو هو عمرو الظالمى الذى هجاه بقوله :

ارفُقْ بعَمْرو إذا حركتَ نسبتَه فإنه عربى من قوارير

يأتى فى حرف الراء . والزجاج مستعار لما لا يقبل البحث فيمسك بعذر شبه به النسب غير المحقق فى أنه لا يقبل البحث وهذا كما قال « عربى من قوارير » وفسره فى البيت بعده والزجاج البلور وهو طين مخصوص يعجن من رماد الغاسول ويطبخ بالنار طبخا خاصا فيبرز شفافا تصنع منه الأوانى للماء والخمر وهو الأكثر . قال الصاحب بن عباد « رق الزجاج [ورا قت] الخمر » وهو سريع التكسر إذا طرق أو سقط وهو من الصنع المتقادم فى الحضارة ، ويقال إن أول مكتشفه الفنيقيون إذ كانوا قد اتخذوا موقدا للنار لطبخ طعامهم من قوالب ملح الصودا كانت لهم فى أمتعتهم فشاهدوا بعد انطفاء اللهب بقايا سائل شفاف ثم يبس بعد أن برد فاهتدوا إلى صنع آنية من ذلك ، ولكن المحقق أن صناعة الزجاج كانت معروفة عند المصريين القدماء وأقدم قطعة زجاجية معروفة اليوم ترجع إلى عهد العائلة الثانية عشرة من الفراعنة (٢٤٦٦ ق م) وقد ورد فى القرآن أن سليمان اتخذ صرحا من قوارير وكان سليمان قبل المسيح بألف سنة .

(٢) مثل عدم تبين نسبه بشىء فى ظلام لا يراه الرائى إلا إذا أسرج المكان وكأنه يعنى أنه نسبه خامل لا يعرف إلا بتتبع وبحث . كان الحكيم ديوجنوس الملقب بالكلبى أخذ مصباحا فى فى النهار يمشى به فى أثينا فقيل له فى ذلك فقال اهل أبصر رجلا . يريد أنه لم ير من يستحق أن يقال فيه رجل .

(٣) لم أر من نسب البيت إلى بشار غير صاحب نهاية الأرب والمعروف أنه من بيتين أولهما :

يحب المديح أبو خَالد ويفرَقُ من كُلفة المادح

وهما منسوبان معا لابن هرمة فى باب الهجاء من ديوان الحماسة .

كَبِكْرٍ تَشَهَّى لذيذَ النِّـكَاحِ   وتَفْرَقُ من صَـوْلَةِ الناكحِ[١]

* وأنشد له فى شرح المختار صفحة ١٢ بيتاً عده ثالثاً من أبيات القصيدة التى فى صفحة ١٠٥ من الجزء ٢ الديوان والقالى فى أماليه ص ١٠٠ ج ١ : ولعله مما سقط بسبب المحو الذى حصل فى تلك الصفحة من الديوان :

وطالَ علىَّ الليلُ حتى كأنه   بليلين موصـــول فما يتزحزح[٢]

* وأنشد له القالى فى أماليه صفحة ٥٤ جزء ٤ والمرتضى فى الأمالى صفحة ٥٣ جزء ٤ بيتين ، والمعرى فى معجز أحمد الثانى منهما ، ويظهر أن هذين البيتين طالع قصيدة :

أصَفْرَاءُ كان الود منكِ مُبَاحا   ليالىَ كان الهَجْرُ منك قَرَاحا[٣]

---

(١) قد استعمل كلمة النكاح والناكح فى معنى الوطء وهو إطلاق مجازى مبنى على المجاز المرسل حدث فى كلام المولدين ، وحقيقة النكاح فى كلام العرب بهذه الصيغة هو عقد الزواج ولذلك لم يرد فى كلام العرب ولا فى القرآن إلا فى معنى عقد الزواج حتى قوله تعالى فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره ، قيده قول النبى صلى الله عليه فى حديث زوجة رفاعة حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتك ، وذلك سد لذريعة اتخاذ الزوج محللا للمبتوت طلاقها ، وأما قول الفرزدق :

التاركين على طُهْرٍ نساءَهم   والناكحين بشطى دجلة البقرا

فقرينته مقام الهجاء وأنه لا يتصور غير معنى المجاز ، على أن الفرزدق مولد . وقد استعمله بشار فى معنى المجاز كثيراً كما فى صفحة ١١١ جزء ٢ وسيأتى فى حرف العين .

(٢) يتزحزح يتنحى ويبعد قال تعالى : فمن زحزح عن النار الآية . والشكاية من طول الليل معنى قديم فى الشعر قال امرؤ القيس :

فيالكَ من ليلٍ كأنَّ نجومه   بكل مُغار الفَتْل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

وقد ذكر شارح مختار المختار له نظائر كثيرة وغفل عن بيت امرئ القيس .

(٣) يظهر أن هذا البيت طالع قصيدة . وصفراء اسم أو لقب لحبيبة من حبائبه لما يقتضيه النداء والضم من أنه علم لا نكرة تكرر خطابه إياها فى مواضع كثيرة من شعره وكرر نداءها تكريرا لا يناسب إلا أن صفراء علم لا وصف ، وقد تردد فى ذلك الشريف المرتضى فى الأمالى كما ذكر فى صفحة ٣٤٠ الجزء ١ من هذا الديوان وتقدم فى صفحة ٢٤٤ وهذا كما سموا بيضاء ومنه أم سهل ابن بيضاء الصحابى الجليل ، وسيجىء ذكر صفراء وصفا فى أبيات من حرف العين .

وكانَ جَوارِى الحىِّ إذْ كُنتِ فيهمُ ... قِباحاً فلما غِبْتِ صِرْنَ مِلاحا(١)

* وأنشد له الشريشى جزء ١ صفحة ٢٧٣ :

درة حيثما أديرت أضــــاءت ... ومَشَمٌّ من حيثما شُمَّ فاحا(٢)
وجَنَــــاتٌ قال الإله لها كُو ... نى فكانتْ رُوحاً ورَوْحاً ورَاحا(٣)

* وأنشد فى الصبح المنبى صفحة ١٢٦ :

وزائرة ما مسها الطيبُ بُرْهَةً ... من الدهر لكنْ طيبها الدَّهرَ فائح(٤)

---

(١) أى أنها بلغت نهاية الحسن فلا تظهر محاسن الجوارى الحسان إذا كن معها فإذا لم يكنّ معها ظهرت محاسنهن لأنهن مِلاح .

(٢) أراد بالمشَمّ ما يراد بالمشموم وهو هنا المسك لقوله من حيثما شُمَّ فاحا . وقد ذكر علقمة المشموم فى قوله :

يحملن أترجة نضح العبير بها ... كأن تطيابها فى الأنف مَشْمُوم

ولم يرد فى كتب اللغة المشَمّ فلعل بشاراً قاس اشتقاقه على صيغة المفعل للمكان أى محل الشم لكثرة الرغبة فى شمه ، وبشار حجة وفى شعره كثير من نحو هذا . وحيثما لعموم المكان أى من حيث استنكهته من مكان بعيد أو قريب كقول النميرى :

تَضَوَّعَ مِسكاً بَطْنُ نَعْمَانَ أنْ مَشَتْ ... به زينبٌ فى نِسْــــوةٍ خَفِرَاتِ

والفَوْح انتشار الرائحة الطيبة .

(٣) كتب فى شرح الشريشى وَجنات بتاء فوقية فى آخره فتعين أن يكون جمع وَجْنَة أى الخد وأراد بالجمع معنى المثنى كقوله تعالى : فقد صغت قلوبكما ، وفيه تكلف مع أنه يجعل هذا البيت منفكاً عن سابقه لأن الواو أصلية وليست واو عطف ويحوج إلى تقدير أى ولها وجنات فالظاهر أن صواب اللفظ وجنَانٌ بنون فى آخره وكسر الجيم جمع جنة والجنة البستان فيه نخل وعنب وأزهار ، وهو تشبيه بليغ على نحو ما فى البيت قبله وإنما شبهها بجنان لوفرة محاسنها وتنوعها فى الوجه شبه النوار الورد والنرجس وفى القد شبه الغصن استقامةً وتمايلا وفى الشَّعر شبه قنو النخلة المتكثل وفى الثغر شبه الأقاح . وروحاً الأول بضم الراء الحياة الدائمة وبه فسر قوله تعالى : فروحٌ وريحانٌ على قراءة من قرأ بضم الراء أى فكانت كجنة الخلد تمنح المستمتع بها حياة عظيمة كالحياة الأبدية . ورَوحاً الثانى بفتح الراء النسيم اللذيذ البرودة شبهها به فى حسن الملاقاة بها والمحادثة معها يقال حديث أرقُّ من النسيم . والراح الخمر شبهها بالخمر فى نشوة النفس وانبساطها بها . وفى هذا المصراع تجنيسان .

(٤) البرهة بضم الباء وفتحها وسكون الراء الزمان الطويل . والمعنى أنها لم تمس الطيب منذ زمن ولعله أراد أنها تتركه لئلا تشم رائحتها إذا زارته لأن الطيب نمَّام وإنها غنية بنكهة فمها وعرف جلدتها . وهذا مبالغة وأخذه المتنبى فقال :

أتتْ زائراً ما خامر الطيبُ ثَوبَهــا ... وكالمسك مِن أرْدَانهـــا يَتَضوع

قافيـــة الدال

• أنشد له فى العقد الفريد صفحة ١٤٨ جزء ٣ فى سوداء[1] :

أَشْبَهَكِ المسك وأَشْبَهْتِهِ   قائمةً فى لونه قاعـــده[2]
لا شكَّ إذ لَوْنُكُما واحد   أنَّكما من طِينةٍ واحدهْ

• وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ٣٤٩ ودلائل الإعجاز صفحة ٢٥٤ وزهر الآداب صفحة ٤٢ :

لِخَدَّيْكَ من كفيكَ فى كل ليلة   إلى أن تَرَى وجهَ الصباح وِساد
تَبِيتُ تُرَاعى الليلَ ترجو نفادَه   وليسَ لليـــلِ العاشقين نَفَادُ[3]

• وأنشد له فى البيان صفحة ١٦٣ جزء ٢ :

وكأنَّ غَلْيَ دِنَانِهِم فى دُورهم   لَغَطُ العَتِيكِ على خِوان زياد[4]

---

(١) لعلها هى الجارية التى يجىء ذكرها فى هذه الملحقات .

(٢) المسك تقدم فى صفحة ١٠٧ جزء ٢ ومعنى أشبهك وأشبهته تمام المشابهة بينهما بحيث ليس أحدهما بأحسن لوناً من الآخر فلو شبه أحدهما بالآخر صح التشبيه ، ويسمى هذا بالتشابه كقول الصابى :

تشابه دمعى إذ جرى ومــدامتى   فمن مثل ما فى الكأس عينى تسكُبُ
فواقه ما أدرى أبالخمر أسبلت   جفونىَ أم من عَبرتى كنت أشْرَبُ

وقوله قائمة فى لونها قاعده استعانة فى الكلام وحشو طويل أراد به فى جميع أحوالك كقوله فى ورقة ٢١١ فى الديوان :

لحا الله حمــاد بن نهيا فإنه   ذميم إذا ما قام علج إذا قعد

(٣) الخطاب لنفسه على طريقة التجريد . وتراعى تشايع بالنظر أصله من رعى الإبل والمعنى أنه لم يضطجع بل قضى الليل جالساً واضعاً رأسه بين يديه من التعب ، وهو كناية أيضاً عن عدم النوم .قال أبو هلال هذا مأخوذ من قول أبى ذؤيب : نام الخلى وبت الليلَ مشتجراً . والاشتجار وضع الخد على اليد وهو جلسة المتفكر .

(٤) العتيك فخذ من الأزْد والنسبة إليه عَتَكى والخوان بكسر الخاء تحت يوضع عليه الطعام=

* وأنشد فى شرح درة الغواص زيادة على الأبيات التى فى ورقة ٢٠٩ من الديوان :

لا يَنْقُصِ اللهُ حُسادى فإنَّهُم أحبُّ عندى من اللّاءِ له الوُدُّ(١)

* وأنشد له فى الزهرة صفحة ٤٥ وبعضها فى كتاب الوشاء فى كتمان السر :

أبكى الذينَ أذاقونى مَوَدَّتَهم حتى إذا أيقظونى فى الهوَى رقدوا

واستنهضونى فلما قُمْتُ منتصبا بثقْل ما حَمّلونى وُدَّهم قَعَدوا

لأخْرُجَنَّ من الدنيا وحبُّهُمُ بين الجَوانح لم يَشْعُرْ به أحد

= ولا يسمى خواناً إلا إذا كان عليه طعام . قال الجاحظ : وشعراء مضر يحمقون رجال الأزد ويستخفون أحلامهم . قال عمر بن لجأ :

تصطك ألْحيَها على دِلائهـا تَلاطُمَ الأزد على عَطائهـا

قلت وهذا معدود من تنابز قبائل العرب ، وقد ذكر بشار عدة من ذلك فى القصيدة التى طالعها « أصفراء ما فى العيش بعدك مرغب » انظر صفحة ٢٤٠ جزء ١ من الديوان . وزياد هو زياد ابن المهلب بن أبى صفرة العتكى كان من قواد أخيه يزيد أحد الأمراء والقواد فى دولة سليمان ابن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز وكان سجنه عمر بن عبد العزيز ثم انفلت من السجن فلما بويع يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز ثار يزيد بن المهلب بالبصرة وغلب على كثير من البلاد فبعث عماله إلى الأهواز وفارس وكرمان وخراسان ووجه إليه يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة فى جند وقُتل يزيد بن المهلب وكان أخوه زياد وأهله كلهم ساروا إلى قندابيل واقتتلوا مع جيش مسلمة بن عبد الملك هنالك فقُتل زياد وأهله كلهم سنة ١٠٢ .

(١) نسب المرتضى فى أماليه صفحة ٧٤ جزء ٢ هذا البيت والأبيات التى معه المتقدمة فى الديوان إلى الكميت ووجود الأبيات فى الديوان يوهن هذه النسبة . وقوله من اللائى له الودد . كذا ثبت فى شرح درة الغواص فى أمالى المرتضى . وقد استعمل اللائى بمعنى الذين وهو استعمال نادر . أنشد الفراء لرجل من بنى سليم :

فما آباؤنا بأمَنَّ منـه علينا اللاءِ قد مَهَدُوا الحُجورا

والمشهور فى اللغة أن اللاء جمع التى . وأفرد الضمير فى قوله (الودد) على تأويله بالفريق أو مراعاة للفظ اللاء ولو كان « لهم وُدُد » لكان أحسن وفك الودد من الإدغام للضرورة .

أَلْقَيْتُ بيني وبين الحُزْنِ معرفةً لا تنقضى أبداً أو ينقضِى الأبدُ(١)

* وأنشد له الوشاء صفحة ٨١ :

فواللهِ ما أدرى وكُلٌّ مُصيبةٌ بأى مَكيدَاتِ النساء أُكَادُ

غُرورُ مواعيد كأنَّ جَدَاءها جَدَى بارِقَاتٍ مُزْنُهنَّ جَمادُ(٢)

* وأنشد فى الأغانى صفحة ٧٦ جزء ١٣ زيادة على القصيدة التى أولها « ليس النعيم وإن كنا نزن به » فى صفحة ٣ من الجزء ٣ ، فالبيت الأول قبل ابتداء تلك الأبيات والثانى هو الأخير منها .

فالأول :

أمسَى سُهيلٌ بأرض السُّوسِ مرتفعا فى حَدِّها بعد غِرْبَالٍ وأَمْدَادِ(٣)

---

(١) قوله أو ينقضى الأبد ، أو فيه بمعنى إلى وهو تأكيد لمضمون قوله لا تنقضى أبدا ، فإذا انقضى الأبد انقضت معه والأبد زمن الدنيا إلى نهايتها ، وكان الوجه نصب فعل ينقضى لكنه سكن الياء للضرورة .

(٢) الجَدَا بفتح الجيم مقصوراً هو المطر الكثير وقد جاء به ممدوداً للضرورة وتقدم فى ١٦ من ٢٢٢ . والبارقات السحابات ذات البرق . والمزن المطر . والجماد البَرَد .

(٣) سهيل هذا هو سهيل بن سالم كان أبو جعفر المنصور أولاه عاملا على السوس وجنديسابور ، وانظر ترجمته فى التعليق على الديوان فى صفحة ٣٠٩ من الجزء الأول من الديوان ، والسوس مدينة من بلاد خوزستان بجوار الأهواز ، وهى مدينة قديمة واسمها فى الفارسية : شوش ، بشينين معجمتين معناه الحُسن والنزه ، فعربها العرب بالسين المهملة المخفة . فتحت السوس فى خلافة عمر بن الخطاب على يد أبى موسى الأشعرى . والحد : نهاية الأرض ، ولعله مبدأ جنديسابور . والغربال يطلق على ذلك الذى يغربل به الطحين ليخلص دقيقه ولا معنى له هنا ، ويطلق على الدف لشبهه بالغربال . فالظاهر أنه يريدُ أنه كان يضرب بالدف وهو أقل آلات المغانى فيضرب به البطالون والشحاذون . وقوله وأمداد : كذا هو فى الأغانى ، وهو جمع مَدَد بفتحتين ، وهو العطايا يعنى به ما يأخذه على ضربه بالدف . وفى الحديث أتى عمرو بن قرة النبىَّ صلى الله عليه وسلم فقال : إن الله كتب علىّ الشقوة فلا أرانى أرزق إلا من دفى بكفى ، فأْذَنْ لى فى الغناء من غير فاحشة ؛ فقال لا آذن لك ولا كرامة . الحديث عند ابن ماجة وقد رخص فى ضرب الدف فى النكاح خاصة لإعلانه .

والأخير :

سُبْحَانَكَ اللهُ لو شِئْتَ امتسختَهُمَا قِرْدَيْن فاعْتَلَجَا فى بيت قَرَّادِ[1]

* وأنشد فى الأغانى جزء ٣ وفى المختار صفحة ٢٩٦ بيتاً زائداً على القصيدة التى طالعها « اشفى لى صريم الخ » المذكورة فى ورقة ١٦٥ من الديوان :

نَزَلَتْ فى السواد من حَبَّةِ القلـــب ونَالَتْ زيادةَ المُستزيد

* وأنشد له فى الأغانى بيتين زائدين على الأبيات التى أولها « لعمرى لقد أجدى علىّ ابن برمك الخ » المذكورة فى ورقة ٢١٩ وهما :

إذَا جِئْتَه للحمد أشرَقَ وجْهُه إليكَ وأعطاك الكرامةَ بالحمد

له نِعَمٌ فى القَوْم لا يستثيبُها جَزاء وَكَيْلُ التاجرِ المُدُّ بالمُدِّ[2]

* وأنشد له الراغب صفحة ٢٧ جزء ٢ :

إن الوَدَاع من الأحْبَابِ نافِلةٌ للظّاعنــين إذا ما يمّموا بلدا[3]

---

(١) قول سبحانك الله ، ضم آخر اسم الجلالة على حذف حرف النداء أى يا الله ، وحذْفُ حرف النداء فى اسم الجلالة غير معروف وفى التسهيل لابن مالك « ولا يلزم الحرف إلا مع الله والضمير الخ » . ولم يتعقبه شارحه وذكر أيضا فى كافيته ولم يذكره فى الألفية وتقديم سبحانك تنزيه لله عن حقيقة الاعتراض ولكنه كالتحير والتوقف فى حكمة عدم مسخهما مع وجود الأسباب كقول الملائكة : ونحن نسبح بحمدك . ومعنى لوشئت امتسختهما أنك قادر على مسخهما وأنهما مستحقان لهذا العقاب لتوغلهما فى الفحش فلم يستبن حكمة عدم مسخك إياهما . وامتسخ مبالغة فى مسخ . واعتلجا اضطربا ، والضمير يعود إلى سهيل وحماد مجرد المذكور فى بقية الأبيات . أراد بشار الكناية عن الفاحشة وقد اشتهرت القردة بفعل ذلك . والقرّاد الذى يلعب بالقِرَدة . وصيغة فعال فيه للنسب لأنها مصوغة من مادة اسم جامد مثل قول النابغة :

فارتاع من صوت كَلاَّب فبات به البيت . . .

(٢) قوله وكيل التاجر الخ ، إن كان يريد به تعريضا ببعض منافسى الممدوح فظاهر وإلا فهو حشو ؛ ولكن ليس فى الأبيات ما يشعر بذلك .

(٣) الوَدَاع بفتح الواو اسم مصدر التوديع يقال : ودّع المسافر أهله وودّعه أهلُه إذا دعا بعضهم لبعض بالدعة وهى الراحة وهناء العيش وكأن التشديد فيه للمبالغة لأن إطلاق —

ولستُ أدرى إذا شطَّ المزار بهم هَل تجمع الدارُ أم لا نلتقى أبدا

* وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ١٤٥ جزء ٣ :

وعدْتِنِى ثم لم تُوفِى بمَوعِـدَتى فـكُنتِ كالمُزْن لم يُمطِرْ وقد رَعَدا

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٨ جزء ٦ ويظهر أنه طالع قصيدة :

ألاَ طرَدَ الهوى عـنى رُقادى فحَسْبى ما لَقِيتُ من السُّهاد

لِعَبْدَةَ إنَّ عبـدةَ تيمتْنِى وحَلَّتْ من فؤادى فى السَّواد

* وأنشد له فى الأغانى جزء ٣ :

مِنَ المَفْتُون بَشَّارِ بنِ بُرْد إلى شَيْبَانَ كَهْلِهِمُ ومُرْد(١)

فإنَّ فتاتَـكم سلَبَتْ فُؤادى فنِصْفٌ عندها والنصف عندى(٢)

* وأنشد له فى الأغانى جزء ١٣ صفحة ٨٥ يهجو حماداً عجرداً يخاطب جاراً له يسمى أبا حامد حين ماتت أم حماد :

أبا حامدٍ إنْ كنتَ تزنى فأبْعِدِ وَبِكْ حِرًا وَلَّتْ به أم عَجْرَد

ـــ يفعله أصابُه تفاؤُلاً فناسبتْه المبالغة . والنافلة ما يفعله الإنسان من الخير من غير وجوب . ومن فى قوله من الأحباب ابتدائية أى صدور التوديع منهم . واللام فى الظاعنين لام التقوية فالظاعنين مفعول فى المعنى لاسم المصدر وهو الوداع ، فتعين أن المراد بالأحباب أحباب المسافرين فهم فاعل الوداع فى المعنى ، فمراده أنه يودع أحبابه الذين أزمعوا سفرا . وللمحبين فى مواقف الوداع أوصاف كثيرة من عهد الجاهلية .

(١) أراد ومردهم فحذف المضاف إليه لدلالة ما تقدم عليه أى ومردهم .

(٢) جعل هذا الشعر فى صورة رسالة ، وهذا مثل الأبيات التى أولها :

من المشهور بالحب إلى قاسية القلب

وتقدم فى صفحة ٢٠٤ من الجزء الأول من هذا الديوان وقلنا فى المقدمة إن هذا الأسلوب ابتكره بشار ، وهو أشبه بالرسائل لأن فيه ذكر اسمه واسم المرسل إليه فى أول الرسالة ، وهو شأن الرسائل .

حِرًّا كان للعُزّاب سهلا ولم يكن ... أبِيًّا على ذى الزوجة المتودد

أُصِيبَ زُنَاةُ القوم لَمَّا تَوَجَّهَتْ ... به أُمُّ حاد إلى مَضْجَعِ الرَّدِى

لقد كان للأَدْنَى وللجار والعِدا ... وللقاصــد المُعْتَلّ والمُتَرَدِّد

* وأنشد له العكبرى فى شرح المتنبى صفحة ٢٢٢ جزء ٢ والواحدى فى شرح المتنبى فى ورقة ١٢٤ :

والشمسُ فى كبد السماء كأنها ... أعْمَى تَحَــيَّرَ ما لديه قائد[1]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ١٣٩ جزء ٣ . وأبو القاسم فى شرح المتنبى ومحمد بن داوود فى الزهرة صفحة ٣١٣ والجواليقى فى شرح أدب الكاتب صفحة ١٢٢ وابن السِّيد فى القسم الثالث من الاقتضاب صفحة ٢٩٢ وبعضهم يزيد على بعض وفى بعضها مخالفة لما فى بعض[2] :

---

(١) قال الواحدى والعكبرى عند قول أبى الطيب :

لَبِسْنَ الوشى لاَ متجملات ... ولــكن كى يَصُنَّ به الجمالا

أغار الصاحب ابن عباد على هذا البيت فى قوله :

لبسن بُرودَ الوشى لا لتجمل ... ولــكن لصَوْنِ الحسن بين برود

فقيل للصاحب أغرت على أبى الطيب فى قولك هذا ، فقال نعم ، كما أغار هو فى قوله :

ما بالُ هــذى النجوم حائرةً ... كأنها العُمْىُ ما لهـا قائد

على قول بشار : والشمسُ فى كبد السماء . البيت . والظاهر أن مراد بشار استطالة النهار فى صوم أو انتظار وهو معنى جديد انتزعه مما شاع فى كلام الشعراء من استطالة الليل وتخيل عدم تنقل نجومه . وهو معنى ابتداء امرئ القيس فى قوله :

فيالكَ من ليل كأن نجومه ... بكل مُغَارِ الفَتل شُدَّتْ بيَذْبُلِ

(٢) قال فى الأغانى : قال بشار لأبى العتاهية أنا والله أستحسن اعتذارك من دمعك حين تقول :

كم من صديق لى أسا ... رقه البكاء من الحياء . إلخ

فقال له أبو العتاهية والله يا أبا معاذ ما لذت إلا بمعناك . ولا اجتنيت إلا من غرسك حيث تقول

فلما ودّعـــونا واستقلّوا على صُهْبٍ هَوادِيهِنّ قُودُ(١)
شَكَوْتُ إلى الغَوانى ما أُلاقى وقلتُ لهُنّ ما يومى بَعيدُ(٢)
فَفاضَتْ عَبْرةٌ أشْفَقْتُ منهـا تَسيلُ كأنّ وابِلَها الفَريدُ(٣)
فَقُلْنَ بَكَيْتَ قلتُ لهن كَلّا وقد يَبْكى من الشَّوْقِ الجَليدُ(٤)

= شكوت إلى الغوانى ما ألاق الأبيات . قال الجواليقى هذه الأبيات تنسب إلى بشار والصحيح أنها لأبى جَنّة (بجيم ونون والجيم مفتوحة) حكيم بن عبيد الأسدى خال ذى الرمة . وذكر ابن السيد فى الاقتضاب بعضها فى الجزء الثانى ولم ينسبها وذكر بعضها فى الجزء الثالث ونسبها إلى بشار وقيل إلى عروة بن أذينة .

(١) انفرد به الجواليقى . والهوادى جمع الهادى وهو مقدم العنق والقُود بضم القاف جمع أقود بوزن التفضيل وهو الطويل العُنق يريد على خيل صهب أعناقهن طويلة وهذه من محامد الخيل ، وجعل الهوادى قوداً على وجه المجاز العقلى .

(٢) كذا فى الأغانى ووقع فى شرح مشكل المتنبى وفى الزهرة وفى شرحى الجواليقى وابن السيد : كتمت هواذلى ما فى فؤادى الخ ، وأما المصراع الثانى فكذا رواه الأكثر والمراد بيومى يوم وفاتى . ووقع فى شرحى الجواليقى وابن السيد وقلت لهن ليتهم بعيد أى تمنيت أن لم يكن معى لأجل ما يقاسيه من تدللهن عليه بالحرمان مما يسأله كقول امرئ القيس : أفاطم مهلا بعض هذا التدلل . وعلى هذا فقد أخبر ببعيد وهو مفرد عن اسم ليت وهو جمع . قال الجواليقى بعيد يقع للواحد وغيره ومثله لفظ قريب قال الله تعالى : وما هى من الظالمين ببعيد وقال : إن رحمة الله قريب من المحسنين . والمعنى مكان قريب ومكان بعيد ومن بناه على قرب وبعد ولم ينو المكان ثنى وجمع وأنث . وقوله : لهن على رواية عواذل ، قال ابن السيد المراد بالعواذل النساء لأن فواعل إنما يستعمل فى جمع فاعلة (أى قياسا وشذ فى نحو فوارس وهواذل المذكور) . ووقع فى الزهرة « وقلت لهم لِيَتّهِمْ البعيدُ » فإن لم يكن تحريفاً من الناشر فالمعنى لا تتهموا فى صدق وجلى واتهموا غيرى فأراد بالبعيد غيره كما يقال : قال الأبعد .

(٣) هذا البيت زاده فى الزهرة والجواليقى وابن السيد فالأول عطفه بالفاء والثانى بالواو والثالث رواه فجالت . والفريد اسم جمع فريدة وهى اللؤلؤة أو كرة من فضة بقدر اللؤلؤة وقد ذكر مثل هذا فى البيت ١٩ من ١٨٦ ولم نشرحه هنالك سهوا . والإشفاق الخوف وإنما أشفق منها خشية الرقباء اذ يعلمون أنه محب للآتى ودّعنه . وهذا معنى قديم قال النابغة :

فكفكفتُ منى عَبْرةً فرددتُها على النحر منها مُسْتَهِلٌّ ودامع

وقال أبو الطيب « ومن سِرُّهُ فى جفنه كيف يكتم » وهذا الذى دعاه إلى إنكار البكاء لأن فى أولئك النساء من لا يأمنها على سره .

(٤) رواه فى الزهرة فقالت قد بكيت ورواه أبو القاسم يقلن لقد بكيت وقال ابن السيد =

ولـكنّى أصَابَ سَوَادَ عَيْنِى ‏ ‏ ‏ ‏ عُوَيْدُ قذًى له طَرَفٌ حديدُ(١)
فقلن فما لِدَمْعِهِمَا سَــواء ‏ ‏ ‏ ‏ أكلتا مُقْلَتَيْكَ أصابَ عُودُ(٢)
فقُبْلَ دموعِ عينك خبَّرتنا ‏ ‏ ‏ ‏ بما جَمْجَمْتَ زَفْرَتُكَ الصَّعُودُ(٣)

• وأنشد له فى الصبح المنبى صفحة ١٤٥ :

إذا اعتــذر الجانى إلىّ عذرتُه ‏ ‏ ‏ ‏ ولا سيَّمَا إن لم يكن قدْ تعمَّدَا
فمَنْ عاتَبَ الجُهَّال أتعَبَ نفسه ‏ ‏ ‏ ‏ ومَنْ لام من لا يعرِف اللوْمَ أفسدا(٤)

= البطليوسى فى الاقتضاب رواه القالى فى الأمالى « فقالوا » أى فقالت النوافى قال ابن السيد ولم أر فيه رواية غير رواية أبى على القالى وهو فى البيتُ غيرُ صحيح لأن الضمير للعواذل والمراد بين النساء لأن فواعل إنما يستعمل فى جمع فاعلة فإن قلت لعله أراد العذال فجعل فواعل للمذكر ضرورة كما قال الفرزدق :

وإذا الرجالُ رأوا يزيدَ رأيتَهم ‏ ‏ ‏ ‏ خُضُعَ الرقاب نَواكسَ الأبصار

فالجواب أن قوله وقلت لمن يمنع من ذلك . وليس يمتنع عندى أن يكون الشاعر انصرف عن الإخبار عن المؤنث إلى الإخبار عن المذكر مجازاً كما ينصرفون عن المخاطب إلى الغائب وذلك كثير ا هـ . وكلامه مدفوع بما رأيته من الروايات وبخاصة أن الروايات متفقة على أن أول الأبيات شكوت إلى النوافى، ورواية القالى شكوت إلى العواذل ولا يستقيم معناها إذ لا تعرف الشكاية إلى العواذل . وروى ابن قتيبة « وعلى يبكى من الطرب » وجعله شاهداً على أن الطرب لا يختص بالفرح والسرور بل هو خفة تصيب الإنسان لشدة سرور أو لشدة حزن . قلت إلا أن استعماله فى العارض من الحزن قليل . وقوله فقد يبكى رواه الجواليقى وفى الزهرة وعلى يبكى فالرواية الأولى اعتراف على تقدير تسليم دعواهن والرواية الثانية إنكار أن يكون مثله يبكى .

(١) رواه الجواليقى ولكن قد أصاب ، فعلى الأول يكون كلتا مبتدأ وأصاب خبر وحذف الرابط المنصوب وهو جائز وعلى الثانى يكون كلتى مفعولا .

[قلت : هذه العلاقة الإعرابية بين البيت وما بعده غير واضحة] .

(٢) رواه فى الزهرة وابن السيد والأصفهانى « فقالوا ما » . وروى من عدا صاحب الأغانى « أكلتى » وهو الصواب . [قلت : كذا فى الشرح ، وفيه نظر] .

(٣) الزفرة النفس الذى يخرج مديداً من الصدر . والصعود وصف كاشف لأن الزفرة لا تكون إلا صعوداً أى إلى صاعدة وهو فعول بمعنى فاعل ، وفعول بمعنى فاعل يلزم الإفراد والتذكير وقد يقال لها الصُّعَداء .

(٤) أخذه المتنبى وجمعه فى بيت فقال :

وما كلُّ بمعـــذورٍ ببخلٍ ‏ ‏ ‏ ‏ ولا كُلٌّ على بُخلٍ يُلَام

إلا أن بيتَ بشار أدخل فى صناعة الشعر وبيت المتنبى قال فيه العميدى إنه مجانس لكلام الصوفية .

* وأنشد له فيه صفحة ١٥٦ :

حَظِّى من الخَيْر مَنْحُوسٌ وأعجبُ ما ... إنى أراه على الحِرْمَانِ مَحْسُودُ(١)

أغدو وأمسى وآمالى قَطَعْتُ بها ... عُمْرِى تَخِيبُ وأعمالى المَوَاعِيد

وأكْرَمُ الناس من تأتِى مَوَاهِبُه ... من غيرِ وَعْدٍ وفيه الخَيْر موجود

* وأنشد له فى المختار صفحة ٦٢ :

يُكلِّمُها طرفى فتُــومِى بطَرْفِها ... فيُخبِرُ عما فى الضَّمِيرِ من الوَجْد

فإنْ نَظَرَ الواشون صَدَّتْ وأعرَضَتْ ... وإنْ غَفَلُوا قَالَتْ أَلَسْتَ على العَهْد

* وأنشد له فيه صفحة ٨٢ على أنه من القصيدة الواقعة فى ورقة ١٧٤ من الديوان عقب البيت ٦ :

رَقَّتْ لـكم كَبِدِى حتَّى لَوَ أنَّــكُمُ ... تَهْوَوْنَ أن لا أُرِيدَ العَيْشَ لَمْ أُرِدِ(٢)

---

(١) على الحرمان متعلق بمحسود مقدم عليه لأجل ميزان الشعر، ومحسود خبر أعجب وما إنى أراه موصول وصلته وإن مكسورة الهمزة والموصول وصلته مضاف إليه أعجب والتقدير وأعجب ما أراه المحسود على الحرمان ويعنى بالمحسود نفسه . أخذ هذه الأبيات المتنبى فقال :

ماذَا لَقِيتُ من الدنيا وأَعْجَبُه ... أنى بما أنا باكٍ منــه مَحْسُودُ

أصبحتُ أرْوَحَ مُثْرٍ خازنا ويدا ... أنا الغنى وأموالى المواعيـــد

جودُ الرجالِ من الأيدى وَجُودُهُمُ ... من اللسان فلا كانوا ولا الجود

والمنحوس المصاب بالنحس وهو سوء الحال الملازم لصاحبه وسيأتى الكلام عليه عند قوله : « فكوكب النحس يسق الأرض أحياناً » .

(٢) أطلق الكبد على إدراك المحبة والعرب يطلقون على مختلف أنواع إدراك أسماء الأعضاء الرئيسية من القلب والحشى والكبد والمهجة ، وجعلوا الكبد معدن المحبة والعداوة ، قال خطاب بن المعلى :

وإنمــا أولادنا بيننا ... أكبادنا تمشى على الأرض

وقال الأعشى : هم الأعداء فالأكباد سود . أى من إحراق الحقد أكبادهم . ويقال غليظ الكبد للذى الحقد ، فمعنى رقت لكم كبدى شدة الانفعال بالمحبة ، قال يزيد بن الطثرية :

بنفسىَ من لو مرَّ بَرْدُ بَنانِهِ ... على كبدى كانتْ شفاء أنامله

* وأنشد له فيه صفحة ١٠٠ من جملة الأبيات الواقعة فى ورقة ١٧٩ من الديوان بعد قوله « كيف الأمير الخ » بيتاً هو :

فَتَبَادَرُوا طُرَفَ الثَّناء بفَضْلِهِ فكأنَّما نَشَروا الثَّناء بُرُودا

* وأنشد له فى ثمار القلوب صفحة ٥٥ وفى كتاب الحيوان فى باب من ادعى من الأعراب والشعراء أنهم يرون الجن صفحة ٧٠ جزء ٦ :

دَعَانِي شِنِقْنَاقٌ إلى خَلفِ بَكْرَةٍ فَقُلْتُ اتْرُكَنِّي فَالتَّفَرُّدُ أَحْمَدُ(١)

(١) شنقناق بكسر الشين المعجمة وكسر النون وسكون القاف بعدها نون وألف وآخره قاف ، قال فى القاموس شنقناق كسرطراط يريد أنه بكسر أوله وثانيه على ما هو الأفصح فى سرطراط وهو الفالوذج ، وعليه فوزنه فِعِلْعَال ، قال فى القاموس شنقناق رئيس الجن . عرض عليه المحالفة والتعاون فرفض بشار ذلك إظهاراً لمقدرته بناءً على ما يزعمه شعراء العرب من أن لكل شاعر فحل شيطاناً يتراءى له وينشده الشعر فيتلقاه الشاعر عنه ويسمون هذا الجنى رئيّاً كما يسمون الجنى الذى يتراءى للكاهن رئيا ، وقد كان الأعشى يزعم أن شيطانه يسمى مِسْحَلا فقال :

وما كنتُ قوَّالا ولكن حَسِبْتُنى إذا مِسْحَلٌ يَبْرِى لى القولَ أَنطِقُ

وزعم الأعشى أن شيطان عمرو بن قَطن مُهاجيه اسمه جُهُنَّام بضم الجيم والهاء ، كما فى القاموس وبتشديد النون كما فى تاج العروس فقال :

دعَوْتُ خليلِى مِسْحَلاً ودعَوْا له جُهُنَّامَ جَدْعًا للرَّفِيقِ المُذَمَّمِ

ويُروى بجُهُنَّامَ فى رواية الجاحظ فى كتاب الحيوان فيقتضى أنه بتخفيف الهاء للوزن .
وكان حسان بن ثابت فى الجاهلية يزعم أن شيطانه من فريق من الجن يدْعَون بنى الشَّيْصَبَان فقال :

ولى صاحب من بنى الشَّيْصَبَانْ فحِيناً أَقول وحيناً هُــوَهْ

وقال أبو النجم العِجْلى الراجز :

إنى وكلُّ شاعرٍ من البشَرْ شيطانُه أنثى وشيطانِى ذَكَرْ

وسموا الشعر رُقْيَةَ الشيطان فى قول جرير فى عمر بن عبد العزيز :

رأيتُ رُقَى الشيطانِ لا تَسْتَفِزُّهُ وقد كان شيطانى من الجن راقيا

ومعنى البيت أن رئيس الجن دعاه إلى أن يزامله فأبى . وخلْفَ بمعنى الوراء وبكرة بهاء تأنيث فى آخره منقوطة كما هى فى كتاب الحيوان للجاحظ مرتين وفى ثمار القلوب وهى أنثى البَكْر ، أى دعانى إلى أن أكون زميله على بَكرة ، وقد جعل بشار ذلك تمثيلا للمتابعة والتعاون على مساك —

• وأنشد له فى المجموعة ورقة ٥٤ فى أبى مسلم الخراسانى(١) :

أبا مسلم ما غَـــيَّرَ اللهُ نعمةً   على عبـــده حتى يغيِّرَها العبد
أفى دولة المهدىِّ حاوَلْتَ غَدْرَةً   ألا إن أهل الغدر آباؤك الـكُرْدُ

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٦ جزء ٣ ولم يذكر الممدوح بهما(٢) :

لَمَسْتُ بكفِّى كفَّـــه أبتغى الغِنا   ولم أدرِ أن الجود من كَفِّه يُعْدِى
فلا أنا منـــــه ما أفاد ذوو الغِنا   أفَدْتُ وأعْدانى فأَفْنَيْتُ ما عندى

• وأنشد له ابن خلـكان فى ترجمة حماد فى هجاء حماد(٣) :

نِعْمَ الفَتَى لَوْ كان يعرِفُ ربَّهُ   ويقيمُ وقتَ صـــــلاته حَمَّادُ
وأبْيَضَّ من شُرْب المُدَامَةِ وَجْهُهُ   وبَيَاضُه يومَ الحساب سَـــوَادُ(٤)

= الشعر كتعاون الزميلين على السفر ويحتمل أن تكون الهاء غير منقوطة أى هاء ضمير لشنقناق أى دعانى إلى بكره الذى يركبه ، والتمثيل هو هو ، وكانوا يركبون البكر من الإبل ، قال الحادى بعبد الملك ابن مروان :

يأيُّهـــا البَـكْرُ الذى أراكا   علَيْكَ سَهْلَ الأرضِ فى مَمْشاكا

ومعنى «فالتفردُ أحمد» قال الجاحظ أراد أن التفرد بالشعر أشد حمداً للشاعر من أن يعان عليه .
قال الجاحظ والثعالبى : لما بلغ بيتُ بشار أعشى بنى سُلَيم قال يردُّ على بشار :

إذَا ألف الجِنِّـــىُّ قِرداً مُشَنَّفَا   فقُــل لخنازير الجَزِيرة أبشِرى

(١) قال فى المجموعة وهذا الشعر مختلف فيه فمنهم من جعله لأبى دلامة ومنهم من جعله لسُدَيف ، قلت وفى كتاب الصولى فى أخبار أبى تمام نسبهما إلى ابن الخياط . هذا وإن أبا مسلم قتل فى خلافة المنصور قبل خلافة المهدى فلعل كلمة المهدى خطأ من الرواة وإن أصلها المنصور .

(٢) نسبهما المرتضى فى الأمالى وصاحب غرر الخصائص وفى كتاب الصناعتين والخطيب فى تاريخ بغداد أثناء ترجمة المهدى إلى ابن الخياط المكى فى مدح المهدى .

(٣) نسبهما فى الأغانى إلى أبى الغُول ونسبهما فى كتاب الحيوان صفحة ١٤٢ جزء ٤ وابن عبد البر فى بهجة المجالس إلى حماد بن الزبرقان فى هجاء حماد عجرد مع أبيات اربعة أخر .

(٤) لعله يعنى ابيضَّ شعر وجهه أى لحيته . ومن تعليلية أى شاخ بسبب شرب الخمر وإنما لم يقل رأسه لقصد التخلص إلى سواد الوجه يوم الحشر «يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه» الآية .

* وأنشد له فى كتاب الحيوان صفحة ١٢٢ جزء ٢ [انظر الديوان ٣ : ١٨] :

بجَدِّكَ يابن أَقْرَعَ نِلْتَ مالاً أَلا إِنّ اللِّئَامَ لَهُم جُـــدُودُ
فَمَنْ نَذَرَ الزيادةَ فى الهــدايا أَقَمْتَ دَجاجَـــةً فيمن يَزِيدُ[1]

* وأنشد له فى دلائل الإعجاز صفحة ٣٦٢[2] :

الشَّيْبُ كُرْهٌ وَكُرْهٌ أن يُفَارِقَنِى أَعْجِبْ بشىءٍ على البَغْضَاءِ مَوْدُودِ[3]

* وأنشد له فى الأغانى جزء ٣ والصفدى فى نكت الهميان بيتاً ثانياً زائداً على الأبيات الثلاثة التى أولها : « علىَّ أَلِيَّةٌ ما دُمتُ حيا » المذكورة فى صفحة ١١١ من الجزء الثالث :

ولا أُهــدى لقوم أنتِ فيهم ســــلامَ الله إلا من بعيد[4]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٠ جزء ٣ فى هجاء يعقوب بن داوود[5] [انظر الديوان ٣ : ٩٤] :

بنى أُمَيَّـــةَ هُبُّوا طَالَ نومكم إِنَّ الخليفةَ يَعْقُوبُ بنُ داوودِ

---

(١) الجد الحظ والبخت . وابن أَقْرَعَ لانعرفه . والمعنى أنه لؤمه إذا نَذَرَ هدياً فى الحج لم يُهد إلا دجاجة ولايزيد على واحدة على تفاوت الناس فى الهدايا بين كرام ولئام فلا مثيل له فى ذلك .
[قلت : « فيمن يزيد » لعل المراد فى سوق « من يزيد » أى سوق المزايدة] .

(٢) فى شرح مختار المختار صفحة ٣٣٧ نسبة هذا البيت مع بيت آخر إلى مسلم بن الوليد صريع الغوانى .

(٣) كُرْه مصدر بمعنى المفعول أى مكروه ، قال تعالى : كتب عليكم القتال وهو كُرْهٌ لكم .
ومعنى قوله وكره أن يفارقنى الكناية بمفارقة الشيب عن الموت لأن الشيب لايفارق الإنسان إذ لايعود شعره أسود فلم يبق للشيب فراق إلا بفراق الجسم للروح . قال الشيخ عبد القاهر فى أسرار البلاغة فى القسم التخييلى « هذا البيت هو من حيث الظاهر صدق لأنه لا يحب أن يدركه الشيب فإذا هو أدركه كره أن يفارقه فأما كونه مراداً وموْدوداً فمتخيل فيه وليس بالحق والصدق بل الموْدود الحياة والبقاء إلا أنه لما كانت العادة جارية بأن فى زوال رؤية الإنسان الشيب زواله عن الدنيا وخروجه منها وكان العيش محبباً إلى النفوس صارت محبته لما لا يبقى له حتى يبقى الشيب كأنها محبة للشيب »
وأشار فى أواخر دلائل الإعجاز إلى أن البحترى أخذ هذا البيت فى قوله :

تعيب الغانياتُ علىَّ شيبى ومن لى أن أمتع بالمشيب

(٤) وفى رواية الصفدى « لأرض أنت فيها » .

(٥) ذكرت ترجمة يعقوب بن داوود وزير المهدى فى شرح الديوان صفحة ١٤١ جزء ١ والمعنى أنه يقول قد جاءت الفرصة بنى أمية ليستردوا خلافتهم التى اغتصبها منهم بنو العباس .

ضَاعَتْ خِلَافَتُكُم يا قومِ فالتمسُوا ... خليفةَ اللهِ بين الزِّقِّ والعُود

* وأنشد له في الأغاني صفحة ٥١ جزء ٦ :

يا عَبْدَ هل لى منكُمُ من عائدِ ... أم هل لديكِ صلاحُ قلبٍ فاسِدِ

* وأنشد له فى المختار صفحة ٤٢ [انظر الديوان (٣ : ٥٢ — ٥٣)] :

شَرِبْنَا من فؤادِ الدَّنِّ حتى ... تركْنا الدَّنَّ ليس له فؤادُ (١)

وليسَ الجودُ مُنتحَلاً ولكنْ ... على أعْرَاقِها تجْرِى الجيادُ (٢)

ويومٍ فى بنى جُشَمٍ بنِ بَكْرٍ ... نَعِمْتُ به ونَدْمَانِى زِيادُ (٣)

إذا ما شئتُ غنانى كريمٌ ... له حَسَبٌ وليس له تِلَادُ

* وأنشد له فى الظرائف صفحة ١٩٢ وفى بهجة المجالس :

إنِّى وإن كان جمع المال يعجبنى ... لا يَعْدِلُ المالُ (٤) عندى صِحَّةَ الجسد

المال زين وفى الأولادِ مكرُمة ... والسُّقم يُنسِيك ذِكْرَ المالِ والولد

* وكَتَبَ إلىَّ الأستاذ المستشرق كَرَنْكُو الملقب بسالم الكَرَنْكُوِى أنه وجد فى سفر مخطوط من كتب جامع السلطان محمد الفاتح بالآستانة رقم ٥٣٠٣ ما نصه « أنشد محمد بن المرزبان لبشار بن برد :

---

(١) هذا البيت الأول منسوب إليه أيضاً فى الموازنة للآمدى صفحة ٣٦ . والمعنى أنه استفرغ كل ما فى الدن من الخمر والدن إناء كبير لخزن الخمر .

(٢) لما كان استنزاف دون الخمر يدل على كثرة الشاربين معه والشأنُ أنه يدفع ثمن ما شربوه ويدل على عدم الاكتراث بالمال لغلاء ثمن الخمر ، وتلك كناية رمزية عن الجود فأعقبه بأن هذه الحالة عادة له وأن البذل من طبعه غير متكلف فيه فأل فى الجود عوض عن المضاف إليه كقوله تعالى : فإن الجنة هى المأوى ، وهو كثير وكله وهم فالتقدير وليس جودى منتحلا .

(٣) زياد هذا لعله هو زياد النبطى الذى ذكره بشار فى البيت ١ من ٢٠٨ فإنه وإن هجا فى ذلك البيت فإن ذلك يؤذن بأنه كان يخالطه على عادة بشار فى سرعة التنكر والمغاضبة .

(٤) رواه فى البهجة : فليس يعدل عندى .

وإنّى فى الصلاة أحضُرُها ضُحْكَةُ أهلِ الصّلاةِ إنْ شَهِدوا
أقْعُدُ فى سجدةٍ إذا ركعوا وأرفعُ الرأسَ إنْ هُمُ سجدوا
أسْجُد والقومُ راكِعُون معاً وأسْرِعُ الوثْبَ إنْ هُمُ قعَدوا
ولستُ أدرِى إذا إمامُهُم سَلَّمَ كم كانَ ذلك العَدَدُ[1]

قافيـــة الذال

* أنشد له فى الأغانى جزء ٣ صفحة ٥٤ يهجو سيبويه إمام النحاة :

أسِبْوَيْهِ يا ابنَ الفَارِسِيَّةِ ما الذى تَحَدَّثْتَ عن شتمى وما كنتَ تَنْبِذُ[2]

---

(١) وصف فى هذه الأبيات حالة عماه ولعله أراد الاعتذار عن ترك شهود الجماعة تجنباً لكون ضحكة ، والضحكة بضم الضاد المعجمة المضحوك منه .

(٢) أسبويه نداء وحذف الياء التى بعد السين من لقب سيبويه للضرورة ، وسيبويه كلمة فارسية قالوا هى مركب سيب وهو التفاح وويه أى رائحة . والذى سوغ لبشار هذا أن العرب لايبالون فى النطق بالأسماء العجمية ومن كلامهم «أعجمىٌّ فالعبْ به ما شئتَ» . لقب بهذا اللقب عمرو بن عثمان بن قَنْبَر أبو بشر أصله من بلاد البيضاء من قرى شيراز وهومولى بنى الحارث بن كعب ونشأ بالبصرة وكان إمام النحاة غير مدافع وألف فى النحو كتابه الذى غلب عليه اسم الكتاب لم يؤلف فى عصره مثله وهو مرجع أهل النحو واللغة والأدب . ولله در الزمخشرى إذ قال فيه وصدق :

ألا صلَّى الإلهُ صلاةَ صدقٍ على عمرو بن عثمان بن قَنْبَرْ
فإنَّ كتابه لم يُغْنِ عنه بنُو قلمٍ ولا أعواد مِنْبَرْ

توفى سنة ١٩٤ وعمره نيف وأربعون سنة على الأصح ، وتقدمت قصة هذين البيتين فى المقدمة . وقوله يا ابن الفارسية إشارة إلى أنه دخيل فى العربية لأن أمه فارسية ، فكيف ينكر على عربى مثل بشار صحة كلامه العربى . وذكر المرزبانى فى الموشح عن أبى علم قال كانت بالبصرة امرأة زانية يقال لها الفارسية فكان أهل البصرة إذا أرادوا أن يُزَنِّئوا إنساناً قالوا يا ابن الفارسية . فإلى هذا ذهب بشار وكان أشد عصبية للفرس من أن يقول هذا ، يعنى أنه عيره بفارسية معينة بلام العهد لا بذات لام الجنس . وجملة وما كنت تنبذ معطوفة على جملة الموصول فى قوله ما الذى تحدثت عن شتمى أى والذى كنت تنبذه من شتمى ، والنبذ بمعنى الإلقاء أطلقه على الكلام كقوله تعالى : فألقَوْا إليهم القول . و «ما» فى قوله ما الذى استفهامية مستعملة فى الإنكار . وما الثانية موصولة .

أَظَلْتَ تُغَنِّى سادِرًا فى مساءتى وأُمُّكَ بالمِصرين تُعطِى وتأْخُذُ[1]

قافيـــة الراء

* أنشد له فى معاهد التنصيص صفحة ٣٤٤[2] :

سَلَبْتِ عِظَامِى لَحْمَهَا فتركتِها عَوارىَ فى أجـلادِها تتكسر
وأخلَيْتِ منهـا مُخَّها فتركتِها أنابيبَ فى أجوافِها الريحُ تَصْفِرُ[3]
خُذِى بِيَدَى ثم ارفَعِى الثوبَ فانظرى ضَـنَى جسدى لـكننى أتستر
وليسَ الذى يجرى من العَيْنِ ماؤُها ولـكنها نَفْسٌ تذوبُ فتقطُرُ[4]

---

(١) السادر الذى لا يبالى بما صنع، وتغنّى ترفع صوتك شبَّه تخطئه إياه بالغناء، والمراد بالمصرين البصرة والكوفة فإن سيبويه بصرى والكوفة قاعدة العراق، وتعطى وتأخذ كناية عن ابتذالها للرجال تعطيهم وتأخذ منهم وهذا بهتان منه .

(٢) لم أر من نسب إلى بشار هذه الأبياتَ الأربعةَ غير صاحب معاهد التنصيص والأبيات الثلاثة الأول منها منسوبة إلى قيس بن الملوح مجنون العامرية مع زيادة بيت آخر بين البيت الثانى والبيت الثالث وهو :

إذا سمعتْ باسم الفراق تَقَطَّعَتْ مَلَاتِيقُها مما تخافُ وتحـذر

مع اختـلاف فى الروايات بين بعض المفردات . ومعلوم أن معظم ما يعزى إلى مجنون ليلى العامرية مصنوع . وقد ثبتت الأبيات الثلاثة الأول فى النسيب من ديوان الحماسة فى جملة ستة أبيات منسوبة إلى الحارثى ولا يعرف أى حارثى فيحتمل أنه الشَّمَيْذَر الحارثى . ويحتمل أنه سُوَيد بن صُمَيْع الحارثى . وممن نسب الأبياتَ الثلاثةَ والبيتَ المزيد إلى المجنون جعفر السراج البغدادى فى كتاب مصارع العشاق عن أبى على القالى (صفحة ١٥٣ طبع الجوائب) وهى فى أمالى ابن على القالى منسوبة إلى المجنون ، والغرناطى فى شرح المقصورة الحازمية (صفحة ٢٨ جزء ٢ طبع السعادة بمصر سنة ١٣٤٤) وداوود الأنطاكى فى أخبار المجنون من كتاب تزيين الأسواق . وذكر صاحب مصارع العشاق فى ٢١٦ أن القاضى عبد الله بن سوّار انتحل أبيات المجنون لنفسه فأحسب أن نسبتها إلى بشار وهم من صاحب معاهد التنصيص .

(٣) فى مصارع العشاق « وأخليتها من مخها » وكذلك فى محاضرات الراغب غير منسوبة، وهذا هو الصواب من جهة المعنى .

(٤) هذا المعنى من المعانى اللائقة ببلاغة بشار .

● وأنشد له فى كتاب الصناعتين صفحة ١٦٩ :

الدهرُ طلّاعٌ بأحـــداثه   ورُسْــــلُه فيها المقادير
محجوبةٌ تنفُــذ أحكامُها   ليس لنا عن ذاك تأخير(١)

● وأنشد له فى زهر الآداب صفحة ٤٣ جزء ٣ :

طالَ هذا الليلُ بل طال السَّهَرْ   ولقــد أعرِفُ ليلى بالقِصَر(٢)
لم يَطُلْ حـــتى جفانى شَادِنٌ   ناعِمُ الأطرافِ فتانُ النظر
لِىَ فى قَلْبِىَ منــــه لَوْعَةٌ   ملَــكَتْ قلبى وسَمْعِى والبَصَر
وكأنَّ الهَمَّ شَخْصٌ مَاثِلٌ   كلّما أبصَرَه النَّـــــوم نَفَر(٣)

---

(١) قال أبو هلال فى ديوان المعانى صفحة ٥٥ جزء ٢ : أخذ هذا المعنى ابن الرومى فقال فى صاعد يصف تدبيره الحرب وهو غائب عنها :

يظــل من الحرب العوان بمعزل   وآثاره فيهـــا وإن غاب شُهَّدُ
كما احتجب المِقدار والحكمُ حكمُه   على الناس طرًّا ليس عنه مُعَرَّدُ

(٢) هذا الخبر مستعمل فى الشكاية والتضجر . والشكاية من سهر الليل وطوله من شنشنة الشعراء والمحبين ، وأول من اشتكى من الليل امرؤ القيس فى قوله :

وليلٍ كمَوْجِ البَحْرِ أرْخَى سُدُولَهَ   علىَّ بأنواع الهُموم ليَبْتَلِى

الأبيات . وقد للتحقيق كقوله تعالى : قد يعلم الله المعوقين منكم . وقول بعض النحاة إن قد إذا دخلت على المضارع فهى للتقليل ، مرادهم أنها تكون حينئذ محتملة التقليل . والمراد بالتحقيق هنا تحقيق التكثير المستفاد من الفعل المضارع أى طالما كان ليل قصيرا ، يريد ليالى قرب الحبيبة . ويشرح هذا البيت قوله الآتى :

لا أظلِمُ اللَّيْـــلَ ولا أدَّعِى   أنَّ نُجُومَ الليلِ لَيْسَتْ تَغُورْ
لَيْلِى كَمَا شَاءَتْ فإنْ لم تَزُرْ   طَالَ وإن زَارَتْ فليـــلِى قصير

(٣) ضمير نفر عائد إلى النوم . وقد ألم بهذا المعنى أبو العلاء المعرى فى قوله :

ونَمَّ بطَيْفِها السَّارِى جَوَادٌ   فَجَنَّبَنَا الزِّيارةَ أنْ تُنَالا
يُحِسُّ إذا الخيالُ دنا إلينا   فيَمنَع من تَعَهُّدِنا الخَيَالا

والشخص يأتى فى قوله « وشخص طيِّب الأردا   ن لا تعرف أمثاله » .

* وأنشد له فى ثمار القلوب صفحة ٤٣١ وفى الأغانى جزء ١٣ وفى كتاب الكنايات صفحة ١٤ :

ارفقْ بعَمْرٍو إذا حرَّكْتَ نِسْبَتَهُ ... فإنّه عربىٌّ من قواريرِ (١)

إن جازَ آباؤه الأنذالُ فى مُضرٍ ... جازتْ فُلُوسُ بُخارَى فى الدّنانيرِ (٢)

واشْدُدْ يدَيْكَ بحمّادٍ أبى عُمَرٍ ... فإنّه نَبَطِىٌّ من دَنانيرِ (٣)

---

(١) مراده بعمرو عمرٌو الظالمى من بنى ظالم من تميم . قال الجرجانى فى كتاب الكناية : حكى أبو عبيدة قال كنت أقود بشاراً فررنا على باهلة فسلم فلم يردُّوا فالتفت إلىّ وقال مَنْ فيهم ؟ قلت عمرو الظالمى ، فنفث وقال : ارْفُقْ بعمرو ، البيتين . قلت وتقدم أنه هجاه ببيتين فى حرف الجيم . وقال أبو الفرج عن سعيد جليس أبى زيد قال أتانى أعشى سُلَيم وأبو حَنَش فقالا انطلق معنا إلى بشار فتسأله أن ينشدك شيئاً من هجائه فى حماد عجرد أو عمرو الظالمى الخ القصة . وليست الأبيات فى هجا خلف بن أبى عمرو بن العلاء ، كما قد يوهمه ماوقع فى الأغانى أن خلفاً بن أبى عمرو بن العلاء قال لبشار يمازحه لو كان ولدك علانة لقبّلت بين عينيك كما قبّل أخى خلفٌ الأحمر ولكنك مولى ، فد بشار يده فضرب فخذ خلف وقال : ارفق بعمر ، البيت . قال أبو الفرج : وكان أبو عمرو بن العلاء يغمز فى نسبه اه . أى فى نسبه إلى مازن ، فإنما أراد بشار التمثل ببيته فى شأن نسب أبى عمرو بن العلاء وليس فى آباء خلف بن أبى عمرو بن العلاء من اسمه عمرو حتى يكون هو المراد بالبيتين جمعاً بين الروايتين . وقال الجرجانى فى كتاب الكنايات : يكنون عن الدعى بقولهم عربى من قوارير اه . فلعل بشاراً هو الذى ابتكر هذه الكناية ثم شاعت . والمراد بالقوارير الزجاج فإنه سريع الانكسار لا يثبت على الطرْق . وتقدم فى الجيم . ويحتمل أن قوارير فخذ من أفخاذ العرب غير مشهور ، فقد نسب أحد رجال الحديث بالقواريرى وهو من رجال صحيح مسلم أو يحتمل أنه كان يبيع القوارير ، ويصنعها .

(٢) فى ثمار القلوب أن أهل بخارى يضربون المثل فى المحقرات بالفلوس وقد ضربها بشار بن برد مثلا ، ولعل فلوس بخارى كانت مشهورة برداءتها ، وقد تشهر بعض البلاد بفساد مسكوكاتها فقد كان الحكيم زينون رئيس فرقة الرواقيين من الفلاسفة يقول « مثل تمويهات الخطباء كمثل دراهم الإسكندرية حسنة الظاهر رديئة المعدن » وكان يكثر التدليس فى الدراهم فى بعض البلاد فلا يتفطن لذلك الصيارفة ، وقد ذكر فى ترجمة الحكيم (ديوجنس) اليونانى أن أباه (ايزيسوس) كان صيرفياً فى مدينة سينوب وكان يصنع الدراهم المغشوشة فقبض عليه وسجن وكان ذلك سبب هروب ابنه ديوجنس إلى أثينا وأخذه الحكمة عن تلامذة سقراط . وأهل تونس يمثلون الذهب الخالص بأنه ذهب بندق نسبة إلى البندقية من بلاد إيطاليا وقد كانت دولة ذات قوة وثروة فى أواخر القرن الثالث عشر . ومعنى جاز : راج وتعومل به . والشرط هنا فرضى يقصد منه عدم تحقق الجواب . والمعنى فى الدنانير أنها تقبل مع الدنانير بمنزلتها .

(٣) أبو عمر كنيةٌ ثانية لحماد عجرد وهى التى ذكرها فى ترجمته فى الأغانى . وذكر الخطيب —

وفى العقد الفريد صفحة ٣٠١ جزء ٣ وفى كتاب الحماسة السنية للأستاذ محمد محمود الشنقيطى صفحة ٨١ بيت بعد قوله « ارفق بعمرو » وهو :

مازَالَ فى كِيرِ حَدَّادٍ يُرَدِّدُه   حَتّى بَدَا عَرَبِيًّا مُظْلِمَ النُّورِ(١)

● وأنشد له فى المختار صفحة ٣٤٠ والبيت الأول منهما فى ثمار القلوب أيضاً صفحة ٤٥٩ :

صَحَوْتَ وأوقدتَ للجهل نارا   ورَدَّ عليكَ الصِّبا ما استعارا(٢)

وأصبحتَ بَسْلا على كاعِبٍ   أشَارَتْ بكفٍّ وهَزَّتْ سِوَارا(٣)

● وأنشد له فى غرر الخصائص صفحة ١٨٧ :

وعَيَّرَنى الأعداءُ والعيبُ فيهمُ   وليسَ بعارٍ أن يُقالَ ضَريرُ

= البغدادى وابن خلكان أنه يكنى أبا عمرو بفتح العين وبهذه الكنية كناه بشار فى مواضع انظر ص ١٨ و ص ١٤٣ من الجزء الثانى وص ١٩٢ من الجزء الثالث ، وتقدمت ترجمة حماد فى صفحة ١٢٩ من الجزء الأول . ومعنى اشدد يديك تمسك به واحتفظ وهنا تهكم كما يدل عليه قوله فإنه نبطى . وهذا البيت رواه فى كتاب الكنايات . والظاهر أن المراد به أنه وإن كان فى صورة أهل الفضل فهو كالدينار النبطى . والنبطى نسبة إلى النبط وهم سكان سواد الكوفة وقد كانت دنانير الكوفة رديئة منشوشة كما فى الموطأ فى باب المراطلة . وقوله فإنه نبطى ، إيهام مدح والمراد به التهكم ، ورواه فى الأغانى « فى أنه نبطى » فيكون المعنى اشدد يديك على هذا الكلام وتحققه فيصير ذماً صريحاً . ويحتمل أن بشاراً أراد بالدنانير فى قوله نبطى من دنانير العبيد فى كتاب الكنايات للجرجانى فى قول المرّار الفقعسى :

ولستَ لِلأمِّ مِن عَبْسٍ ومن أسَدٍ   وإنَّما أنتَ دِينَارُ بنُ دِينار

قال أراد أنت عبد ابن عبد ، لأن ديناراً من أسماء العبيد .

(١) تهكم به يعنى أنه كان حداداً ثم أصبح عربيا يريد أن العرب لا يتعاطون الحِرَف الدنيئة ومعنى مظلم النور كناية عن عدم النور ، فالظلمة ضد النور أى صار عربياً باطلا .

(٢) معنى أوقدت ناراً ودعت الجهل وداع من لا يرجع . قال فى ثمار القلوب : نار المسافر نار كان العرب يوقدونها خلف المسافر الذى لا يحبون رجوعه ، وهو معنى قول بشار وضربه مثلا : صحوت وأوقدت البيت اهـ . وقال الزمخشرى فى ربيع الأبرار أى طردت الجهل ورفضته فعبر من ذلك بإيقاد النار خلفه اهـ . والخطاب لنفسه على طريقة التجريد .

(٣) البسل الممنوع والحرام وتقدم فى بيت ١ من ورقة ٢٣٥ وأراد بأشارت أنها أشارت إشارةَ تحذير من زيارتها أو أشارت إليه إشارة هزء .

إذا أبصرَ المرء المروءة والتُّقى فإنَّ عَمَى العينين ليس يَضيرُ
رأيتُ العَمَى أجرًا وذُخرًا وعِصمةً وإنّى إلى تلك الثلاث فقير

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٣ جزء ٣ ، قال : كان رجل يكنى أبا زيد فبعث إليه بشار يشترى منه ثيابًا بنسيئة فلم يجدها عنده فقال يهجوه :

ألا إنَّ أبا زَيْدٍ زنَى فى ليلة القَـــدْرِ
ولم يَرْعَ تعـــالَى اللــــهُ ربى حُرْمَـــةَ الشهرِ[1]

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٧ جزء ٣ يهجو دَيْسَمًا العَنَزى[2] :

أدَيْسَم يابنَ الذئبِ من نَسْلِ زارعٍ أتروى هِجائى سادِرًا غير مُقْصِرِ

• وأنشد له فى البيان صفحة ٣٧ جزء ١ يمدح واصلا بن عطاء :

أبا حُذَيْفَةَ قد أُوتِيتَ مُعْجِبَةً من خُطْبَةٍ بَدَهَتْ من غَيرِ تقديرِ[3]

---

(١) قال فى الأغانى كتب بشار البيتين فى رقعة وبعث بها إلى أبى زيد ، ولم يكن أبوزيد من يقول الشعر فقلب الرقعة وكتب فى ظهرها :

ألا إنَّ أبا زيـــد له فى ذاكم عـــذر
أتتـــه أمُّ بشـــار وقد ضاق بها الأمر
فوافتهـــا فجامَعهـــا وما ساعـــده الصـــبر

فلما قرئت على بشار ندم على تعرضه لرجل لا نباهة له فجعل ينطح الحائط برأسه ثم قال لا تعرضت لهجاء سفلة مثل هذا أبدا .

(٢) العنزى نسبة إلى عنزة بفتح فسكون بطن من بنى أسد وهم من الهازم دخلوا فى عبدالقيس، أو إلى عنز بفتح وسكون دون هاء تأنيث بن وائل حى من ربيعة أو إلى عنَزة بن عمرو بطن من خزاعة . قال فى الأغانى كان ديسم صديقاً لبشار لكنه كان يحفظ من شعر حماد وأبى هشام الباهلى فى هجاء بشار فغضب بشار لذلك وقال فيه هذا البيت . قال قال أبو حاتم أنشدت أبا زيد (الأنصارى النحوى) هذا البيت وسألته مايقول فيه فقال لمن هذا الشعر ؟قلت لبشار فى ديسم العنزى ، فقال: قاتله الله ما أعلمه بكلام العرب! قال الديسمُ ولد الذئب من الكلْبة ويقال للكلاب أولاد زارع والعسبار (بكسر العين وسكون السين المهملة) ولد الضبع من الذئبة ، والسِّمْع (بكسر السين وسكون الميم) . ولد الذئب من الضبع ، والعرب تزعم أن السمع لا يموت وأنه أسرع من الريح وأن هلاكه بعرض من أعراض الدنيا اهـ . أقول الذى فى اللسان والقاموس أن الديسم ولد الكلب من الذئبة ومثله كالبغل . والسادرُ الذى لا يبالى بما يفعل .

(٣) أبو حذيفة كنية واصل . وتقدم ذكره فى حرف الباء .

وإنَّ قَوْلاً يَرُوقُ الخَالِدَيْنِ مَعًا　　لَمُسْكِتٌ مُخْرِسٌ عن كل تَحْبِير (١)

• وأنشد له فيه أيضاً صفحة ٦٤ جزء ١ في واصل وخطبته (٢) :

فهذا بَدِيهٌ لا كتحبير قائل　　إذا ما أراد القول زوره شهرا (٣)

• وأنشد له أيضاً في صفحة ٩٦ يذم خطيبا :

ومِنْ عَجَبِ الأيامِ أنْ قُمْتَ ناطقا　　وأنتَ ضَئِيلُ الصَّوتِ منتفِخُ السَّحْرِ (٤)

• وأنشد له في البيان صفحة ٦٤ من الجزء ٣ :

إذا وَضَعَتْ في مجلس القومِ نَعْلَها　　تَضَوَّعَ مِسْكًا ما أصابَتْ وعَنْبَرا (٥)

---

(١) الخالدان : أراد بهما خالداً بن صفوان المنقري وشبيباً بن شيبة المنقري ، وثنى اسم خالد على طريقة التغليب وترجيح أخفهما لفظا كما يقال العُمَران لأبي بكر وعمر والقَمَران للشمس والقمر ، وخصهما بالتغليب لأنهما ابنا عم فإن شبيباً هو ابن شيبة وشيبة هو ابن عم خالد . كان واصل بن عطاء خطب ارتجالا في مجلس عبد الله بن عمر بن عبد العزيز خطبة تجنب فيها حرف الراء ، كما تقدم في حرف الباء ، وذكر الجاحظ في البيان أن واصلا خطب هو وخالد بن صفوان وشبيب بن شيبة والفضل بن عيسى عند عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي العراق فقال بشار هذين البيتين في تفضيل واصل على خالد بن صفوان وشبيب بن شيبة وهما من الخطباء ، كما ذكر الجاحظ في باب أسماء الخطباء والبلغاء من البيان . وقوله مخرس عن كل تحبير ، أي مخرس كل صاحب تحبير والتحبير صنع الكلام وتهذيبه تشبيهاً بالثوب الحبر ، وقد تقدم مثله في الباء وضُمِّن مخرس معنى مُغْنٍ فعداه بعن فكأنه قال مخرس ومُغْنٍ .

(٢) نسب الراغب في المحاضرات هذا البيت إلى الحطيئة . انظر صفحة ٣٩ جزء ١ .

(٣) زَوَّره حَسَّنه وقوَّمه ، ومنه قول عمر بن الخطاب يوم السقيفة : وكنتُ زَوَّرْتُ كلاما في نفسي . وذكر الشهر للتكثير في الزمن لا لخصوص المدة المسماة شهراً .

(٤) السحر بفتح السين وسكون الحاء المهملة الرئة ، ويطلق على ما يحجبها من ظاهر الصدر وهو المراد هنا ، ومنه قول عائشة : توفي رسول الله بين سَحْري ونَحْري .

(٥) النعل ما يلبس تحت القدمين من جلد غليظ يقد على صفة القدم ليقي الرِّجْل من إصابة الحصا والأذى ومن تعب طول المشي وهي الحذاء . وكان لبس النعل في الجاهلية من شعار أهل القرى وسادة القبائل وكانت الدهماء يمشون حفاة ، والحفا شعار الشظف والخشونة . قال الأعشى يصف مشيهُ حافياً لمنزل هريرة لئلا يشعر به أهلها :

إمَّا تَرَيْنَا حُفَاةً لا نِعَالَ لنا　　إنَّا كَذلِكِ ما نَحْفَى ونَنْتَعِلُ

يعني أنهم مَشَوْا حفاة لإخفاء دخولهم إلى محلة الحبيبة ، يقول إنا لا نحفى إلا في مثل هذا ننتعل=

— فى غير هذه الحالة . وكانت النعال تجلب غالباً من اليمن لأن اليمن شهرت بصنع الأديم، وأهل البوادى يقتطعون نعالهم من الجلود الغليظة ، وقد تقدم ذلك فى صفحة ٣٢٧ جزء ١ من المطبوع ، وربما ألبسوا الخيل النعال فى الغزو لحفظ سنابكها من التورم من شدة المشى . قال النابغة :

سَاقَ الجيادَ من الجَوْلاَنِ قَائظةً   من بين مُنْعَلَةٍ تُزْجَى ومجْنُوبِ

وكانوا يجعلون فى أعناق الهدايا فى الحج نعالا علامة على أن البعير هدْى ويتركون تلك النعال للفقراء من أهل مكة وماحولها بعد نحر الهدايا ، فلذلك كان الحجيج يحملُون النعال إلى أهلهم وأحبابهم عند القفول من الحج كما قال بشار :

لم تُهْدِنَا نَعْـــلا ولا خَاتَماً   مِن أيْنَ أقبلتَ من الحُشّ

ويأتى فى حرف الشين . وكانوا يتمدحون بجودة النعال قال النابغة ورِقاقُ النعال طيب حجزاتهم» . ووصف نعلها بأنها يتضوع منها رائحة المسك والعنبر كناية عن فرط ترفهها وشرفها لأن الرِّجْلَيْن مظنة كراهة الرائحة فهى تطلى رجليها بالمسك والعنبر إغراقاً فى البذخ . قال بعض رجاز العرب ، مما ذكره أبو الفتح ابن جنى فى الخصائص وراجع فيه أبا على الفارسى :

أبيتُ أَسْرِى وتَبِيتِى تَدْلُكِى   جِلْدَكِ بالعَنْبَرِ والمِسْكِ الذَّكِى

وكانوا غالباً ينزعون نعالهم إذا جلسوا فلذلك قال «إذا وضعت فى مجلس القوم نعلها» وإذا دخلوا على العظماء نزعوا نعالهم . قال تعالى : إنى أنا ربك فاخلع نعليك، على اختلاف بين المفسرين . وكان النبى صلى الله عليه وسلم يصلى بنعليه وهى السنة، وكان الحسن البصرى لاينزع نعليه ولو كان قائماً . والتضوع انتشار رائحة الشىء ذى الرائحة قال، امرؤ القيس «إذا قامتا تَضَوَّعَ المسك منهما» . وأصل تَضَوَّعُ تتضوّعُ . وانتصب مسكاً على التمييز لنسبة التضوع للنعل وهو على حذف مضاف والتقدير رائحة مسك . والمسك تقدم بيانه فى شرح البيت ٦ من صفحة ٢٠٧ من الجزء الأول . والعنبر تقدم ذكره فى شعر بشار فى البيت ٤ من صفحة ٣١٤ من الجزء ٢ ولم نبينه بالتعليق لغفلة أو عجلة، فاعلم أن العنبر مع شهرته فى العالم كله وتنافس الناس فى التطيب به تعليقاً وبخوراً قد كان مجهول الأصل عند الأقدمين قال ابن سينا فى الكتاب الثانى من القانون : العنبر فيما نظن نبْعُ عين فى البحر والذى يظنُّن أنه من زبد البحر أو روث دابة بعيد . وقال داوود الأنطاكى فى التذكرة : هو من عيون فى قعر البحر تقذف دهنية فإذا صارت على وجه الماء جمدت فيلقيها البحر إلى الساحل وأن كونه روث سمك من الخرافات . وأقول إن الذى حققه المحققون من علماء الإفرنج أن العنبر يتكون فى أمعاء حوت يسمونه بلسانهم «كاشَالُو» وهو حوت عظيم من الفصيلة التى تلد وتُرضع فراخها وهى من فصيلة حوت يرقس ويؤيد كلامهم مافى كُتب السنة عن جابر بن عبد الله أنه خرج فى غزوة سِيف البحر والأمير عليهم أبو عبيدة بن الجراح ففنيتْ أزوادهم فألقى البحرُ دابة يقال لها العنبر ، قال فأكلنا منه وادَّهنّا ووصف عِظَمها فلا شك أنهم علموا اسمه من أهل ذلك الساحل من العرب . فى كتاب الخراج للقاضى أبى يوسف أن يَعلَى بن أمية استعمله عمر على البحر فكتب إليه فى عنبرة وجَدَها وجُعلتْ على الساحل وعما فيها أى من الزكاة فقال له الخمس . ومن قبائل العرب قبيلة يقال لهم بنو العنبر من تميم ويقال لهم بِلعَنْبَر بحذف نون ابن سمى جدهم باسم هذا الحوت كما سمى فهرٌ قريشاً باسم حوت عظيم . قالوا : فالحوت المسمى «كاشَالُو» يبتلع صنفاً من حيوان البحر الذى يسميه أهل تونس —

• وأنشد له فى الأغانى جزء ٣ ، وبعضها فى زهر الآداب صفحة ١٦ جزء ١ والبيت الأخير من رواية زهر الآداب :

يا لَيْــلَتِي تَزْدَادُ نُــكْرَا ... مِن حُبِّ من أَحْبَبْتُ بِكْرَا(١)
حَوْرَاء إِنْ نَظَرَتْ إِلَيْــكَ سقتك بالعينين خمرا
وكأنَّ رَجْــعَ حديثِها ... قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زَهْرا(٢)

= الحُبَارَة ويسميه أهل صقلية سيبيًا وهو حيوان له وَسَط قدر كف الإنسان وعينان جاحظتان وأصابع طويلة رخوة لزجة بيضاء مثل الأخطبوط وفى باطنه عَظْم فى حجم البيضة الكبيرة بيضاء جيرية يحيط بها مائع أسود مثل المداد، فإذا ابتلعه حوت العنبر استحالت تلك المادة فى أمعاء المبتلع إلى مادة زَبَدِيَّة سمراء اللون عطرة الرائحة فربما قاءها الحوت فطفت على الماء فتلقيها الأمواج فى السواحل . وبهذا يفسر سبب قلة العثور على هذه الفضلة لأن هذه الأسباب لا تحصل باطراد . قال الأنطاكى وموضعه بحر عُمان والمنْدَب وساحل الخليج العربى (لعله يعنى سواحل البحر الأحمر كما يؤذن به حديث سرية أبى عبيدة) وقال علماء الافرنج إنه يوجد غالباً فى بحر الجابون ومدغشقر وشطوط كوريا . قال الأنطاكى وكثيراً ما يقذف فى نيسان وتبلغ القطعة منه ألف مثقال (أى زنتها) وأجودُه الأشهب (قال فى القاموس : الأشهب من العنبر الضارب إلى البياض) ويليه الأزرق فالأصفر فالفستقى ، وقلت ذكر فقهاء المالكية أن ما يرميه البحر من العنبر هو حق لواجده وأنه لا يخمّس ولا يزكّى . وعندما يخرج العنبر تكون رائحته عطرة غير ذكية ويكون مثل الشمع ثم يصنع بأن يضاف إليه المسك ومدقوقُ العود والزَّبَد الحيوانى ويخلط ويعجن جميعها مع ماء الورد فتفوح منه رائحة هى أذكى روائح الطيب ، وقال بشار :

لقد كان ما بينى زماناً وبينها ... كما كانَ بين المِسْكِ والعَنْبَرِ الوَرْدِ

(١) النداء هنا للتعجب ، وقوله تزداد نكراً جملة فى موضع الحال من ليلتى ، والنكر بضم النون الكراهية أى تزداد نكراً إلىَّ أى من طولها . ورواه فى الأغانى أول مرة : يا ليتنى أزداد — ولا معنى له .

(٢) رواه فى كتاب لسان العرب : وكأنَّ رَفْضَ حديثها ، شاهداً على أن رفض الشىء جانبه فى مادة رفض . ورجْع مصدر مراد به اسم المفعول أى المرجوع ورجع الحديث الجواب وإضافته إلى حديثها بيانية أى ما تجيب به عن محادثته يقال رَجَعَ الحديثَ أى أجاب ، قال تعالى : يرجع بعضهم إلى بعض القول . وأصله استعارة الرجع إلى الجواب يشبه الجواب بإرجاع شىء مأخوذ ومنه رَجْع الرَّشْق وهو ردُّ الرامى على الآخر رميَةً ثم شاع ذلك حتى صار كالحقيقة . ونظير الرجع أيضاً تسميتهم الجواب رداً . وتشبيه كلامها بقطع الرياض تشبيه تمثيل وهو من تشبيه المعقول بالمحسوس كتشبيه الخلق الكريم بالعطر شُبهت هيئة أجزاء الكلام ومقاطعه فى الاختلاف وتنوع المحاسن بقطعٍ من الرياض فى حسن منظرها وزادها ظهورُ النَّوْر فوقها حسناً للناظر والمستنشق . وهذا التمثيل

وكأنَّ تحت لسانها   هاروتَ ينفُثُ فيه سِحْرا[١]
وتَخالُ ما جَمعَتْ عليه   ثيابُها ذَهبًا وعِطْرا[٢]
وكأنَّها بَرْدُ الشرا   ب صَفا ووافَقَ منكَ فِطْرا
جِنِّيَّةٌ إِنْسِيَّةٌ   أَوَبَيْنَ ذاكَ أَجَلُّ أَمْرا[٣]

= من بديع التمثيل لأنه يقبل التجزئة بتشبيه أجزاء الهيئة المشبهة ، بأجزاء الهيئة المشبه بها إذ تُشَبَّه مقاطع الكلام وفواصله بقطع الرياض ، وتُشَبَّه معانى الكلام البديعة بخضرة الرياض ، ويُشَبَّه ما فيه من اللطائف والمحسنات الزائدة على شرف المعنى بزهر الرياض ، ومن هذا أخذ البحترى قوله « فى رياض من البلاغة » الأبيات المشهورة فى كتب الأدب .

(١) شبه تأثير كلامها فى نفس سامعها تأثيراً جاذبا لنفسه إلى طاعتها بتأثير السحر وهو مأخوذ من قول النبى صلى الله عليه وسلم إن من البيان لسحراً . ولما اشتهر هاروت بتمام المقدرة على السحر بالغ فى السحر المشبه به بأنه سحر هاروت ففى كلامه مكنية وذكر هاروت تخييل . وينفث فيه سحراً جملة هى حال من هاروت وضمير فيه للسانها . وجعل هاروت نافثاً لأنهم يعالجون السحر بالنفث فى العقد كما جاء فى سورة الفلق ، وقد تقدم فى صفحة ١٣٥ من الجزء الثانى .

(٢) ما جمعت عليه ثيابها هو جسدها أى تحسبه أيها السامع ذهباً فى البريق واللون وهم يحبون اللون المائل إلى الصفرة ، قال امرؤ القيس : « كبكر المقاناة البياض بصفرة » وهذا كقول ابن طباطبا :

لا تعجبوا من بلى غلالته   قد زرّ أزراره على القمر

(٣) شاع عند العرب إضافة الشىء الذى تجاوز معتاد نوعه بأنه من صنعة الجن أو أنه من بلد الجن المسماة الخافى كما تقدم فى صفحة ١٠٩ جزء ١ وصفحة ٢٢٩ جزء ٢ والمسماة عبقر ، ينسب الشىء البديع إليه قال تعالى : متكئين على رفرف خضر وعبقرى حسان . وكانوا يثبتون للشعراء جِنَّة تملى عليهم الشعر ، قال المعرى :

وقد كان أرباب الفصاحة كلما   رأوا حسنا عدُّوه من صنعة الجن

وهى خرافات جميلة بُنيت دقائقُ الأدب العربى على معرفتها . فمعنى قوله جنية إنسية أنها إنسية النجار جنية الصفات وهم يتخيلون صفات الجن بالغة غاية ما يطلب من الأمور التى لا يبلغ إلى نهايتها الإنس ، قال تعالى : فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً . وقال أبو الطيب فى شجاعتهم :

نحنُ قوم مِلْجِنِّ فى زِىِّ ناسٍ   فوقَ طير لها شُخُوص الجمال

وأراد بشار أنها تجاوزت المألوف فى حسن الشكل واستلاب الألباب . وقوله أوبين ذاك الظاهر أن أو بفتح الواو وهى واو عطف تقدمت عليها همزة استفهام وهو استفهام إنكارى وبين خبر مقدم وأجل مبتدأ وأمرا تمييز ، أى ليس بين هاتين الصفتين أمر أجل أى منهما مجتمعين فحذف من التفضيلية تقديراً لظهور المعنى وليست هى أو العاطفة إذ لا يستقيم له معنى .

وكَفَاكَ أنّى لم أُحِـطْ بشَكَاةِ من أحببْتُ خُبْرا[1]
إلَّا مقـــالةَ زائرٍ نثَرَتْ لِيَ الأحزانَ نثْرا

● وأنشد له فى الأغانى صفحة ٩١ جزء ١٣[2] وفى ربيع الأبرار ورقة ١٨ جزء ١ :

ألم ترَنِى ويَحْيَى قد حَجَجْنا وكانَ الحجُّ من خَـيْرِ التجاره
خرجْنا طالبَيْ خَـيرٍ وبِرٍّ فمالَ بنا الطريقُ إلى زُرارهْ[3]
فعادَ الناسُ قد غَنِمُوا وحَجُّوا وأُبْنا موقَرَيْن من الخَساره[4]

---

(١) أى وكفاك من نكر ليلى وشدة حزنى أنى لم أستطع معرفة حالة مرضها لتعذر العيادة من شدة المراقبة فأكتفى بسؤال زائرها . وهذا أشد فى مراقبة الرقباء مما فى قول إبراهيم النظام :

إن كانَ تمنعك الزيارةَ أعيُنٌ فادْخُلْ عَلَيَّ بعِـلَّةِ العُوَّاد

(٢) ذكر فى الأغانى فى صفحة ٤٢ من الجزء ٣ أن هذه الأبيات لسعد بن القعقاع الطائى الذى كان من ندماء بشار وكذلك ذكر الزمخشرى فى ربيع الأبرار فى باب الدِّين وما يتصل به وذكر ان سعدا هذا يلقب بأعشى طيء وجعلا المصراع الأول : ألم ترنى وبشاراً حججنا . وذكر فى الأغانى فى الجزء ١٢ أنها تروى لمطيع بن إياس خرج هو وبشار حاجين .

ويحيى هو يحيى بن زياد الحارثى البغدادى الشاعر قال فى الأغانى فى جزء ١٢ صفحة ٩١ فى ترجمة مطيع بن إياس خرج من بغداد جماعة من الشعراء فى أيام أبى جعفر المنصور فى طلب المعاش فخرج يحيى بن زياد ومحمد بن الفضل وحماد عجرد إلى البصرة وخرج حماد الراوية إلى الكوفة وهى بلده وبقى مطيع بن إياس ببغداد . قال فى الأغانى فى موضعين وصاحب ربيع الأبرار : قال سعد بن القعقاع أو يحيى بن زياد لبشار هل لك فى أن تحج بنا حجة فاشتريا بعيراً ومحملا وركبا قاصدين الحج فلما مرا بزرارة (وهى محلة من الكوفة) قال لبشار ننزل بزرارة فنقصف ليلتنا ونشرب خمرها ثم نلحق من الغد ، فبقيا كذلك إلى أن رجع الحاج . ويحيى بن زياد هذا ترجمه الخطيب فى تاريخ بغداد وهو من بنى الحارث بن مالك بن سبأ وهو ابن خال السفاح وكان شاعراً أديباً ونسب إلى الزندقة لمجونه . أقام ببغداد مدة ثم خرج عنها .

(٣) وفى رواية : طالبى سفر بعيد .

(٤) فى رواية « فآب الناس قد حجوا وبروا » وهذا يدل على أن بشاراً لم يحج تلك الحجة والظاهر أنه حج بعد ذلك لقوله فى ديوانه :

إنى حلفت يميناً غير كاذبة عند المقامِ ولم أقْرب له فندَا

• وأنشد له فى صفحة ٧٤ جزء ١٣ فى حماد عجرد[1] :

أبا عُمَرٍ ما فى طِلابِيكَ حاجَةٌ   ولا فى الذى مَنَّيْتَنا ثُمَّ أَضْجَرا[2]

وَعَدتَ فلم تصدُقْ وقلت غداً غداً   كما وُعِد الكمُّون شُرْباً مُؤخرا[3]

• وأنشد له فى كتاب الحيوان صفحة ٣٩ جزء ٣ :

كأنما النقعُ يوماً فوق أرؤُسِهِمْ   سقفٌ كواكبُهُ البيضُ المَبَاتِيرُ[4]

---

(١) قيل كان هذان البيتان سبب فساد الصحبة بين بشار وحماد وسبب المهاجاة .

(٢) الطلاب بكسر الطاء مصدر طالبه الذى هو مبالغة فى طلبه وحذف المفعول الثانى لطلاب لأنه معهود بينهما كما دل عليه المصراع الثانى . ومنيتنا صلة الموصول والعائد محذوف لأنه لو ظهر لكان ضميراً متصلا منصوباً بفعل وحذف مثله كثير أى منيتناه . والتمنية جعل غيرك متمنياً حصول شىء من طول الترقب والتشوق فلذلك كان كناية عن تكرير الوعد وإخلافه عند كل موعد . قال تعالى : يعدهم ويمنيهم ، وقال : ولأضلنهم ولأمنينهم . وأضجرا فعل ماض وضميره عائد إلى الذى منيتناه والمفعول محذوف لظهوره أى أضجرنا . أى منيتناه ثم أضجرنا .

(٣) تكرير غداً مراد به كثرة قول ذلك اللفظ لاخصوص ذكره مرتين أى كررت الأرجاء إلى غد فهى كل يوم تقول غداً . قال أسماء بن خارجة :

فى موعد قاله لى غـــير مكترثٍ   غداً غداً ضَرْبَ أخماسٍ لأسْدَاسِ

وقوله كما وعد الكمون شرباً مؤخراً من مزاعم العامة أن الكمون يخضر وينمو بالوعد بأن يسقى فيقال له غدا أسقيك ، وقد تقدم قوله :

فسقيتَهم وحسبتَنى كمُّونةً   نبتَتْ لزارعها بغيرِ شَرَابِ

وتقدم فى ١٤ من ٢٢ وفى ٢٤ من ١٦٤ . وشربا بضم الشين اسم مصدر أى وعد بالشرب ونصبه بنزع الخافض .

(٤) أراد بالسقف السماء كقوله تعالى والسقف المرفوع ، وهذا البيت عزاه عبد القاهر الجرجانى فى كتاب أسرار البلاغة (صفحة ١٤٠) إلى عمرو بن كلثوم بتغيير قليل « تبنى سنابكها من فوق أرؤسهم الخ » وهى نسبة غريبة فإن الجاحظ أثبتُ فى بشار لشدة عنايته به فى كتبه وهو أقرب إليه عصراً ولما ثبت عند رواة الأدب أن بشارا قال مازلت منذ سمعت قول امرئ القيس :

كأن قلوب الطير رطباً ويابساً   لدى وكرها العناب والحشف البالى

مهتما بأن أشبه شيئين بشيئين حتى قلت :

كأن مُثَارَ النقعِ فوق رؤوسنا   وأسيافَنا ليلٌ تهاوى كواكبه

ولو كان البيت الذى عزاه الشيخ عبد القاهر إلى عمرو بن كلثوم ثابت النسبة إليه لم تكن لبشار مزية التقفية على آثار امرئ القيس ولكان بيت بشار « كأن مثار النقع » الذى هو مضرب المثل —

* وأنشد له فيه صفحة ٣٣ جزء ٥ [انظر الديوان ٣ : ٢٦٠] :

هِجَانٌ عليها حُمرةٌ في بياضها   تَروقُ بها العينَيْنِ والحُسْنُ أحمرُ[1]

= في التشبيه المركب مسروقاً من معنى بيت عمرو بن كلثوم . وقد تظافرت أقوال أئمة الأدب على أن بشاراً لم يسبق بمثل التشبيه الذي في بيت «كأن مثار النقع» قال الجاحظ : وهذا المعنى قد غلب عليه بشار كما غلب عنترة على قوله :

فترى الذباب بها يغنى وحده   هَزِجًا كفعل الشارب المترنم

غَرِدًا يحُكُّ ذراعه بذراعه   فعل المُكِبِّ على الزِّناد الاجذم

فلو أن امرأ القيس عرض في هذا المعنى لعنترة لافتضح اهـ . أي لافتضح بالسرقة إذ لايستطيع زيادة عليه . وقال جمع من الأئمة أنمن جاؤوا بعد بشار اتفقوا أثره فيه ولاذوا بمعناه مثل منصور النميرى ومسلم بن الوليد وابن المعتز والمتنبي وعبد الرحيم العباسي وقد تقدم الكلام عليه في ورقة ٧٥ من شرح الديوان (انظر صفحة ٣١٨ جزء ١ من المطبوع) ولو كان ذلك البيت لعمرو بن كلثوم لما سلم بشار من أن يفضحه أدباء عصره وهم متوافرون ، وليس لقائل أن يقول لعل البيت الذي نسبه الجاحظ إلى بشار غير البيت الذي نسبه عبد القاهر إلى عمرو بن كلثوم بآية اختلاف بعض ألفاظ البيتين لأنا نقول إنما الاختلاف اختلاف في رواية البيت ، ومثل ذلك كثير في رواية الأشعار ، ولو كان ماذكره عبد القاهر ثابت النسبة لكان بشار قد سرق بيت عمرو بن كلثوم سرقة مذمومة وذلك مما تنزه عنه براعته ، فإن كان مافي طبعة أسرار البلاغة صحيحاً لم يسقط منه بعض السطور فالظاهر أن الشيخ عبد القاهر سها في نسبة البيت إلى عمرو بن كلثوم ومثل هذا السهو كثير في مخطوطات الأدب وبخاصة أن في شعر عمرو بن كلثوم معنى يشابه معنى بشار في تصوير السيف وهو قوله في المعلقة «وأسياف يقمْنَ وينحنينا» وقوله فيها :

كأنّ سيوفنا فينا وفيهم   مخاريقٌ بأيدى لاعبينا

وليس بين يديَّ ديوان عمرو بن كلثوم لأنظر هل ذكر فيه هذا الذى عزاه إليه عبد القاهر فحققه . والمباتير السيوف القواطع جمع مبتار وهو السيف سمي بصيغة اسم الآلة لأنه آلة الحرب وهو وصف قياسي ولذلك لم يُذكر هذا الوصف بعينه في دواوين اللغة لأنهم رأوه قياساً ولكن الوصف لما عومل معاملة الاسم كان ينبغي لأهل اللغة ذكره بخصوصه كما ذكروا القاطع والقاضب والعضب ، وجمعه على مباتير مثل جمع مطفال على مطافيل .

(١) الهجان بكسر الهاء مفرد وهو الأبيض من الإبل ثم أريد به مطلق الأبيض كما قال راجز قضاعة :

نحن بَنُو الشيخ الهِجَانِ الأزهرِ   قضاعة بن مالك بن حمير

وقوله عليها حمرة أي لبست الأحمر وبشار يذكر لون الأحمر في شعره [كقوله هنا : « والحسن أحمر » و] كقوله الآتي « إن الحسن أحمر » .

● وأنشد له فيه صفحة ١٣ جزء ٧ :

أمّا الجيادُ فكلُّ الناس يحفَظُها ⁂ وفى المعيشة أشياءُ مناكير[1]

وكل قِسْم فللعِقْبانِ أكثَرُه ⁂ والحظُّ شىء عليه الدهرُ مقصور

● وأنشد له فى شرح المقامات فى المقامة ٣٨ من مطبوعة بولاق وكذلك فى نسخة مخطوطة أيضاً ولم أر ذلك لغيره ورأيت البيتين الأولين منها منسوبيْن فى بعض دواوين الأدب لعلىّ بن بسام :

لا أظلِمُ الليـــلَ ولا أدّعى ⁂ أن نُجُومَ الليل ليستْ تغور

ليلى كما شاءتْ فإنْ لم تزر ⁂ طال وإن زارتْ فليلى قصير

تُصرِّف الليـــل على حكمها ⁂ فهو على ما صرّفَتْـــه قدير

● وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ٢٣ جزء ٢ :

أعطَى البخيلُ فما انتفعتُ به ⁂ وكذاك من يعطيك من كدره[2]

وأنشد له ابن بسام فى الذخيرة فى القسم الثانى فى أدباء الجانب الغربى من الجزيرة وهو كورة إشبيلية فى ترجمة الوزير أبى القاسم محمد بن عبد الله بن الجد (جزء مخطوط بخزانة جامع الزيتونة فى الورقة ٦٣)[3] :

---

(١) الجياد جمع الجيِّد وهو النفيس من كل شىء وأراد جياد أبيات الشعر أو قصائده بدليل قوله كل الناس يحفظها أى يستحضرونها على ألسنتهم للعناية بها ، والمعنى أن المزية للشاعر الذى يأتى بالجياد لا للذين يروونها ويحفظونها ، ولم يظهر وجه اتصال المصراع الثانى بالأول ولعله يريد أنهم يحفظون الشعر ولا يتخلقون بما يتضمنه من المعانى ، وأما البيت الثانى فالقسم بكسر القاف النصيب وأراد به نصيب الجوارح من الطير فقد كانوا يزعمون أن العقاب لا تعانى الصيد ولكنها تسلب كل صيود صيده ، فالعقبان تعيش بالحظ والبخت وغيرها يكد ويعطاد ثم تسلبه العقبان أكثره ، وقد جعل بشار الحظ والبخت هو غالب أحوال الدهر .

(٢) العامة تزعم أن ما يعطَى عن تشوف نفس المعطى إليه لا ينتفع به المعطَى ويسرع إليه التلف .

(٣) قال ابن بسام لعل من هذا البيت أخذ الوزير أبو القاسم بن الجد قوله :

وجاد بقرب الدار غـــيرَ متمّم ⁂ ويا رب جُود قدّ من شيم البخل=

أما البَخيلُ فلستُ أعــذله   كل امرئٍ يعطى على قدره

ولعله من القصيدة التي منها البيت الذى قبل هذا .

* وأنشد له الأصفهانى فى شرح المتنبى وجماعةٌ من الأدباء :

وخذى ملابسَ زينــــة   ومُصَبَّغاتٍ هُنَّ أنوَرُ(١)

وإذا دخلنَا فادْخُــــلِى   فى الحُمْرِ إنَّ الحُسْنَ أحْمَرُ(٢)

* وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ٢٥٧ جزء ١ وفى نهاية الأرب صفحة ٢٥٦ جزء ٢ :

ماء الصبابة نارُ الشوق تَحْدِرُه   فهل سمعتُم بماء فاض من نار(٣)

* وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ٣١١ وفى نهاية الأرب صفحة ١٢٣ جزء ٤ :

كأن إبريقنا والقطر فى فــــه   طــــير تناوَل ياقوتا بمنقار(٤)

— ويشبه قول الآخر :

يهَبُ القليلَ وقد نوى استرجاعَه   هبةُ البخيل أقلُّ منـــه وأنزرُ

وقَدَره بفتح القاف والدال بمعنى القَدْر كقوله تعالى : إنا كل شىء خلقناه بقَدَر .

(١) وفى رواية «فهى أفخر» .

(٢) فى رواية «وإذا خرجتِ تقنّعى» .

(٣) تقع فى نسخة ديوان المعانى تحذره بذال معجمة وهو تحريف لا محالة والصواب تحدره بدال مهملة ويجوز فيه فتح التاء وضمها ، يقال حدره إذا حطّه من علو ويقال أحدره كذلك .

(٤) الإبريق الإناء الذى له عروة يمسك منها وفم يصب منه ، وهو كالكوز فارسى معرب أصله أبْ رى وتصب منه الخمر فى الكؤوس والأكواب وصورته تشبه صورة عنق الظبى أو عنق الأوز ، وذلك أن الفرس والصين والروم كانوا يصنعون الآنية على أشكال يقربونها من أشكال الحيوان ويشبهن صوت قرقرة الخمر حين تصب منه بصوت الاوز ، قال أبو المثنى :

مُقَــــدَّمَة قَزًّا كأنَّ رقابها   رقابُ بناتِ الماء أفزَعَها الرَّعْدُ

وكانوا يتأنقون فى تحسين آنية الشراب وتزيينها ، قال أبو نواس :

تُدار علينا الراحُ فى عَسْجَدِيَّةٍ   حَبَتْها بأنواع التصاوير فارسُ

وشبه بشار الإبريق وفى فيه قطرة من الخمر حمراء بطير تناول يا قوتا .

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢١ جزء ٣ يخاطب نفسه :

أصبحتَ مولى ذى الجلال وبعضُهم ... مَوْلَى العُرَيْب فجُدْ بفَضْلِك وافْخَرِ[1]

مَوْلَاكَ أكْرَمُ من تميمٍ كُلِّها ... أهلِ الفَعَالِ ومن قُرَيْشِ المَعْشَرِ

فارجعْ إلى مولاكَ غيرَ مُدَافَعٍ ... سبحان مولاكَ الأجلِّ الأكْبَرِ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣٣ جزء ٣ بيتاً زائداً على القصيدة التى أولها « أعاذِلَ لا أنَامُ على اقْتِسَار » وذلك إثر البيت الذى أوله « وتدلج للقنافذ » فى صفحة ٢٣٠ جزء ٣ :

وتَنْشِحُ الشِّمَالَ لِلَابِسِيها ... وتَرْعَى الضَّأْنَ بالبلدِ القَفَارِ[2]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤١ جزء ٣ أبياتاً أربعة زائدة على القصيدة التى أولها « قد لامنى فى خليلتى عمر » التى فى صفحة ١٦٩ من الجزء الثالث فبيتان عقب قوله فيها « فقلت إذ شاع » وهو البيت السابع ، وهما :

ماذا عليهمْ وما لَهم خَرِسُوا ... لو أنهم فى عُيُوبِهم نَظَرُوا

---

(١) العريب تصغير عَرَب . والمعنى أنه عبد الله وليس معتزاً بولاء العرب ، وهذا من آثار الانكسار التى يجدها الموالى ومن التحسر على وقوعهم فى العبودية مثل قول عبد بنى الحسحاس وهو نُوبِى الأصل :

إنْ كنتُ عَبْدًا فنفسى حرةٌ كَرَمًا ... أو أسود اللون إنى أبيض الخلق

وأنشد ياقوت فى معجم الأدباء لأبى الريحان البيرونى فى مابيهى مدحه بشعر :

وذَاكِرٍ فى قوافى شعرِه حَسَبِى ... ولستُ والله حقاً عارفاً نسبى

إذْ لَسْتُ أعْرِفُ جَدِّى حَقَّ معرفة ... وكيفَ أعْرِف جَدِّى إذْ جَهِلْتُ أبى

(٢) الشمال بكسر الشين جمع شملة بكسر الشين وهى كساء دون القطيفة يشتمل به وهو من لباس الأعراب والرعاة ، والاتشاح وضع الثوب على كتف وإدخاله تحت الإبط من الجهة الأخرى كما يوضع الوشاح ويسمى الاشتمال أيضا .

أَعْشَقُ وحدى ويُؤْخَذُون به   كالتُّرْك تغزُو فتُؤْخَذُ الخَزَرُ[1]

وبيت عقب قوله « أو قبلة فى خلال ذاك الخ » وهو البيت ١٦ وهذا هو :

أو عضـة فى ذراعها وَلَهـا   فَوْقَ ذِرَاعِى من عَضِّها أَثَرُ

وبيت عقب قوله « كيف بأبى الخ » وهو البيت الثانى من ورقة ٢٣٤ وهو :

قد كنت أخشى الذى ابتُليتُ به   مِنْكَ فـاذا أقول يا غُـــثَرُ[2]

وذكر فى صفحة ٨٤ من الجزء ١٢ جملة من تلك الأبيات وفى ضمنها بيت ونسب الجميع إلى مطيع بن إياس وهولا محالة غلط من الراوى[3] والبيت عقب قوله « فقُلْتُ إذ شاع الخ » وهو :

عَجْزٌ لَعَمْرِى وليس ينفعنى   فَـكُفَّ عـنى العِتاب يا عُمَر

فيكون هذا البيت هو الموالى للبيت ، السابع ويكون البيتان المذكوران آنفاً بعده فى الوضع لتلتئم الروايتان .

* وأنشد له فى زهر الآداب بيتاً زائداً على القصيدة التى أولها « حسبى لما قد لقيت يا عمر » فى ورقة ٢٦٣ عقب البيت الذى أوله « لا أستطيع الهوى » وهو الأخير من القصيدة ، وهذ البيت هو :

كأن وجدى بهـا وقد حجبت   فى الرأس والعين والحشا سكر

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٩ جزء ٣ بيتاً زائداً على القصيدة التى أولها « تجاللت عن فهر الخ » المذكورة فى صفحة ٢٧٣ الجزء ٣ وذلك قبل البيت الذى أوله « وركاض أفراس الصبابة » :

---

(١) التُّرك أمة قديمة من الطُّورَانِيين تَقْطُن بلاد تُرْكِسْتَان من آسيا الوسطى . والخَزَر أمة من فصيلة الترك سماهم العرب بذلك لأنهم وجدوهم خُزْرَ العيون والخَزَر ضيق فى العين سميت به هذه الأمة وكانت بلادهم فى القديم عند بحر الخَزَر على نهر الفُولغا . وبحر الخزر هو بحر قَزْوِين .

(٢) غثر ، بضم الغين المعجمة وفتح المثلثة ، وهو وزن ذُمّ للذكور مشتق من الأغثر وهو السافل من الناس ويقال غُنْثَر بزيادة النون للمبالغة .

(٣) لأن تلك الأبيات معروفة النسبة إلى بشار وثابتة فى ديوانه فما ألحق بها فهو منها .

تَسَلَّ عن الأحْبَابِ صَرَّامُ خُلَّةٍ(١)   ووَصَّالُ أخرى ما يُقيم على أمر

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٨ جزء ٦ بيتين زائدين على القصيدة التى أولها « يا قلب مالى أراك لا تقر » المذكورة فى صفحة ١٩٩ فى الجزء ٣ وجعلهما عقب بيت الطالع(٢) :

أضِعْتَ بَيْنَ الأُلَى مَضَوْا حُرَقًا   أمْ ضاعَ ما استودعُوكَ إذْ بَكَرُوا(٣)

فقَال بعضُ الحَديثِ يَشْغَفُنِي   والقَلْبُ رَاءِ ما لا يَرَى البَصَرُ

وزاد الصولى فى أخبار أبى تمام بيتاً جعله بين البيتين وهو هذا :

قَالُوا بِسَلْمَى تَهْذِى وَلَمْ تَرَهَا   يَا بُعْدَ ما غَاوَلَتْ بكَ الفِكَرُ(٤)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٠ جزء ٦ :

لِعَبْدَةَ دارٌ ما تُكَلِّمُنا الدَّار   تَلُوحُ مَغَانِيهَا كَما لاحَ أسْطَارُ(٥)

أسَائِلُ أحْجَارًا ونُؤْيًا مُهَدَّمًا   وكَيْفَ يُجِيبُ القولَ نُؤْىٌ وأحْجَار

---

(١) الخُلة بضم الخاء الخليلة .

(٢) هذه الأبيات من جملة أبيات سقطت من الديوان بسبب نقص ورقة عقب ورقة ٢٤٣ كما نبهنا عليه فى موضعها من الديوان .

(٣) الكلام استفهام بقرينة وقوع أمْ فى المصراع الثانى . ويجوز فتح ضاد أضعت والهمزة من بنية الفعل وهمزة الاستفهام محذوفة . وحرقا مفعول أضعت والإضاعة مستعارة لعدم الفائدة من تحرق قلبه على فراقهم ، ويجوز أن يكون بكسر الضاد وحرقاً تمييز ولا حذف أى أضاعت حرقك بينهم . وبين للمكان الاعتبارى جعل تحرقه عليهم كأنه مندس فيهم وضائع بينهم، والمعنى أنك لم تنفعك حرقك .

(٤) النداء فى قوله يا بعد ما غاولت للتعجب . وغاولت بادرت أى ما أبعد ما لاح لك من الفكر فى محبة من لا تراها .

(٥) المغانى جمع مغنًى وهو المنزل الذى أقام به أهله مدة طويلة وفعله غَنِىَ يغنَى كرضى، قال تعالى: كأن لم يَغْنَوْا فيها؛ والمغنى أصله اسم مكان لذلك . ومعنى قوله تلوح مغانيها أنها تظهر للسائر خطوطاً فى الأرض كما تلوح الأسطار المكتوبة فى الصحيفة ، وأصل هذا المعنى للبيد قال :

فمَدَافِعُ الريان عُرِّىَ رَسْمُها   خَلَقًا كما ضَمِنَ الوُحِىَّ سِلَامُها

فما كلَّمتْنى دارُها إذ سألتُها ... وفى كَبِدى كالنِّفطِ شُبَّتْ له النارُ (١)
وَعِندَ مغانى دارِها لو تكلَّمتْ ... لِمُكتئِبٍ بادِى الصَّبابةِ أخبارُ
تحمَّلَ جيرانى فعيْنى لِبَيْنِهِمْ ... تَفِيضُ بتَهْتانٍ إذا لاحَتْ الدارُ
بَكَيتُ على من كنتُ أحظَى بقُربِهِ ... وحَقِّ الذى حاذَرْتُ بالأمْسِ إذ ساروا (٢)

---

(١) النِّفط بكسر النون وقد تفتح، زيت ينبع من الأرض سريع الاشتعال إذا مسته النار، ويسميه العامة زيت الحجَر، وقد صار له نفع عظيم فى منتصف القرن الثانى عشر، وقد صنعت له مصابيح خاصة تسمى (كَنْكَاى) اسما غرْبيا، ودام على ذلك نحواً من سبعين سنة، ثم أحدثوا له تصنيفات فاستخرجوا منه مادة تسمى (مازُوت) توقد به الحركات فى مراكب البحر، ومادةً أصفى تسمى (ايسانس) واستخدموها لتحريك السيارات والطائرات، وربما استخرجوا منه صابوناً وعقاقير أخرى للتنظيف وغيره فصار كثير الجدوى ووسيلة ثروة فى البلاد التى يوجد فيها، وأول العثور عليه عرف مما ذكره المؤرخون عن البلاد المتنة. وشبت بضم الشين مبنياً للمجهول يقال شبَّ النارَ متعدياً إذا أشعلها وشبت النار قاصر أيضاً.

(٢) يحتمل أن الواو فى قوله وحق واو القسم. وكان القسمُ بحق من يعز على الإنسان شائعاً فى عصر بشار وقد كان ظهر من أول الإسلام: فى حديث مسروق عن عائشة أنها قالت لفاطمة بنت النبى حين سألتها عما سارَّها به النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى توفى فيه فأبتْ أن تخبرها، فقالت عائشة لفاطمة عزمت عليكِ بما لى عليكِ من الحق لما أخبرتنى. وفى الأغانى فى ترجمة ابن سريج أن عطاء لقيه بمكة فنهاه عن الغناء فقال له ابن سريج: سألتك بحق من لقيتَه من أصحاب رسول الله وبحق رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك إلا ما سمعت منى، وأقسم لك بالله وبحق هذه البَنِيَّة لئن أمرتنى بعد استماعك بالإمساك لأفعلنَّ الخ. ومن أبيات السهيلى:

فبحق من أحببتَه وبعثتَه ... وأجبتَ دعوة من به يتشفع

وفى العقد الفريد صفحة ٤٦ جزء ٣ كتب عوام صاحبُ أبى نواس إلى بعض عمال ديار ربيعة:

بحق النبى بحق الوصى ... بحق الحسين بحق الحسن
بحق التى فاطمتْ حقها ... ووالدُها خيرُ ميت دُفن
ترفق بأرزاقنا فى الخرا ... ج بترفيها وحط المؤن

ومن ذلك الحلف بالحرمة كما فى قول الحريرى فى المقامة ٣٠ «وحرمةِ ساسان أستاذ الأستاذين الخ» والحلف بجد المرء أى بعظيم قدره فى قول المعرى:

ولو أن المطى لها عقول ... وجَدِّك لم نَشُدَّ لها عقالا

ويعنى بالذى حاذرت حبيبه ومفعول حاذرت محذوف دل عليه إذ ساروا أى حاذرت سيره ومعنى حاذرت تخوفت وتباعدت. قال أبو خالد العتَّابى أحد الخوارج القَعَدة:

أحاذر أن يَذُقْنَ البؤس بعدى ... وأن يشربْنَ رَنْقاً غيرَ صافٍ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٠ جزء ٦ :

مَسَّنى من صُدُودِ عَبْدَةَ ضَرٌّ ... فَبَنَاتُ الفُــــؤَادِ ما تستقِرُّ[١]
ذاكَ شىءٌ فى القلب من حُبِ عَبَّا ... دَةَ بادٍ وباطنٌ يستَسِرُّ

وزاد عليها فى لسان العرب فى مادة برا بيتاً بين هذين وهو :

نَفَرَ الحىُّ من مكانى فقالوا ... فُزْ بصــــبر لعل عينك تَبْرُو[٢]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ١٠١ جزء ١٣ لما نعى إليه حماد عجرد :

لو عاشَ حماد لَهَوْنا به ... لكنــــه صار إلى النار

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٠ جزء ٣ يهجو صالحاً بن داوود حين ولى البصرة يخاطب أخاه يعقوب بن داوود الوزير[٣] :

هُمُ حملوا فوقَ المنابر صالحاً ... أخاكَ فضَجَّتْ من أخيك المنابرُ

= وحاذر مبالغة فى حذر ، وجواب القسم محذوف دل عليه قوله أحظى بقربه ، والقسم مستعمل فى التلهف ويجوز أن تكون الواو عاطفة جملة على جملة ، وحق منصوب على المفعولية المطلقة لبكيت ، أى وبكيت بكاء حق الذى كنت أحذر بعده أى بكاء كما هو حقه .

[قلت : يحتمل أن تكون « حق » فعلا ماضياً ، بمعنى وقع وتحقق] .

(١) بنات الفؤاد تقدم فى البيت ٣ من ورقة ١٣٣ .

(٢) البرء مهموز وفعله المشهور المتعارف من باب علِم ، وجاء أيضاً مضموم العين لغة أهل الحجاز وأهل العالية ، ومصدره البَرْءُ بفتح الباء وبضمها والبُروء . وخففه فقال تبرو بدون همز ، وتخفيف المهموز سائغ فى لغة العرب وخاصة أهل الحجاز . قال فى لسان العرب عن ابن برى ذكر سيبويه والمازنى وغيرهما من البصريين برُو بضم الراء ، وإنما ذكرت هذا لأن بعضهم لحن بشارا فى قوله لعل عينك تبرو اﻫ . أى وما لحنَّ بشار لأن ذلك لغة . وفى بغية الآمال لأحمد اللبلى عن بعضهم أن يبرو لغة قبيحة ثم قال اللبلى وهى لغة للعرب ، وقد حكينا جميعها فى كتابنا : تحفة المجد الصريح فى شرح الفصيح .

(٣) قال فى الأغانى : لما بلغ هذا يعقوب بن داورد وزير المهدى أغرى يعقوب المهدى ببشار وافترى عليه أنه هجا المهدى .

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥١ جزء ٣ أنه دخل على الهيثم بن معاوية أمير البصرة(١) فقال :

إنَّ السَّــلامَ أيُّها الأمير   عليكَ والرحمــة والسـرور(٢)

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥١ جزء ٣(٣) :

كأنَّ بنى سَدُوسٍ رَهْطَ ثَوْرٍ(٤)   خَنافِسُ تحتَ مُنْـكَسِرِ الجِدارِ

---

(١) هو العتكى من أهل خراسان ولاه المنصور الطائف ومكة سنة ١٤١ فبقى ستة واحدة ثم أولاه على البصرة سنة ١٥٥ ثم عزله سنة ١٥٦ والظاهر أنه غير الهيثم المذكور فى بيت ١٩ من ورقة ١١٩ .

(٢) هذا البيت إن كان مفرداً كما هو ظاهر رواية الأغانى تكن أن مفتوحة الهمزة مخففة النون وهى تفسيرية والمفسَّر مقدر ، ولعله أراد التلميح إلى سلام أهل الأعراف على أهل الجنة المذكور فى قوله تعالى : ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم ، فجعل نفسه مثل أحد من أهل الأعراف فى أنه طامع فى أن يناله نعيم الجنة لقوله تعالى : لم يدخلوها وهم يطمعون . وإن كان قبل البيت بيت آخر فإنه تفسير لما قبلها بما فيه معنى القول دون حروفه ، ولا يجوز أن تكون أن مشددة النون مكسورة الهمزة لأن صيغة السلام خبر مستعمل فى الإنشاء والدعاء ، والإنشاء لا يؤكد ، وهى غير مضبوطة فى النسخة المخطوطة من الأغانى ولا فى طبعة بولاق ، وضبطت فى طبعة دار الكتب المصرية بتشديد فوق النون ولا يصح .

(٣) قال فى الأغانى كان بشار مجاوراً لبنى عقيل وبنى سدوس فى منزل الحيين فكانوا يتفاخرون فاستمالت عقيل ببشار وقالوا له نحن أهلك وأنت ابننا وربيت فى حجورنا فأعنا ، فخرج عليهم وهم يتفاخرون فأنشد هذين البيتين فوثبت بنو سدوس فقالوا : ما لنا ولك؟ نعوذ بالله من شرك! فقال : هذا دأبكم إن عاودتم مفاخرة بنى عقيل ، فلم يعاودوها إ هـ . أقول بنو عقيل من هوازن من قيس عيلان وبنو سدوس هم من بنى تميم فلا نسب بين الحيين إلا بعيداً وإنما كانوا جيرة فى منازلهم حول البصرة .

(٤) سدوس بفتح السين وبنو سدوس حى من قبيلة ربيعة ، فهم بنو سدوس بن شيبان ابن ذهل بن ثعلبة بن عكابة (بعين مهملة مضمومة وبباء موحدة بعد الألف) بن صعب بن على ابن بكر بن وائل بن ربيعة بن نزار وقد مضى فى مقدمة شرح الديوان أن بشاراً كان ينزل فى بنى سدوس ، قيل إنه كان مولى لأم الظباء السدوسية ولم يصح . والظاهر أن ثوراً هذا كان سيد بنى سدوس حينئذ إذ ليس فى آباء بنى سدوس من اسمه ثور ، وهناك بنو ثور بن عبد مناة بن أد ، وهم بنو عم بنى تميم لأن تميماً هو ابن مر بن أد وإليهم ينسب سفيان الثورى ، فلعلهم كانوا يسكنون مع سدوس .

تُحَرِّكُ للفخـار زُبَانَيَيْهَا   وفَخْر الخُنْفُسَاء من الصِّغار[1]

• وأنشد له العكبرى فى شرح المتنبى جزء ٢ :

يَلِين حِيناً وحيناً فيـه شِدَّتُه   كالبَحْر يَخْلِطُ أيْسَاراً بأعْسَار[2]

• وأنشد له المرتضى فى أماليه صفحة ٤٨ جزء ٤ فى وصف الزمان :

يا خليـلىَّ أصيبا أو ذَرَا   ليس كلُّ البرق يُهْدِى المطرا
لا تكونا كامرِئٍ صاحبته   يترك العـيْن ويبغى الأثرا
ذهَب المعروف إلا ذكره   ربما أبكى الفتى ما ذُكِرا
وبقينا فى زَمَانٍ مُعْضِـل   يشرب الصفو ويُبْقِى الكدرا

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣٦ جزء ٣ وفى شرح مختار المختار صفحة ١٠٦ وفى زهر الآداب صفحة ١٨ جزء ٢ وفى شرح المختار وزهر الآداب زيادة على ما فى الأغانى والأكثر زيادة زهر الآداب[3] :

عَجِبَتْ فَطْمَةُ مِنْ نَعْـتِي لَهَا   هَلْ يُجِيد النَّعْتَ مَكْفُوفُ البَصَر[4]

---

(١) الخنفساء، بضم الخاء المعجمة وسكون النون وفتح الفاء، ويجوز ضمها : حشرة سوداء صُلْبة تكثر فى أصول الجدران . زبانيها تثنية زُبانى بضم الزاى بعده باء وفى آخره نون مقصورة وهو أحد قرنى العقرب والخنفساء . وكتب فى الأغانى زبانتيها بمثناة فوقية بعد النون وهو خطأ . ومعنى قوله وفخر الخنفساء من الصغار، من فيه تعليلية أى من أجل صغارها، والصغار الذل والعجز . والخنافس بفتح الخاء المعجمة جمع الخُنْفَسَاء .

(٢) رواه الواحدى « أيساراً وإعساراً » .

(٣) قال فى الأغانى عن ابن الكلبى أن هذا الشعر كان فى بدء أمر بشار .

(٤) ابتداء الأبيات فى الأغانى بقوله درة بحرية الخ وبعده عجبت فطمة ، ولكنا اعتمدنا ما افتتح به شارح مختار المختار وصاحب زهر الآداب لأنه أنسب . وقوله هل يجيد النعت الخ حكاية لقولها فى تعجبها . فالجملة بيان لمضمون جملة عجبت أو على حذف قول ، والوجهان يجريان فى قوله تعالى : ويستغفرون لمن فى الأرض ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا .. الآية . وفطمة هذه جارية مغنية ، قال فى الأغانى سمعها بشار تغنى فهويها . وقال شارح المختار إن يزيد بن منصور خال المهدى قال له يا أمير المؤمنين إن النساء قد فتنّ بشعر بشار ، وأى امرأة لا تصبو إذا سمعت مثل قوله : عجبت فطمة من نعتى لها .. الأبيات . فأمر المهدى بإحضاره وزجروهم به فدخل فيه ضعفا —

بنتُ عشرٍ وثلاثٍ قُسِّمَتْ بَيْنَ غُصْنٍ وكَثِيبٍ وقَمَرْ(١)

دُرَّةٌ بَحْرِيَّةٌ مَكْنُونَةٌ مَازَهَا التَّاجِرُ من بَيْنِ الدُّرَرْ(٢)

أَذْرَتِ الدَّمْعَ وقالتْ وَيْلَتِي من وَلُوعِ الكَفِّ رَكَّابِ الخَطَرْ(٣)

أُمَّتَا بَدِّدْ هَــــذَا لُعَبِي ووِشَاحِي حَلَّهُ حَتَّى انْتَثَرْ(٤)

= عنه وتقدم إليه ألا يقول فى النزل شعرا . والنعت خاص بوصف المحاسن والكمالات ، يقال الوصف الفلانى نعت والوصف الفلانى عيب ، ومعنى البيت أنه وصفها وهى تسمع صفة تطابق الواقع فتعجبت من إجادة وصفه وقالت كيف تجيد حكاية الأوصاف الخاصة وأنت أعمى وصفاً متقناً كأنه رآها . وأراد بمبادأتها بذكر صفاتها التملق إليها لأن النساء يعطفن على من يمدحهن . والمكفوف الممنوع ومكفوف البصر الأعمى ، يقال كُف بصره بالبناء للمجهول إذا عمى فهو مكفوف البصر .

(١) قوله قسمت : أى خلقت مقسمة إلى غصن وهو قدها ، وكثيب وهو ردفها ، وقمر وهو وجهها ، والمقصود تتميم شبهها .

(٢) هذا البيت جعله فى زهر الآداب ثالثاً وجعله فى الأغانى أول ، وقد اخترنا ترتيب زهر الآداب . وبحرية يصح أن يكون نسبة إلى البحر وهو الماء المتبحر المعروف فيكون وصفاً كاشفاً لأن الدرة لاتكون إلا بحرية وإلا ظهر أنه نسبة إلى البحرين وهى بلاد فى بحرها أجود اللؤلؤ وهذا هو الوجه أيضاً فى قول لبيد « كجمانة البحرى سل نظامها » والمكنونة المخبوءة لنفاستها .

(٣) أصل الذرو رفع الريح التراب وتفريقه ، فيقال أذرى فلان الدمع أى صبه ، قال عبد بنى الحسحاس :

بكت عنه وارفض مدمع عينها وأذريت دمعا فى خلال بكاها

والمعنى انها بكت غضباً من تبديده لعبها وتوركه عليها مازحاً ، وفى هذا إشارة إلى أنها صغيرة غريرة . وأراد بعد مدحه لها أن يهيج غضبها ثم يكون بعد ذلك استرضاؤها . والولوع مبالغة فى الوالع . والولع الخفة ، أى خفيف اليد فى العبث . والخطر الإشراف على الهلاك ، والركاب مستعار للفعل أى يفعل الأفعال الموقعة فى الضرر .

(٤) منادى تخاطب أمها ، فهو بضم الهمزة وتشديد الميم والتاء عوض عن ياء المتكلم وأصلها مبنية على الكسر ، وذلك لأن التاء تعوض عن ياء المتكلم فى النداء فى خصوص نداء الأب والأم . يقال يا أبت ويا أمت بالكسر ويجوز فتحها تخفيفاً ، وأما الجمع بين الفتح والألف فهو وارد قليلا فى كلامهم ، وهو جمع بين عوضين لأن كلا من التاء والألف يقع عوضاً عن ياء المتكلم ، فالقياس يقتضى عدم الجمع بينهما ، وقد ورد فى قول إحدى نساء العرب :

يا أمّتا أبصرنى راكب يسير فى مسحنفر لاحب

وقول رؤبة بن العجاج :

تقول بنتى قد أنى أناكا يا أبتا علّك أو عساكا

وخاطبت أمها بذلك لأنها غريرة تحسب أنه يريد العبث معها فاستأذنتها الزيادة فى العبث معها =

فَدَعِينِي مَعَــــهُ يا أُمَّتَا عَلَّنَا فى خَلْوَةٍ نَقضى الوطرْ[١]

أقبَلَتْ مُغضَـــبَةً تَضرِبُها واعترَاها كجُنُونٍ مُسْتَعِرْ[٢]

بأبى واللهِ ما أحســـنَه دَمْعَ عينٍ يَغْسِلُ الكُحْلَ قَطَرْ[٣]

أيُّهـا النُّوَّام هُبُّوا وَيْحَكُمْ واسْألُونِى اليومَ ما طَعْمُ السَّهَرْ[٤]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣٩ جزء ٣ فى عقبة بن سلم[٥] :

يَا وَاحِـدَ العَرَبِ الذى أمْسَى ولَيْسَ له نَظِـــير

لو كانَ مثلَكَ آخَرٌ ما كَانَ فى الدنيا فقـــير

— سول لها . وكتب فى زهر الآداب وفى شرح المختار أمّى ويا أمتى بياء عوض الألف فى آخر الكلمة على أنه خطاب لأمها أى دايتها وعو بعيد إذ لا يعرف خطاب الجوارى داياتهن بيا أمّى ، أو على أنه بمعنى يا أمى ، فجمع بين العوض وهو التاء والمعوض عنه وهو ياء المتكلم وذلك لا يصح .

(١) قوله علّنا فى خلوة الخ هو من كلام بشار كما قالت الجارية لأمها فَدَعينى معه ، قال هو فى نفسه علّنا فى خلوة الخ ، ويحتمل أن يكون هو قد سول لها الخلوة فلما استأذنت أمها استأذنتها فى كل ما سول لها وذلك من فرط غرارتها .

(٢) رواه فى زهر الآداب وشرح المختار أقبلت فى خلوة ، ومعناه أن أمها أقبلت فوجدتهما فى خلوة بأن اختليا قبل أن تستأذنها البنت .

(٣) دمعَ عين منصوب على أنه تمييز لنسبة التعجب . وقوله يغسل الكحل أى يزيل من عينى الجارية . وقطر صفة الدمع . وكان الكحل شائعاً عندهم للنساء والجوارى . وقوله والله ، قسم على مضمون قوله بأبى أى أفديها بأبى حقا دون مبالغة .

(٤) رواه فى شرح المختار اللوام باللام جمع لائم ، وليس له رشيق معنى مع قوله واسألونى الخ . وليس لهذا البيت مناسبة بما قبله ، ولعل أبياتا سقطت أو لعله من قصيدة أخرى .

(٥) قال فى الأغانى جاء أبو الشمقمق إلى بشار يشكو إليه الضيقة ، فقال له بشار والله ماعندى شىء يغنيك ولكن قم معى إلى عقبة بن سلم فقام معه ، فذكر له بشار أبا الشمقمق وقال هو شاعر وله شكر وثناء فأمر له بخمسمائة درهم ، فقال بشار : يا واحد العرب ، البيتين . فأمر عقبة لبشار بألف درهم . ونسبهما فى الأغانى فى موضع آخر إلى محمد بن المولى من مخضرمى الدولتين فى يزيد بن حاتم وأنهما من قصيدة له . انظر صفحة ٩٠ جزء ٣ .

* وأنشد له في الأغاني صفحة ١٥ في رجل من بني زيد (١) :

شَبِعْتُ على الزَّيْدِيِّ أنْ تَنَالَهُ ... ضِبَاعٌ إلى أيْرِ الشَّيْخِ تَزَفَّرُ (٢)

بَكَيْتُ بني زيدٍ فما في كِلَابِهِمْ ... حُلُومٌ ولا في الأصغرين مُكَبِّرُ (٣)

فَلْيَلْحَقْ بني زيدٍ وكُلَّ لَئِيمِهِمْ ... وإنْ لم تَكُنْ فيهم سَرَاةٌ تُوَقَّرُ (٤)

لِأُحْكِمِ الوَيْلَاتُ إنْ قَصَّلَتْ ... ضَوَاحِيَ منها مُنْجِدٌ ومُغَوِّرُ (٥)

((١)) قال في الأغاني وقف رجل من بني زيد شريف على بطار فقال له يا بطار قد أفسدت علينا موالينا تدعوهم إلى الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الأصل، فقال بطار: والله لأمثل أكرم من التعصب ولتفوحي أزكى من على الأبوار ومثل الأرض كلب يود أن تسبك له بنسبه، ولو علمت أن البحل جوالب كأهلك كأنها انفلت ولكن موعدك غدا بالمربد فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوجس أن بطارا حضر معه المربد ليطلق من غد إلى المربد فإذا رجل ينشد هذه الأبيات ، فسأل عن قائلها فقيل له بطار فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المربد حتى مات ..

((٢)) الزيدي نسبة إلى زيد وهو جد المذكور في البيت ١١٣ من ورقة ٣١١٣٢ وفي البيت ١١٥ من ٣٦٦٠٠ وفي ٤٤ من ٣٣٦٤٤ فهو من أصحاب الجمل كان موجوداً في عصر بطار فيكون هذا الزيدي إليه وقد ينسب إلى الأب والجد .. والضباع بكسر الضاد جمع ضبعة بفتح الضاد وهي الأرض المنخفضة والكلام تشبيه لنساء الزيدي بالضباع في أنها تكتسب منها ولدها حلالاً وذلك هو ما بني عليه بطار قوله بعد «يلحقون أولاد الزنا في عدادهم» .. والزفير بكسر الفاء أي تشتهي الزاد التي يشتهين من شدة الشوق إليه ، ولم يضبطوا مضارعه والوجه أن يكون مكسور العين حملاً على جميع الأفعال المضارعة لهذه اللغة .. وإلى بمعنى اللام أو تضمن تزفر معنى تشتاق .. والقائل هو بطار ..

[[قلت : الميل وضبائع تعريف وضبائع بالياء الموحدة ، وفي اللغة : ضبعت : اشتهت شهوتها ، فهي ضبعة وضبعى ومن ضبائع]] ..

((٣)) أي سرا أو مخزوه من الثلث ..

((٤)) سراة بفتح السين جمع سري ، وهو شريف القوم ، تقدم في ١١٥ من ١١٧٣٢ ..

((٥)) لأحكم الويلات هنا عليهم بالهلاك لأن الويلات جمع ويل وهو حرقة المرتقي وإنما حرقة الإثم على الجنايا ، وفي حديث مقتل أبي رافع عن أبي المتقين قوله لعبد الله بن عتيك ما الإسلام الكذاب الويل إلا دخل على رجل فضربني بالسيف ، فهو من قبيل قولهم كالكلاب ، والنجد الداخل في الأرض نجد وهي الجبلات المرتفعة وغلب على الحال ببلاد العرب حيث تطل على جبال الحجاز وسلمى والغور الداخل في الغور وهو المنخفض من الأرض ضد النجد وغلب اسم الغور على تهامة وهو ما بين ذلك وحرقة إلى بحر القلزم . يقال غور ويقال أغار ، قال الأعشى :

نبي يرى ما لا ترون وذكره ... أغار لعمري في البلاد وأنجدا

والمراد بنجد ومعور انتشاره في جميع البلاد كالذي في بيت الأعشى ..

أَجِدَّكُمُ لا يَحْقُونَ دِيَّــةً ولا يُؤْثِرُونَ الخَيْرَ والخَيْرُ يُؤْثَرُ (١)

يَلُفُّونَ أَوْلادَ الزِّنَى فى عِدَادِهِمْ فَلِفُّهُمْ مِنْ جِلَّةِ النَّاسِ أَكْثَرُ (٢)

إذا ما رأوا مِنْ دَأْبِهِ مثلُ دَأْبِهِمْ أَطَاقُوا بِهِ والنَّيُّ لِلنَّيِّ أَصْوَرُ (٣)

ولو فارقوا ما فيهم من دَعَارَةٍ لَمَا عَرَفَتْهُمْ أُمُّهُمْ حِينَ تَنْظُرُ (٤)

لقد فَخَرُوا بالمُلْحَقِينَ عَشِيَّةً فقلتُ افخَرُوا إن كانَ فى اللُّؤْمِ مَفْخَرُ (٥)

يُرِيدُونَ مَسْعَاتِي ودُونَ لِقَائِهَا قَنَادِيلُ أَبْوَابِ السَّمَاوَاتِ تَزْهَرُ (٦)

---

(١) أجدكم همزة للاستفهام الإنكارى والجد بكسر الجيم ضد الهزل أى أجدا لا يحقون دية فانتصب جدكم على الحال، أى أيفعلون ذلك جادين ؟ وهى كلمة مشهورة فى شعر العرب ، ويضيفون أجد إلى ضمير مناسب من خطاب أو غيبة مذكر وغيره ، وقد تقدمت إضافته إلى ضمير المخاطب فى بيت ٦ ورقة ١٢٥ وجاء مضافاً إلى ضمير جمع المخاطبين فى قول النابغة :

أَجِدَّكُمُ لن تزجروا عن ظُلَامَةٍ سفيهاً ولن ترعوا لِوُدِّى آصِرَه

(٢) اللف هنا الإدخال ومنه قولهم جاء بنو فلان ومن لَفَّ لَفَّهُمْ أى من دخل فيهم ، فلام لَفَّ مفتوح ولام لِفِّهم بالفتح والكسر ، ومنه حى دهماء الناس باللفيف ، لأن أصله أنهم الذين لا يعرفون فى القبيلة أو فى البلدة ، ثم توسع فيه فأطلق على غير أهل الشرف .

(٣) الدأب العادة والفعل الذى يُلازَم فعله وهو السُّنة وتقدم فى ١٠ من ورقة ٧٧ ، وأطاقوا : لغة فى طاقوا . وأصور أفعل ، من قولهم صَوِرَ كفرح ذا مال أى أميل إليه .

(٤) الدعارة اسم مصدر دعر بفتحتين يدعر بفتح العين دعْراً بسكون العين ، وتقدم فى ٢ من ٢٦٨ ، ويجىء فعله من باب فرح فيكون مصدره الدعر بفتح العين .

(٥) أراد بالملحقين بفتح الحاء قوما من قبيلة ليسوا من صميم القبيلة بل فى نسبهم منهم مغمز ، فهم لصقاء وإذا كان المفتخر إنما يفتخر بمن هم أشرف منه فما ظنك ببنى زيد وهم يفتخرون بالملحقين فهم فى وهن على وهن . وقوله عشيــة تكميل واستعانة كقولهم يوما .

(٦) المَسعاة بفتح الميم مأثرة الفضل والشرف .

والمعنى يريدون مماثلتى فى الشرف ، فالتقدير يريدون نوال مثل مسعاتى ، ففيه حذف مضافين ومضاف إليه القرينة . وقناديل أبواب السماوات النجوم ، وأضافها إلى الأبواب لأنه أراد بالقناديل الشهب التى ترجم الشياطين إذا حاولوا اقتحام السماوات ، وأثبت للسماوات أبوابا كما قال تعالى لا تفتح لهم أبواب السماء . ودون بمعنى أقل وأهون ، فالمعنى أن ما أرادوه أهون منه نوال النجوم . وهذا كما يقال أين الثريا من الثرى . واللقاء المصادفة وأطلقه هنا على النوال وتزهر بفتح التاء وفتح الهاء مضارع زهر كمنع فى لغة .

فَتَلَ فى بنى زيد كما قال مُعْرِبٌ قواريرُ حَجّام غداً تَتَكَسَّرُ (١)

• وأنشد له فى كتاب الوساطة صفحة ١٧٥ :

إذا أنشد حمادٌ فقل أحسنَ بشّار (٢)

• وأنشد له فى شرح مختار المختار صفحة ٨ عن أبى العباس المبرد وزعم شارح المختار أن فيها أبياتاً تشبه ما اختاره من القصيدة التى فى صفحة ٢٤٧ من الجزء ٣ من الديوان وليست هذه من القصيدة المذكورة ، سوى أنها ألحق فيها البيت ١٧ من ورقة ٢٥٨ فحذفناه :

يَكادُ القلبُ من طَرَبٍ إليهم ومن فرط الصَّبابة يُسْتَطارُ (٣)

وفى الحى الذين رأيت خَوْدٌ لَعُوبُ الدَّلِّ آنسةٌ نَوَارُ (٤)

---

(١) المعرب المفصح عن معنى . والظاهر أن قوله قوارير حجام الخ مثل من أمثالهم فى البصرة ، وقوارير الحجام هى صحاف صغيرة من الزجاج يمتص دم الحجامة بواسطتها وإنما اتخذوها من قوارير لما تحضروا ، وكانت من قبل تتخذ من حديد ، وكانوا قبل ذلك يمتص الحجام الدم بفمه . ومعنى غداً تتكسر : قريباً تتكسر ؛ لأن غداً زمن قريب ، وإن غداً لناظره قريب . والقوارير جمع قارورة . وهى اسم لإناء يتخذ من زجاج يقر فيه الخمر ولذلك أطلق على الزجاج قوارير فى قوله تعالى : قال إنه صرح ممرد من قوارير ، أى متخذ من طين القوارير وهو الزجاج . وتقدم فى ١ من صفحة ٣٦ ملحقات .

(٢) أخذ هذا البيت أبو نواس فزاد عليه بيتين آخرين فقال فى داود بن رزين الشاعر وكان يسرق من شعر بشار :

إذا أنشد داود فقل أحسن بشار

له من شعره الجم إذا ما شاء أشعار

وما منها له شىء ألا حبذا هو العار

(٣) يُستطار أى يطار فالسين والتاء للمبالغة مثل استجاب ، يقال استطار بمعنى طار أى يكاد قلبى يطيره الطرب .

(٤) الخود بفتح الخاء الشابة تقدم فى ٨ من ١٦٢ . واللعوب بفتح اللام كثيرة اللعب ، والدل بفتح الدال إظهار المرأة للرجل جرأتها عليه ، مخالفة له وبمعنى وجه المزاح واللعب . وتقدم الدلال ...

يَزيدُ الفارضين كأنّ فيها ... بُعَيدَ النومِ عاتقةً عُقار

إذا لمس اللامسُ كاد يقضي ... حِذارَ البينِ لو نفع الحذار (٢١)

ويودُّ الليلُ زيدَ إليه ليلٌ ... ولم يُخلَقْ له أبداً نهار

* وأنشدها في عقار الحذار سنة ١٢٦٧ وفي المجموعة بعضها أما البيت الأول ففي المجموعة خاصة ::

عنّي يميني وعن يساري وقدّامًا ... ومن خلفي الهوى فكيف أفرّ (٢٢)

أنا إن زلّتُ عن مقامي للأمر ... ربّني تحت أخمصي ما يضير (٢٣)

كزيلي رجليه عن جبل الطور ... وما حوله من الأرض يجري (٢٤)

صفحة ١٣٣ من ٦٦٢ بالإضافة الموجهة إلى الليل ليلين بنفس القلب .. والحوار بفتح النون وتخفيف الراء المرأة الفقيرة وجمعه بسكون الراء والأصله بضمتين فكرهوا الضمة على الراء فخففوا الضمة ..

((٢١)) تقدم الكلام في المعلقات .. والمراد باللامس المؤذن لصلاة الصبح .. وضمير كاد عائد إلى القلب ..

((٢٢)) المراد أحاط به الطلب من جميع جهاته وذلك تمثيل لصور الاقتفاءات منه .. أخذه من قوله تعالى : ثم لآتينهم من بين أيديهم .. الآية ..

((٢٣)) مثل حاله بحال من طولب أن يخرج عن مكانه ويحيد في إخمصه ليؤخذ فيخفيه من كلل خطواته .. هذا تمثيل لحال الصبر المتفادي من الطلب ، وزلت بضم الزاي كقمت لأنه يجوز نقل مفتوح العين وما كان من معتل العين محركا بالفتح فهو إذا أسند إلى تاء المتكلم أو نونه يسكن لامه لأجل الضمير فتلتقي العين واللام ساكنين فتحذف العين وتحرك الفاء بحركة مجانسة لأصل العين المحذوف إذا لا يجيء بالفتح لأنه لا يظهر علامة الحركة المحذوفة للحركة التي في أول الفعل والمتقدم كان أصل الفعل زال ومعناه فهو عند اتصاله بتاء المتكلم به يحرك فاؤه بالحركة المناسبة وهي الضمة .. وضبط في طبعة عقار الحذار بكسرة تحت الزاي ولا يصح إلا على لغة قليلة تجعل زال من باب خاف مقدرا عينه محركا بكسرة فإذا اتصل بتاء الضمير حركت فاؤه بكسرة وهي لغة قليلة .. ولا يعني هنا مناسبة .. وفي الحديث أن اللغة بنصفه تسمى بعربي ولا ينبغي وهو غير معنى لأنه بمعنى المستقر الرحيب وقد تقدم في ص ٣٣٠ من الجزء الأول .. وجملة ولي صفة الأمر وتحت أخمصي ظرف مستقر صفة ثانية الأمر .. وما يضير ما يفيد تحقيق الحالة صفة ثالثة الأمر .. والمقام المكان الذي يقام به والمراد به هنا مقام القرب من حبيبه .. والأخمص باطن القدم من الرجل وما في تحتها ..

((٢٤)) قوله كزيلي خبر عن قوله أنا في البيت قبله وهو دليل جواب الشرط المحذوف لوقوعه حيث خبر المبتدأ .. والكلام تمثيل حالة الملقى حبيبه والقلب وأن ذلك خير من عطائه في قلبه

بَرَقَتْ لى حتى إذا قلتُ جادت أقلعَتْ عن جَهامَةٍ لا تَدِرُّ[1]

أيُّها البارق الذى ليس يُجْدِى قد عَرَفْنَاكَ فالتمِسْ من تَغُرُّ[2]

* وأنشد له الراغب فى المحاضرات صفحة ١٧٣ جزء ١ :

رُبَّمَا سَرَّكَ البعيدُ وَأَصْــلاَ كَ القريبُ النسيبُ ناراً وَعَارا

* وأنشد له فى زهر الآداب صفحة ٣٥٢ جزء ٣ يرثى صديقاً له أُخذ فى خزية فقتل وصلب[3] :

ـ لأنه لو فارقها لأجل أذاها كان كمن حاول التخلص من أذى قليل فوقع فى ضر شديد مثل من أراد التخلص من بلل المطر فوقع فى البحر وهذا كقوله :

إذا كنت فى كل الذنوب معاتبا خليلك لم تلق الذى لا تعاتبه

(١) شبه مواعيد حبيبته المطمعة بسحابة تبرق لطالب الغيث ومرتاد الكلأ فإذا ظنها جاءت بالغيث أقلعت وسارت . قال الشاعر :

كما أبْرَقَتْ قوماً عطاشاً غَمَامَةٌ فلَمَّا رَأَوْها أقْشَعَتْ وتَجَلَّتِ

والجهامة السحابة الخالية من المطر .

(٢) معنى ليس يجدى ليس يمطر والجدا المطر العام أجدى أمطر ، يقول لها قد جربت مواعيدك فلا أغتر بها بعد ، وقوله فالتمس من تغر مثل حال ذلك البارق بحال من يريد أن يغر غيره فخاطبه والمقصود مخاطبة التى شبهها بالبارق كقول الشاعر :

ألاَ يا نَخْلَةً من ذات عِرْقٍ عليكِ ورحمـــة الله السلام

فالسلام على المشبهة بالنخلة لا على النخلة .

(٣) لعل صديقه هذا هو صالح بن عبد القدوس الشاعر فقد كان صديقاً لبشار وقتله المهدى كما فى نكت الهميان عن ابن الأنبارى وفى تاريخ بغداد ومعجم ياقوت ، وقالوا قتله المهدى بيده أرسل إليه المهدى فجىء به من دمشق شيخاً كبيراً ، وقال الخطيب البغدادى وصلب على الجسر أى جسر دجلة ولعله هو المقصود بقول بشار فى بيت ٢١ من ورقة ٢٢٨ من الديوان :

وجَارُ دجْلَةَ حلَّت بى مصيبته وفاتنى سَيِّدٌ من معشر سُودِ

وغاب عنى هنالك أن أشرحه بما هنا . ولم يذكروا سنة وفاته . وفى ترجمة على بن خليل صفحة ١٥ جزء ١٣ من الأغانى أن الرشيد هو الذى قتل صالحا بن عبد القدوس والظاهر أنه خطأ لأن الرشيد لم يؤثر عنه ذلك ، ولعل وفاته فى سنة ١٦٧ وهى سنة وفاة بشار أو قبلها بعام ولا نعرف شعراً فى مصلوب قبل شعر بشار إلا للأخطل وهو قوله فى صفة مصلوب : —

لَعَمْرِى لَئِنْ أصبحتَ فوق مُشَذَّبٍ طويلٍ تُعَفِّيكَ الرياحُ مع القَطْرِ (١)

لَقَدْ عِشْتُ مَبْسُوطَ اليَدينِ مُبَرِّزًا وعُوفيت عند الموت من ضَغْطَة القَبْرِ (٢)

ـ كأنَّه عاشقٌ قد مَدَّ صَفْحَتَه يومَ الفراقِ إلى توديعِ مُرْتَحِلِ

أو قائمٌ من نُعَاسٍ فيه لَوْثَتُهُ مُوَاصِلٌ لتَمَطِّيهِ من الكَسَلِ

(١) المشذب المنحوت والتشذيب قطْع العود من الشجر ، أراد به العود الذى صُلب عليه . وعفَّاه جعله عافياً أى أزال أثره ، والعفاء ممدود إذهاب أثر الشىء أى تُمَزِّق الرياح أوصاله ويُرَهِّل المطر جلده فيسرع إليه الهلاك .

(٢) اللام الداخلة على جملة الشرط تسمى مُوَطِّئة للقسم أى مهيئة له ومنبهة عليه . ولقد عشت جواب القسم الذى وطأته اللام وأغنت عن ذكره ، وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم وهكذا كلما وقع فى كلامهم قسم وشرط حذفوا جواب الثانى منهما ودلوا عليه بجواب أولهما والتقدير والله لئن أصبحت مصلوبا على عود مشذب فقد عشت مبسوط اليدين ، وهذا فى التحقيق إنما هو علة الجواب استغنى بها عن المعلول إيجازاً لأنه ليس المعنى على تعليق كونه مبسوط اليدين بإصباحه فوق مشذب ، وإنما المعنى إن أصبحت فوق مشذب فلا عار عليك ولا انتقاص من فضلك لأنك عشتَ مبسوط اليدين مكرماً عند الناس فإنما الكمالات والنقائص تستند إلى الأحوال الاختيارية فى الحياة لا إلى ما يفعل بالميت بعد موته . ومعنى مبسوط اليدين الكناية عن السخاء والكرم كما قال تعالى : بل يداه مبسوطتان . ووجه ذكر هذا دون غيره من الفضائل الإشارة إلى أن فى هيأة صلبه مناسبةً لوصف كان فى يديه مدة حياته فكان ما فعل به من صلبه شهادة له بكرمه . وهذا يتضمن تشبيه محسوس بمعقول وفيه إثارة لغيظ أعدائه وإزالة لشماتتهم بصلبه ولتسلية نفسه على صديقه وقد كانوا يصلبون المصلوب ممدد اليدين على صورة صليب النصارى والصلب هو ربط الجسد على عود دون أن يكون رجلاه متصلتين بالأرض أو دق الجسد على العود بمسامير وهو ضرب من ضروب القتل ، كانوا يصلبون المحكوم بقتله قبل أن يقتل ويطعن وهو مصلوب وربما قتلوه ثم صلبوه ولا يكون الصلب دون قتل يسبقه أو يعقبه وهو عقوبة قديمة معروفة فى الصين وحكاها القرآن عن فرعون فى زمن موسى وجعلها القرآن عقوبة المحارب فى آية سورة العقود . ولفقهاء الإسلام أقوال فى صفة الصلب وفى موجباته وفى مدته ووقته وأول مصلوب صلب فى الإسلام من الكفار عُقبة بن أبى معيط أمر بصلبه النبى صلى الله عليه وسلم منصرفه من بدر وكان من أسرى بدر ، وأول مصلوب فى الإسلام من المسلمين هانئ بن عُروة المُرادى ومسلم بن عقيل بن أبى طالب صلبهما عبيد الله بن زياد بسوق الكوفة سنة ٩٠ أى بعد أن قطعت رؤوسهما ووجها إلى يزيد بدمشق ثم عبد الله بن الزبير صلبه الحجاج بمكة بعد أن قتله بالحجون وحمل جسده فصلب بمكة سنة ٧٣ . ومن أشهر المصلوبين فى الدولة العباسية جعفر بن يحيى البرمكى صلبه الرشيد ثم قطعه ثلاث قطع ثم أحرقه . والمبرز بكسر الراء اسم فاعل من برز إذا فاق فى الفضائل من شجاعة ونحوها . والضغطة بفتح الضاد المرة من الضغط وإضافته إلى القبر من إضافة المصدر إلى فاعله ، أشار به إلى ما شاع بين المسلمين من أن القبر يضغط على الميت ضغطة لا ينجو منها أحد —

وأفلَتَّ من ضيق التُّراب وغَمِّه ... ولم تفقد الدنيا فهل لك من شكر (١)

فما تشتفي عيناىَ من دائم البُكى ... عليك ولو أنى بَكَيت إلى الحشْر (٢)

فطُوبَى لمن يبكى أخاه مُجاهراً ... ولكننى أبكى لفقدك فى سِرى (٣)

— ثم يفسح للمؤمن بعدها ، روى ذلك فى حديثين أحدهما الترمذى عن أبى هريرة بسند حسن والآخر عن حذيفة بسند ضعيف وعائشة بسند جيد كلاهما فى مسند أحمد بن حنبل ولكونها ضغطة واحدة للمؤمن أتى بشار بالمصدر على صيغة المرة وأشار إليه الحريرى بقوله « كأنى بك تنحط إلى اللحد وتنغط وقد أسلمك الرهط إلى أضيق من سمّ » وقد زعم بشار أن المصلوب لما لم يكن له قبر فقد سلم من هذه الضغطة وهذه مغالطة لأن المصلوب قد يدفن بعد صلبه [زمناً] طال أو قصر ، وكانوا يتركون المصلوب لا يدفنونه إلا بعد زمان قد يطول ويقصر ، وقد بقى عبد الله بن الزبير على عود صلبه عاما كاملا وبقى زيد بن على بن الحسين معلقاً أربع سنين . وصلب الرشيد جعفر بن يحيى البرمكى ثم قطعه ثلاث قطع وأحرقه ، وإنما قصد بشار إغاظة الذين صلبوا صديقه بأنهم كانوا سبباً فى نجاته من أهوال كثيرة . وقوله عند الموت كذا فى زهر الآداب ولعل فيه تحريفاً وأن الصواب بعد الموت .

(١) أفلتَّ بمعنى نجوت وهو بهمزة مفتوحة فعل ماض يقال أفلت فلان تخلّص ، والمراد بالتراب تراب الدفن وهذا إيهام من بشار السامعين أن الميت يسوءه ضيق القبر وتغير التراب على حسب أوهام العموم وتخيلاتهم وإلا فليس للميت بعد الموت إلا عواقب عمله وبشار لا يجهل ذلك . ومعنى ولم تفقد الدنيا أنك لم تزل تبصر الدنيا التى تعلق الناس بإلفها وحبها ، وهو أيضاً إيهام وتخييل بأن الميت يشعر بما حوله من محاسن ومكاره على حسب أوهام العموم وإنما هذه المعانى يكثر دورانها بين الناس فى مناسبات الموت تساق التسلية لأهل الميت وأحبائه والناس يتقبلون منها على أقدار سذاجتهم وضعف علمهم بالدين . ولما كانت هذه نعماً فى تخييله وإيهامه خاطب المرثى بقوله فهل لك من شكر ؟ أى فهل شكرت الله على هذه النعمة ؟ وقد أخذ الشاعر محمد بن يعقوب الأنبارى من هذه الأبيات قوله فى رثاء الوزير محمد بن بقية وزير عضد الدولة بن بويه لما صلبه عضد الدولة فى بغداد سنة ٣٦٧ وزاد على بشار تصرفاً ومعانى فلم تكن أبياته سرقة شعرية ولكنها متابعة :

ولما ضاق بطن الأرض عن أن ... يضم علاك من بعد الممات

أصاروا الجو قبرك واستنابوا ... عن الأكفان ثوب السافيات

وهى مشهورة بين أهل الأدب .

(٢) قوله فما تشتفى عيناى من دائم البكا ، الفاء لترتيب الكلام على الكلام السابق أى مع ما نلت من المفاخر حياً وميتاً مما هو مسلاة لصديقك عن فقدك فإن عينى لا تشتفيان من البكاء ، واستعار الشفاء للإقلاع عن البكاء لأن شأن الذى يشتفى غليله من شرب الماء أن يقلع عن الشرب ، فالمعنى لا أزال أبكى إلى انتهاء العمر .

(٣) هذا يدل على أنه كان متستراً فى الحزن عليه لئلا يتهم بموافقته فى اعتقاده لأنه كان ملموزا بذلك فلذلك اغتبط الذين لا يتسترون فى البكاء على إخوانهم أى أصدقائهم ، وهذا معنى قوى الأثر فى الحزن لم أر من سبقه إليه ، فهذه الأبيات إنما حفظها من خاصته وأهل سره فأثبتوها بعد تقشع تلك الغياهب .

* وأنشد له فى زهر الآداب صفحة ٢١ جزء ٢ :

وقد كنتُ فى ذاك الزمان الذى مضى ... أُزارُ ويدعـــونى الهَوَى فأزُور

فإن فاتنى إلفٌ ظللت كأنما ... يُدير حياتى فى يديه مدير[1]

ومُرْتجَّةِ الأرداف مهضومةِ الحشَا ... تَمُور بسِحْر عينُهـــا وتَدُور

إذا نظرتْ صَبَّتْ عليــك صبابةً ... وكادت قلوبُ العالَمين تَطِير

خَلَوْت بها لا يَخلُص الماء بيننا ... إلى الصُّبح دُونِى حَاجِبٌ وسُتور[2]

* وأنشد له كثير من الرواة فى أخباره ، ومنهم المعرى فى رسالة الغفران التى بناها على الخيال والتعارف ، ولا إخاله صحيح النسبة إليــه ، وإنما وضعه أعداؤه ليشيع بين العامة ، والعامة لا يتبصرون فى البحث والتبين :

إبليسُ خيرٌ من أبيكم آدَم ... فتنبَّهـــوا يا معشر الفُجَّار

إبليسُ من نار وآدمُ طِينَةٌ ... والأرضُ لا تَسْمُو سُمُوَّ النار

* ومما نسبوه إليه فى الأغانى صفحة ٢٤ جزء ٣ والجاحظ فى البيان وابن الأثير فى الكامل صفحة ٢٣ جزء ٢ ولا إخاله صحيح النسبة إليه كالذى قبله :

الأرضُ مُظلِمَــةٌ والنَّارُ مُشْرِقَةٌ ... والنَّارُ مَعْبُودَةٌ مُذْ كَانَتِ النَّارُ

* وأنشد له الراغب صفحة ٢٦٨ جزء ٢ فى الديار والرسوم :

وأبْدَى البِلَى فيها سُطُورًا مُبِينَةً ... عبَارَاتها أنْ كلُّ بيتٍ سَيَدْثُرُ[3]

---

(١) يعنى إن فاتتنى زيارتى إلى أو زيارته إياى أكن كالذى تدار حياته بيد مدبر ، ولعله يعنى بذلك أنه تضطرب نفسه قلقاً وتحيراً فعبر عن نفسه بالحياة وشبهها بكُرة أو نحوها .

(٢) رواه القالى « فبتنا معا لا يخلص الخ » والمعنى من شدة التضام وتقدم هذا المعنى فى بيت ١ صفحة ١١ ملحقات .

(٣) جعل آثار الديار كالسطور وهو تشبيه قديم سبق به لبيد إذ قال « زبر تجد متونها أقلامها » ثم بنى عليه أن تلك السطور تعرب عن أن كل بيت مصيره إلى الفناء ، وأنّ تفسيرية لمضمون عباراتها .

• وأنشد له الراغب أيضاً فى صفحة ٢٧٠ ولعله من قصيدة البيت السابق :

وَقَفْتُ بها صَحْبِي فظَلَّتْ عِراصُها بدمعِي وأنفاسِي تُرَاحُ وتُمْطَرُ(١)

• وأنشد له فى المجموعة الأدبية :

ومَسْبَحٍ للسَّمامِ تَعْضُدُه يَهْماء ما فى أديمها أثَرُ(٢)

كأنها بالضحى إذا مَرِجَتْ يَمٌّ تداعَى تَيَّارُه الأشِرُ(٣)

---

(١) تراح بالبناء للمجهول : تصيبها الرياح ، يقال ريحَ فهو مروح .

(٢) المَسْبَح الماء الكثير الذى يُسبح فيه ، والسبح العوم ؛ ويطلق السبح على جرى الفرس إذا مد يديه وجرى بسرعة من دون اهتزاز ، والسوابح الخيل ؛ قال امرؤ القيس يصف فرساً : « مِسَحٌّ إذا ما السابحات على الونى ... البيت » وقال طرفة يصف راحلة « وعامتْ بضبعيها نجاء الخفيدد » وكذلك الطيران فى الهواء قد تستعار له السباحة ، وفسر قوله تعالى : فالسابحات سبحاً بأن الملائكة تسبح بين السماء والأرض . وتعضده : تشده وتكون له كالعضد وهو تشبيه للطبقة الجوية بأنها مرتكزة على الأرض . والسَّمام بفتح السين وتخفيف الميم اسم جمع سَمَامة صنف من الطير يشبه السمانى سريع الطيران . واليهماء بفتح المثناة التحتية ممدوداً الفلاة التى لا يهتدى فيها السائر ولا ماء فيها . والأديم الجلد ؛ ووجه الأرض يسمى أديماً تشبيهاً بالجلد . ومعنى ما فى أديمها أثر : ما فى وجهها أثر السير ولا أعلام تدل على الطريق .

(٣) شبه اليهماء فى وقت الضحى وهو وقت اشتداد السراب باليم وهو البحر . ومرجت اليهماء واختلطت أى اختلطت أجزاؤها فلا يميز السائر فيها مواقع سيره وذلك من قوة السراب . وتداعى أصله : دعا البعض بعضاً ، يقال تداعت القبائل إذا تألبوا واجتمعوا . والتيار : معظم الماء ، تقدم فى ١٤ من ١٩ . والأشر بكسر الشين وصف من أشِرَ إذا بطر ، أى اجتمع تياره واشتد هوله فلا يستطاع السبح فيه فكذلك هذه اليهماء . وإذ كنا لم نقف على ما قبل هذين البيتين وما بعدهما حتى يتضح مقصد بشار فيهما كان معناهما محتملا عدة وجوه : أحدها أن يكون المقصود وصف سيره فى فلاة موماة ، وهذا المقصد كثير فى شعره فيكون أراد بالمسبح طريق السير ، شبهه بالمسبح تبعاً لتشبيه سرعة سير الرواحل فيه بالسبح ، ولعل اختيار هذا اللفظ يرجح هذا المعنى ويكون أراد بالسَّمام الرواحل شبهها بالسمام فى سرعة نص سيرها ، وهو تشبيه سابق أتى به النابغة فى قوله يذكر رواحل الحج :

بمصطحبات من لَصَافٍ وثَبْرَةٍ يَزُرْنَ إلالاً سَيْرُهن التَّدَافُعُ

سَمَامًا تُبَارِى الريحَ خُوصًا عُيُونُها لَهُنَّ رَذَايا بالطريق ودائعُ

فالمعنى وأرض تجرى بها الرواحل المشبهات بالسمام . وتعضده تحف به كما يحف العضد بالجسد أى لا يجد السائر منصرفاً عن ذلك الطريق لأن الأرض المحيطة به مضلة ومجهلة ، ثم شبه اليهماء بالبحر إلى آخره ، وهذا الوجه هو الأرجح وهو جار على طريقة امرئ القيس وطرفة وخاصة النابغة .

—

* وأنشد له فى نهاية الأرب صفحة ٣٦ جزء ٢ وفى المستطرف صفحة ١٧ جزء ٢ :

وما ظَفِرَتْ عينى غداةَ لقيتُها ... بشىء سوى أطرافِها والمحَاجِرِ
وحَوْراء من حُور الجِنان غَريرةٍ ... يَرى وجهَه فى وجهها كلُّ ناظرِ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٢ جزء ٣ :

قال رِيمٌ مُرَعَّثٌ ... ساحرُ الطَّرْفِ والنَّظَرْ (١)
لستَ واللهِ نائلى ... قُلْتُ أو يَغْلِبَ القَدَرْ (٢)
أنتَ إنْ رمتَ وصْلَنا ... فانجُ هل تُدْرِكُ القَمَرْ (٣)

— الوجه الثانى أن يكون أراد بالمسبح الجو الذى يكتنفه وأراد بالسهام حقيقتها وهى الطير ، وسماه مسبحاً لأن الطيران يشبه بالسبح كما علمت . وتعضده بهماء أى تشده جعل الأرض كالأساس للجو إلى آخره .

الوجه الثالث أن يكون أراد بالمسبح حقيقته وهو البحر أو النهر أى نهر الدجلة أو الفرات ، وأراد بالسهام السفن السابحة فيه وتعضده تحف به الأرض التى لا ساكن بها . وشبه الأرض فى الفيحى بالبحر فصار كأنه محوط ببحر . وهذا المعنى قد طرقه بشار فى بعض شعره وإن كان هنا أضعف الوجوه .

(١) مر فى المقدمة قول بعضهم إن بشاراً لُقب بالمرعث من قوله فى هذا البيت . والمرعث لابس الرعاث بكسر الراء جمع رعثة بفتح فسكون القرط . والريم الظبى . فقوله مرعث تجريد للاستعارة كقول طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن ... مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد

والطرف العين . وحرف التعريف عوض عن المضاف إليه كقوله تعالى : فإن الجنة هى المأوى على رأى الكوفيين . وإسناد السحر إلى الطرف مجاز ، شُبه تأثير حسن عينها فى نفس من يراها بتأثير السحر فى المسحور ، وعطف النظر على الطرف إما عطفُ مرادفٍ ولا يليق ببلاغة بشار ، فالوجه أنه أراد تأثير نظرتها إليه أى ساحرٌ طرفُها ولو لم تنظر إليك وساحرٌ نظرُها إليك .

(٢) يغلب منصوب بإضمار أن ، لأن أو فيه بمعنى إلا ، فكلامه تلقين لها فى يمينها ، أى قولى إلا أن يغلب القدر عينك وهذا من عطف التلقين كقوله تعالى : قال إنى جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتى . وجملة أو يغلب القدر معترضة بين المقول . والقدرُ اسم إسلامى يدل على مجموع علم الله بالأشياء قبل وقوعها وعن إرادته وقوعها قال تعالى : ثم جئتَ على قدرٍ ياموسى . وفى الحديث كل شىء بقضاء وقدر .

(٣) فانج أمر من نجا ، المراد به الفرار ، وهو كلمة تقال فى التحذير من شر يتوقع ، ويقال انجُ بنفسك والمعنى أنها تُحذّرُه من حراس أهلها . وجملة هل تدرك القمر تعليل لما يتضمنه قوله فانج من تعذر الوصل بها . والاستفهام إنكارى .

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٢ جزء ٦ :

يا عبدَ حبّى لكِ مستور وكلُّ حب غيره زورُ
إن كان هجرى سرّكم فاهجُروا إنى بما سرّكِ مسرورُ

• وأنشد له فى للوشح صفحة ٢٥٠ :

كنتُ إذا زرتُ فتى ماجدا تشقّق بكفّيه الدنانير

• وأنشد له فى الصبح للنبى :

إذا رضيتمُ بأن نجفَى وسرّكمُ قولُ الوُشاة فلا شكوى ولا ضجَرا (١)

• وأنشد له فى الصبح للنبى :

وإذا أقلَّ لىَ البخيل عذرتُهُ إن القليل من البخيل كثير (٢)

• وأنشد له عبد الله التجانى التونسى فى تحفة العروس (٣) :

والثَّدْىُ تحسبه وَسْنانَ أو كَسِلاً وقد تمايل مَيْلاً غيرَ مُنكَسِرِ (٤)

---

(١) أخذه المتنبى فقال وأجاد :

إن كان سرّكمُ ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألمُ

(٢) قال بشار فى هذا المعنى (فى صفحة ١ من الجزء ٣) :

ألا علمتَ وأنتَ غيرُ مُفنّد أنّ القليل من البخيل كثير

وهذا المعنى أخذه المتنبى فى قوله :

قليلٌ منك يكفينى ولكن قليلُك لا يُقال له قليل

(٣) عبد الله التجانى أحد أدباء تونس، من كتاب الدولة الحفصية فى القرن السابع، له كتاب « تحفة العروس ونزهة النفوس » فى ذكر معاشرة النساء وصفاتهن وآداب ذلك ، طبع فى القاهرة بالمطبعة الشرفية سنة ١٣٠١ ، وسمى فى الطبعة محمد وهو التباس . ذكر هذا البيت فى صفحة ١٣٥ .

(٤) قال [فى تحفة العروس] : أخذه بشار من قول المرار بن منقذ :

صَلْتَةَ الخدّ طويل جيدُها ضَخْمَة الثّدي وَلمّا يَنكَسِرْ

قافيــة السين

* أنشد له فى الأغانى صفحة ٣٥ جزء ٣ وصفحة ٤٩ جزء ٦ يخاطب الحسن البصرى(١) :

لمّا طَلَعْنَ من الرّقيـــقِ علىَّ بِالْبَرَدَانِ خَمْسا(٢)

— أى أخذ قوله غير منكسر ، ويظهر أن قوله وسْنان أوكسلا غريب فى وصف الثدى ، وإنما يناسب وصف الطرف ، وقد وقع لبشار بيت فى هذا البحر والقافية فيه أكثر ألفاظ هذا البيت فى وصف الغصن وهو :

والدعص تحسبه وسنان أو كسلا غَضٌّ وقد مال مَيلا غَيْرَ مُنْكَسِر

تقدم فى صفحة ٢٤٥ من الجزء الثالث من الديوان ، وأصلحنا قوله : « والدعص » بأن الظاهر أنه والغصن . ولعل هذا البيت المروى فى تحفة العروس من قصيدة فى بحر وقافية القصيدة التى فى الديوان ورد فيها وصف الثدى بهذا البيت المشابه لبيت القصيدة التى فى الديوان . وقد يقع مثل هذا فى أبيات بشار قليلا ، فإذا صح ما رواه فى تحفة العروس فتشبيه الثدى بالوسنان والكسل أراد به أن ربة الثدى شابة تجاوزت سن المُفَلِّكَة فضخُم ثديها ومال قليلا برأسه إلى أسفل فكأنه وسنان أو كسلان ، وأنها لم تبلغ به حدّ الإرضاع بحيث يصير منخفضاً ، ولذلك قال وقد تمايل ميلا ، أى أخذ يميل ميلا قليلا فتنكير ميلا للتحقير ، ولذلك أكده بقوله غير منكسر .

(١) فى الأغانى : كان لبشار فى داره مجلسان : مجلس يجلس فيه بالغداة يسميه البَرَدَان ، ومجلس يجلس فيه بالعشى اسمه الرقيق ، فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لغلامه : أمْسِكْ علىَّ بابى واطبخ لى من طيب طعامى وصَفِّ نبيذى ، فإنه لكذلك إذ قُرِع الباب قرعا عنيفاً ، فقال ويحك يا غلام ! انظر من يدق الباب دقّ الشُّرَط ، فنظر الغلام فقال : نسوة خمس بالباب يسألن أن تقول لهن شعراً ينُحْنَ به ، فقال أدْخِلْهنّ ، فلما دخلن قال لهن : لستُ بقائل لكنّ حرفا أو تَطْعَمْنَ من طعامى وتشربْنَ من شرابى ، فأمسكن ساعة ثم قالت واحدة منهن : ما عليكن ، هو أعمى ، فأكلن وشربن وأخذن شعره ، فبلغ ذلك الحسنَ البصرى فعابه وهتف ببشار فبلغه ذلك ، وكان بشار يلقِّب الحسن البصرى بالقَسّ ، قال بشار يعتذر للحسن : لما طلعن . . الأبيات اهـ . وأحسب أن قول النسوة لبشار إنهن يسألن شعراً ينُحْن به ليس بصدق ، ولكنهن أردن إيجادَ سبب لمكالمة بشار إذ لو أردن النياحة لكُنّ فى شغل عن البقاء بيت بشار .

(٢) الظاهر أنهن دَخَلْنَ من موضع الرقيق المفضى إلى البَرَدَان .

وكأنَّهُنَّ أهـــــلةٌ تحتَ الثياب زَفَقْنَ شمسا(١)
باكَرْنَ عِطْرَ لَطِيمَـــةٍ وغَمَسْنَ فى الجَادِىِّ غَمْسا(٢)
لما طلعن حَفَـــفْنَها وأصَخْنَ ما يَهْمِسْنَ هَمْسا(٣)
فسألْنَنى مَن فى البيـــوت قلتُ ما يأوِينَ إنْسا
ليتَ العيونَ الطارقا تِ طُمِسْنَ عنَّا اليومَ طَمْسا(٤)
فأصَبْنَ من طُرَفِ الحديـــثِ لَذَاذَةً وخرجْنَ مُلْسا(٥)
لولا تَعَرُّضُهُنَّ لِى يا قَسُّ كُنتُ كأنْتَ قَسَّا(٦)

---

(١) جعل أربعا منهن أهلة وواحدة منهن شمسا وهى أحسنهن منه نغمة كلام أو بَدْءَ سلام .

(٢) اللطيمة : وعاء التاجر ، ومنه لطيمة كسرى التى كان يُسَيِّرها إلى بلاد العرب كلَّ عام ، وكان يجيزها فى كل حى تمر عليهم سيدُ ذلك الحى ، وتطلق اللطيمة على حصير يفترشه التاجر صاحب اللطيمة يضع عليه سلعه . والجادى : الزعفران ، وكان من طيب النساء . والمعنى أنهن متطيبات بأصناف الطيب من وقت البكور وهو أول الصباح ، وذلك كناية عن كونهن ذوات رفاهية لا يشتغلن بتدبير البيوت لأنهن مخدومات .

(٣) هكذا كتب حففنها بحاء مهملة ؛ فالمراد أن أربعا حففن الخامسة التى وصفها بالشمس ، ولعله تحريف خففنها بخاء معجمة ، أى خففن الثياب المذكورة فى قوله تحت الثياب . والهمس : الصوت الخفى ، والمعنى أصاخ بعضهن إلى بعض .

(٤) روى الطارقات ، وروى الناظرات .

(٥) وقع فى الجزء الثالث من الأغانى قوله ملسا بقاف فى أوله ولا معنى له ، ووقع فى الجزء السادس بميم وهو الصواب . والطُّرَفُ : بضم الطاء وفتح الراء جمع طُرْفة ، بضم فسكون ، وهى المال والمتاع الجديد ، شبه به الكلام الحسن . ومعنى ملسا : نقيات . والأملس الشىء لا تعيب [فيه] ولا أحد يدأب فى ظاهره ، أى ما أصابهن سوء ، أراد بذلك عفافه وعفافهن ، ولعله أراد التعريض بقول الفرزدق :

خرجن إلىَّ لم يُطمثن قبـلى وهن أصح من بيض النعام
فبتن بجانبىَّ مصرَّعات وبتُّ أفض أغلاق الختام

(٦) القَسّ بفتح القاف وتشديد السين : أصله عالم النصرانية ، ثم أطلق على العالم مطلقاً ، كما أطلقه بشار هنا . وأما قس بضم القاف فاسم ابن ساعدة الإيادى ، خطيب العرب وحكيمهم وأسقف نصارى نجران ، ولعل وجه ضم القاف فيه أنه سمى باسم القَسّ بالفتح ثم غُيِّر لأجل التسمية ، كما قال ابن جنى فى شرح الحماسة فى قول أبى كبير الهذلى : —

وأنشد له الغرناطي في شرح الحازمية ولعله رواية في البيت السابع من هذه الأبيات :

ومكللات بالعيـــو ن طرقننا ورجعن ملسا[1]

• وأنشد له في عيون الأخبار صفحة ١٦٢ جزء ٣ :

أثني عليك ولي حال تُكذِّبني فيما أقول فأستحيي من الناس
قد قلتُ إن أبا حفص لأَكرمُ من يمشي فخالفني في ذاك إفلاسي[2]
حتى إذا قيل ما أعطاكَ من صَفَد طَأطأتُ من سوء حال عندها راسي[3]

• وأنشد له في المختار صفحة ١٦٦[4] :

قومي اصبَحِينا فما صيغَ الفتى حَجَرا لـكن رهينةَ أجداثٍ وأرْمَاس[5]

— [و] إني لَمُهْدٍ من ثنائي فقاصد به لابن عم الصدق شُمْسِ بن مالك

بضم شين شمس وأصله شمس ، بالفتح ، فغير لأجل نقله إلى العلمية ، قلت ولعل منه تسمية الشخص عِمران بكسر العين منقولا من العُمران بضم العين اسم مصدر عَمَّر . وقوله كأنتَ أدخل كاف التشبيه على ضمير المخاطب ،وذلك على غير الغالب في كلام العرب ، لأن الكاف تختص بالدخول على الاسم الظاهر ، وقد سمع دخولها على الضمير كما في قول العجاج في وصف حمار الوحش وأتنه :

فلا ترى بعلا ولا حلائلا كهو ولا كهن إلا حاظلا

(١) معنى مكللات بالعيون : كثرة توجه عيون الناظرين إليهن حتى تكون كالأكاليل لهن ، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس .

(٢) لم أقف على من أراد بأبي حفص . والمعنى أنه لو كان كريما ، لما كنت مفلساً مع أني مدحته ، وذلك معنى قوله أثني عليك .

(٣) طأطأة الرأس كناية عن الحياء . قال أبو تمام :

أتاني مع الرُّكبان ظنٌّ ظننتَه ، نكستُ له رأسي حياءً من المجد

(٤) هذه الأبيات في التلهف من هموم الدهر ، وهي بعضٌ من قصيدةٍ ، لأن البيت الأول لا تصريع فيه ، ويظهر أنه يعرِّض بالحزن على فقيد لا يريد إظهار اسمه ، ولعله يعني صالحاً ابن عبد القدوس ، وكان صديقاً له ، وقد تقدم صفحة ٥٢ ، وقد جاءت هذه الأبيات في البيان والتبيين صفحة ١٧٨ جزء ١ غير منسوبة إلى بشار ، قال : وقال الأول ، فاقتضى أنها لشاعر سابق بشاراً .

(٥) اصبحينا بهمزة وصل ، وهو أمر من صَبَحه من باب مَنَع ، إذا سقاه الشراب صباحاً . وصيغ بمعنى صُور وخلق كقوله في البيت ١٧ من ٢٢٤ : —

قُومِي اصبَحِينا فإنّ الدهرَ ذو غِيَرٍ أفنَى لُقَيمًا وأفنَى آلَ هُرْمَاسِ (١)

اليومَ هَمٌّ ويبدو فى غدٍ خَبَرٌ والدَّهْرُ ما بين إنْعامٍ وإبْآسِ (٢)

— أيصاغ الفؤاد بعد قُبَاه من صَفَاة صمَّاءَ أو من حديد

وقال المعرى فى لزومياته :

قال أُنَاسٌ باطلٍ زعمهم فراقبوا الله ولا تزعُمُنْ

فكّرَ يَزْدانُ على غِرّةٍ فصيغ من تفكيره أهْرُمُنْ

يريد فخُلق إلاه الشر من فكرة سيئة عرضت لإلاه الخير فى زعم المجوس ، ووقع فى البيان وهيئة أحجار ، وهو أول لأن الأجداث والأرماس شىء واحد، فلا يحسن عطف أحدهما على الآخر . والمعنى أن الإنسان خلق ضعيف البنية غير طويل البقاء ، فعليه أن لا يدخر اغتنامَ اللذات فى حياته .

(١) كرر قومى اصبَحِينا للحث والحرص وذلك من دواعى التكرير . ولُقَيم تصغير لقمان كما صغر النابغة سليمان فى قوله :

ونَسْجُ سُلَيمٍ كلَّ قضاء ذائلِ

وأراد بشار لقمان بن عاد : ويقال له صاحب النسور ، يزعمون أنه عُمِّرَ عمر سبعة نسور ، كل نسر عمره مائة سنة ، وآخر تلك النسور يسمى لبدا ، قال النابغة : « أخنى عليها الذى أخنى على لبد » . ومن أمثالهم « طال الأمد ، على لبد » والعرب يضربون المثل بلقمان فى أن المرء ما طال عمره فهو صائر إلى الموت . قال مسكين الدارى :

أولئك قوم قد مضَوْا لسبيلهم كما مات لُقمان بنُ عاد وتُبَّعُ

فهذا هو مراد بشار . وأما لُقَيم بن لقمان بن عاد الذى يزعم العرب أنه ابنه من أخته وقال فيه النمر بن تولب :

لُقَيمُ بن لُقمان من أختِهِ فكانَ ابنَ أختٍ له وابنَمَا

فليس هو مراد بشار لأن لقيما بن لقمان لم يدعوا له طول العمر ، وزعم الجاحظ فى البيان أن بشاراً أراده ولا أحسب ذلك . وأما لقمان المذكور فى القرآن فكان نبيا أو حكيما من الحبشة فى مصر داوود عليه السلام . وهرماس بضم الهاء أراد به ، هُرمس ، وهو الذى يسميه العرب إدريس ، وهو واضع عِلم الحكمة فى مصر ، ويسميه المصريون القدماء « ثوث » ويعتقدون أنه عُمِّرَ طويلا وأنه علَّم الناس تصيير الورق . وقوله آل هرماس أراد به هرماسَ نفسَه ، فكلمة آل مزيدة كما هى فى قوله تعالى : (أدْخِلوا آلَ فرعون أشد العذاب) وقوله : سلامٌ على آل ياسين .

(٢) كتب اليوم همٌّ ، وهو تحريف لا محالة صوابه خَمْرٌ الخ ، لقوله قبله : قومى اصبَحِينا ، وأراد به الإشارة إلى المثَل الذى أرسله امرؤ القيس « اليومَ خَمْرٌ . وغداً أمْر » حين بلغه مَقْتَل أبيه حُجْر .

فاشرَبْ على حَدَثَانِ الدَّهرِ مرتفِقاً   لا يَصْحَبُ المرءَ قرْعُ السِّنِّ بالكَاسِ (١)

• وأنشد له فى البيان صفحة ١٨٧ جزء ١ :

فنِمْنَا والعَـيْنُ حىٌّ كَمَيْتٍ   بحَدِيثٍ كَنَشْوَةِ الخَنْدَرِيسِ (٢)

• وأنشد له فى ربيع الأبرار فى باب الصنائع ورقة ٢٦٢ جزء ١ مخطوط :

ومالَتْ كَفُّ سَاقِينَا   بإبْرِيقٍ إلى طَاسِ
لَهُ قَهْقَهَةٌ فيـــــهِ   على حَبَّـــةِ أنْفَاسِ (٣)

---

(١) على هنا للتعليل ، كقوله تعالى : ولِتُكَبِّروا الله على ما هداكم . وقولهم : أعطاه على شِعْرِه ، وقولهم على ماذا تفعل كذا . والخطاب لنفسه على طريقة التجريد . والحَدَثان أصله مصدر ، وكثر إطلاقه على الحادث ، والغالب أنه يراد به الحوادث المكروهة . قال وَدَّاك ابن ثُمَيْل :

تُلاقُوهُمُ فتَعرِفُوا كيفَ صَبْرُهُم   على ما جنت فيهم يَدُ الحَدَثَانِ

أى اشرب لأجل هموم الزمان ، لأن الشراب يجلو الهموم عندهم . ومعنى مرتفقاً متطلبا الرفق بنفسك بنسيان الهموم ، ونظير هذا قوله الآتى فى قافية الضاد :

فاشرَبْ على تَلَفِ الأحِبَّةِ إننا   جَزَرُ المنيةِ ظَاعنين وخُفَّضَا

والكأس مهموز العين لا غير ، وإنما خففه هنا ثانيا للضرورة ، والكأس مؤنثة ، قال تعالى : "يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء . . الآية ، وهى إناء معد لشرب الخمر واسع الفم ، أى المصب ، بحيث يساوى سعة بطنه أو يقاربها لا عروة لها ولا أنبوب تتخذ من خزف أو زجاج أو فضة أو ذهب . وقد تطلق الكأس على الخمر تسمية للشىء باسم محله ، وقد فُسر به قوله تعالى : يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين . وعن الضحاك وابن عباس : ما وردت الكأس فى القرآن إلا مراداً بها الخمر ، وقاله الأخفش .

(٢) العين : الرقيب ، أى والرقيب نائم أو سكران مطبق .

(٣) أى للإبريق قهقهة فى الطاس ، فشبّه صوت نزول الخمر من الإبريق بالقهقهة . وقوله على حبة أنفاس ، كذا كتب فى النســخة ولم يضبط فإذا لم يكن تحريفا كانت على متعلقة بقهقهة ، ولعل حِبة بكسر الحاء وهى واحدة الحِبَب ، وهى الفقاقيع التى تظهر فى الخمر عند صبها ، والمراد بحبة الجنس لا الفرد ، وإضافة حبة إلى أنفاس إضافة بيانية قصد منها التشبيه ، أى حبة هى للخمر كالأنفاس .

* وأنشد له فى كتاب الصداقة والصديق صفحة ١١٨ :

وكاشِحٍ مُعْرِضٍ عنى هَمَمْتُ به ثم ارْعَوَيْتُ وقُلْتُ النّاسُ بالناسِ[١]

قافيـــة الشين

* أنشد له فى الأغانى صفحة ٥٧ جزء ٣ فى كُرْدِيِّ بنِ عامرٍ المِسْمَعِى[٢] :

ما أنتَ يا كُرْدِىُّ بالهَشِّ ولا أبرِّيكَ من الغِشِّ[٣]
لم تُهْدِنا نَعْلاً ولا خاتَما مِنْ أينَ أقبَلْتَ مِنَ الحَشِّ[٤]

---

(١) لعـل كلمة الناسُ بالناسِ مما كان يتمثل به فى زمانه ، وفى أمثالنا فى تونس « الناسُ وبالناسْ . والناس بَالقه » ، والمعنى أن الإنسان تقوم حاجاته بغيره ، ومراد بشار أنه همَّ بهجوه ثم ترك ذلك استبقاء لحسن المعاملة وأنه قد يحتاج إليه .

(٢) قال فى الأغانى : قدم كردى بن عامر المِسْمَعى من مكة ، وكان صديقا لبشار ، فلم يهد لبشار شيئا ، فكتب إليه بشار هذين البيتين فأهدى إليه هدية حسنة وجاءه فقال أعجلت يا أبا معاذ علينا فأنشدك الله أن لا تزيد اهـ . وكُردى علم ، لعل سببه أنه ولد لأهله فى بلاد الكرد ، وهذا كما يسمون بأسماء عربى وهندى وتركى ، والكردى نسبة إلى الكرد بضم الكاف وسكون الراء ، وهم أمة مواطنها بين الموصل وديار بكر تسمى كردستان ، وهم مختلطة الأنساب بين فرس وعرب ، وبعضهم يزعم أن أصلهم عرب ، وهم أهل شجاعة وفروسية ، وتقدم فى ١٥ من ٢٤٦ . والمِسْمَعى بكسر الميم الأولى وفتح الميم الثانية نسبة إلى مِسْمَع بوزن مِنْبَر ، أبو بطن من بنى تَيْم اللات بن ذُهل بن مالك بن بكر بن سعد بن ضبة .

(٣) الهش بفتح الهاء : هو الذى يعامل الناس بطلاقة وجه ، يقال : هش به يهِش كيذِب ، ويهَش كيمل . وكان من عوائدهم إذا قدم الحاج أن يهدوا إليه طعاما وفواكه ، ويهدى هو إلى أصحابه طُرَفا .

(٤) خص النعل والخاتَم لأنهم اعتادوا إهداءها عند القفول من الحج ، لأن أهل اليمن يأتون بالأدم الرقيق فيبيعونه بمكة ، ولأن أهل مكة تكثر عندهم النعال من تقييد الهدى فيبيعها فقراؤهم للحجيج . وفى البيان والتبيين للجاحظ قال خلف الأحمر :

سقى حجاجَنا نوءُ الثريا على ما كان من مَطْلٍ وبخل
هم جمعوا النعال فأحرزوها وسدوا دُونها بابا بقُفْل
إذا أهديتُ فاكهةً وشاةً وعشرَ دجائجٍ بعثُوا بنَعْل
ومِسْواكَيْنِ طولُهما ذراع وعشر من ردىء المُقْل خَشْلِ —

• وأنشد له فى الأغانى جزء ٣ يستنجز خالد بن برمك جائزته(١) :

— وذكر أبو هلال فى ديوان المعانى أن رجلا وعد دعبلا الخزاعى نعلا يهديها إليه عند قدومه من الحج ، فأبطأ عليه فقال دعبل :

وعدْتَ النعلَ ثم صَدَفْتَ عنها ... كأنك تشتهى شتما وقذفا

فإن لم تُهْدِنى نعلا فكُنْها ... إذا أعجمْتَ بعد النون حرفا

يريد فكن نغلا ، والنغل ولد الزنا . وأهل اليمن يجلبون الأدم النفيس إلى الحجاز فى أشهر الحج ، قال النابغة :

من صوتِ حِرْمِيَّةٌ قالت وقد ظعنوا ... هلْ فى مُخِفِّيكُمُ مَنْ يشترِى أدَمَا

والعرب تستجيد النعال ويمدحون جيدها لبس أهل الشرف ، فى البيان قال الأحنف بن قيس : استجيدوا النعال فإنها خلاخل الرجال . وقال النابغة : « رقاق النعال طيب حجزاتهم » وفى البيان أن أبا العتاهية أهدى إلى الخليفة المأمون نعلا وبعث معها بيتين :

نعلٌ بعثتُ بها لتلبسها ... تسعى بها قدَمٌ إلى المجد

لو كنتُ أقدر أن أشرِّكَها ... خدى جعلت شِرَاكَها خدى

وأما إهداء الخاتم فلأن أهل اليمن يجلبون إلى الحجاز فصوص الجِزْع اليمانى التى تتخذ منها الخواتم ، وهو جزع ظَفَار ، لأنه يكثر فى جبالها . وقوله من الحُش بالحاء المهملة ويجوز فيها الحركات الثلاث ، وهو فى الأصل اسم البستان ومنه : حُشُّ كَوْكَب بستان بالمدينة دفن فيه الخليفةُ عثمان بن عفان رضى الله عنه . ويطلق الحش على موضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يخرجون لذلك إلى البساتين . والحشوش مشهورة كثيرة بالبصرة بلد بشار . قال ياقوت وللحشوش بالبصرة أثمان وافرة ولها تجار يجمعونها ، وقد ذمها الشعراء بذلك . قال محمد بن حازم الباهلى :

ترى البَصْرِى ليس به خفاء ... لمنخره من النَّتْنِ انتشار

ربّا بَيْنَ الحشوش وشَبَّ فيها ... فمن ريح الحُشوش به اصفرار

وبشار قصد أن يكون الكلام موجها ، وآثر هذا اللفظ ليكون كالتخطئة للمخاطب فى قوله أقبلت من الحج ، بأنه اشتبه فى نطقه الشين بالجيم لاتحاد مخرجهما ولا يتميز أحدهما عن الآخر إلا بالصفة ، فالجيم صفتها القلقلة والشين صفتها التفشى ، ولذلك يقولون لولا القلقلة لصارت الجيم شينا ، أما الحاء فيتعين أن يضبط فى بيت بشار بالفتح ليقوى التشابه فى النطق بينه وبين لفظ الحج . وقد ذكر بشار الحش وأنه تنتابه الخنازير فى صفحة ٢٤٩ من الجزء الأول . وقوله من الحش استفهام حذف منه همزته وهو استفهام إنكارى ، وجملة من الحش بدل اشتمال من جملة من أين أقبلت .

(١) قال فى الأغانى : قدم بشار على خالد وهو بفارس فامتدحه فوعده ومطله، فوقف على طريقه وهو يريد المسجد فأخذ بلجام بغله وأنشده البيتين ، فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وقال له: لن تنصرفَ السحابةُ حتى تبلَّك إن شاء الله .

أَظَلَّتْ علينا منكَ يوما سحابةٌ   أضاءتْ لنا بَرْقًا وأَبطَا رَشَاشُها[1]
فلا غَيْمُها يُجْلَى فييأسَ طَامعٌ   ولا غَيْثُها يأتى فيُرْوَى عِطَاشُها

قافيـــة الضاد

* أنشد له فى الأغانى صفحة ٦٠ جزء ٣[2] :

أَجْعَلُ الحُبَ بين حِبي وبينى   قاضياً إننى به اليـــومَ راضٍ[3]
فاجتَمَعْنا فقلتُ يا حُبَّ نفسِى   إنَّ عينى قليـــلةُ الإغماضِ[4]
أنتَ عذبتَنى وأنحلتَ جسمى   فارحم اليـــومَ دائم الأمْراضِ

---

(١) شبه الوعد بالعطاء بالسحابة المخيلة بالمطر وفيها برق ، وشبه مطل الوعد بتأخر نزول الغيث ، وجعل التصريح بالمنع كانجلاء الغيم . وقريب منه قول الشاعر ، ولعله بعد بشار :

كما أبرقتْ قوما عطاشا غمامة   فلما رأوها أقشــعت وتجلت

وبيتا بشار أوفر معانى ، والبيت الآخر أخصر . وخفف همزة أبطأ للضرورة .

(٢) قال فى الأغانى : بعث المهدى إلى بشار فقال له : قل فى الحب شعراً ولا تطل ، واجعل الحب قاضياً بين المحبين ، ولا تسم أحدا . فقال بشار هذه الأبيات ، وهذا من براعة بشار أن يقول شعراً على حسب ما يراد منه لا على حسب ما يريد ؛ وبضد هذه القصة ذكر فى الأغانى أن الفضل بن الربيع خرج يوما من حضرة الرشيد أمير المؤمنين وبيده رقعة فيها أبيات يأمر أمير المؤمنين من حضر من الشعراء أن يجيزها فإذا فيها :

أهدَى الحبيبُ مع الجَنُوبِ تحيةً   فارددْ عليه مع الشَّمَال سلاما
واعرف بقلبك ما تضمَّنَ قلبُه   وتَـــداولا بهـــواكما الأياما
وإذَا بكَيْتَ له فأيقِنْ أنه   سيجـــود أدمعـــه عليك رِهَاما
فاحبِسْ دُموعك رحمةً لدموعه   إن كنتَ تحفَظ أو تحوط ذماما

فلم يوجد من يجيزها اه . وقوله لم يوجد من يجيزها : يعنى لم يستطع أحد أن يجيزها لأن الشعراء متوافرون فى باب الخليفة .

(٣) يتعين أن يكون أجعل فعلا مضارعا بهمزة المضارعة للمتكلم ، والحب بضم الحاء وحِبى بكسر الحاء .

(٤) قوله فاجتمعنا أى أنا والحبيب بين يدى الحب ، وقوله : يا حب نفسى ، خطاب للحب ، وأضافه إلى نفسه إضافة تقريب ، يتملق إليه ليقضى له .

قال لى لا يَحِلُّ حُكْمِى عَلَيْهَا أنتَ أولى بالسُّقْمِ والإحراض[1]
قلتُ لمـا أجابنى بهـــواها شَمِلَ الجَوْرُ فى الهَوَى كلَّ قاضِ[2]

* وأنشد له المرتضى فى الأمالى صفحة ٤٥ جزء ٤ ، وفى المختار صفحة ٢٥ وأحدهما يزيد على الآخر[3] . فالأبيات التى بجانبها شين موجودة فى أمالى المرتضى ، والأبيات الخلية عنه مما فى المختار ، وقد رتبنا الأبيات على ترتيب الشريف الرضى لأنه أوفى ، وألحقنا ما زاده فى المختار على حسب المناسبات وجعلت حروفاً أبجدية لترتيب أبيات المختار خاصة :

---

(١) وقع فى الأغانى طبع بولاق : والأمراض ، بميم فى أوله ، وهو تحريف لأنه يفضى إلى إيطاء ، لأنه كرر لفظ الأمراض فى القافية بالقرب ، وهو فى النسخة المخطوطة عندى من الأغانى : والإحراض ، بحاء عوض الميم ، وكذلك فى طبعة دار الكتب ، والإحراض مصدر أحرضه الحب أى أذابه وأفسد جسمه . قال العَرْجى :

إنى امرؤ لَجَّ بى حب فأحرضنى حتى بكيت وحتى شَفَّنى السقَم

(٢) تصوير حال المحبين فى صورة التحاكم لم نره فى شعر قبل هذه الأبيات ، ومما جاء فيه لبعض المتأخرين :

شَهِدَتْ لواحظه علىَّ بريبةٍ وأتتْ بخط عذاره تذكارا
يا قاضىَ الحب اتَّئِدْ فى قتلتى فالخطُّ زُورٌ والشهود سكارى

ومعظم الشعراء يرضى بجور الحبيب ، وقد قالت علية بنت المهدى :

بنى الحب على الجور فلو أنصف المحبوب فيه لسمج
ليس ما يحسن فى شرع الهوى عاشق يحسن تأليف الحجج

وهذا نظير جعل أحوال المغرمين مسائل للفتوى ، كما تقدم عند شرح [بيت سبق فى المطبوع من ديوان بشار] . ومن قبيل التحاكم الشكاية : قال الوزير أبو بكر الأندلسى يخاطب المتوكل بن الأفطس صاحب بطليوس :

يشكو إليك الذى تخفيه أضلعه بالحضرمية من همٍّ وتسهيد
فانسخ لى السود من أيام وحشتها بالبيض قبل اختلاط البيض بالسود

وقال :

سأشكوك فى الأشعار غير مقصر إلى عاصم ذى المكرمات وذى المجد

وكل هذا من نوادر المعانى الشعرية الغزلية .

(٣) فى الغزل ، وتذكر اثنين من أصحابه قتلا بالسيف ، ويظهر أنهما اللذان عناهما فى القصيدة التى فى ورقة ٢٢٨ .

ش غَمَضَ الحديدُ بصاحبيكَ فغمّضا وبقيتَ تطلُبُ في الحِبالة مَنهَضا (١)
ش وكأنَّ قلبي عندَ كلِّ مصيبة عَظْمٌ تكرر صَدْعُه فتَهيَّضا (٢)
ش آ وأخٌ سلوتُ له فأذكَرَهُ أخٌ فمضى وتَذْكُرُكَ الحوادثُ ما مضى (٣)
ش لَ فاشرَبْ على تَلَفِ الأحبة إنما جَزَرُ المنيّةِ ظاعنين وخُفَّضا (٤)

---

(١) هذا البيت والبيت الموالي له انفرد به الأمالي . وقوله غمض الحديد بفتح الغين وفتح الميم فعل ماض ، أي غاص في اللحم ، يقال : خلخال غامض، قد غاص في الساق غموضا ، وأصله مأخوذ من مشتقات الغموض وهو الخفاء والمغيب ، ثم تفرعت معاني ذلك بالحقيقة والمجاز ، فإما أن يكون بشار قد سمع استعمال غمض مسنداً إلى السيف فيكون من عموم المشترك ، وإما أن يكون استعاره من غوص الخلخال إلى غوص السيف في العنق . والمراد بالحديد السيف كما في قوله تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ، والباء للظرفية مثل في ، وهو كناية عن قتلهما . وقوله : فغمضا ، يحتمل أنه فعل ماض ، والألف ضمير التثنية يعود إلى صاحبيك ، ومعنى قوله فغمضا : فاتا . يقال أغمض عينيه كناية عن الموت ، ومنه قول الحسين بن مطير :

قضى الله يا أسماء أن لستُ زائلا أحبك حتى يغمض العين مغمض

فكما يقال غمّض فلان عيني الميت ، يقال غمّض الميت عينيه ، ويجوز أن يضبط بضم الغين مبنيا للمجهول فيكون سواء وبيت ابن مطير . وضبطه في الأمالي بكسر الميم على أنه أمر ، أي فغمض أنت ، يخاطب نفسه ، فيكون معناه فاصبر من قولهم غمّضْتُ عينا على قذى ، وهو بعيد عن مقام الحزن ، أو هو أمر من التغميض كناية عن الميت ، والأمر للتسوية أي مت ، فالموت والحياة سواء بعدهما . والحبالة بكسر الحاء شبكة الصائد ، وأراد بها مصائب الدنيا ، والمنهض : بفتح الميم وفتح الهاء مصدر ميمي ، أي نهوضا ، والمعنى بقيت في الدنيا تطلب الخلاص من مصائبها ، والكلام مسوق مساق الإنكار إذ لا منهض للطائر ونحوه إذا وقع في الحبالة .

(٢) تهيض ، مضارع ماضي العظم يهيضه ، إذا كسره بعد ما كاد ينجبر ، وذلك أشد لوجعه ، يريد بشار أن قلبه تكرر عليه آلام المصائب ، وأخذه من ذي الرمة في قوله :

ووجه كقرن الشمس حرٌّ كأنما تهيض بهذا القلب لمحته كسرا

(٣) كذا في الأمالي . ومعنى سلوت له ، أي أخذت في السلو عن حزنه فتجدد بموت أخ آخر . وقوله فمضى ، معطوف على سلوت له ، وقوله فأذكره أخ ، معطوف أيضاً وهو مقدم من تأخير . ورواه في المختار « فجعت به وكان مؤملا » وهو أنسب ، وهذا أخ ثالث تذكره في هذه المناسبة ، فلذلك قال عقبه : « فاشرب على تلف الأحبة » ، ولعله يعني بالأخ هذا صالحا ابن عبد القدوس إذ قتل على الزندقة وصلب سنة ١٦٧ .

(٤) أي فاشرب لأجل السلو عن تلف الأحبة ، فهنا مضاف محذوف ، وهذا المعنى من —

ش ب   ولقد جريتُ مع الصِّبا طَلَقَ الصِّبا   ثم ارعويتُ فلم أجد لي مَرْكَضَا(١)

ش ج   وعَلِمْتُ ما عَلِمَ امرؤ في دَهْرِه   فأطَعْتُ عُذّالي وأعْطَيْتُ الرِّضا(٢)

— مبتكرات بشار كما ذكرناه في المقدمة . وجزر : بضمتين جمع جزور ، وهي الناقة التي تجزر ، أي تنحر ويقطعها الجزار ، قالت الخرنق :

لا يَبْعَدَنْ قومي الذين هم   سُمُّ العُداة وآفةُ الجُزُرْ

ولك أن تضبطه بفتحتين جمع جزرة ، وهي الشاة التي تجزر ، أي تذبح ، وبه روى قول عنترة :

فتركته جزر السباع ينشنه   يقضمن حسن بنانه والمعصم

وتقدم في صفحة ٢٢٤ من الجزء الثاني ، وظاعنين : جمع ظاعن ، وهو المسافر لأجل طلب الكلأ . وخفضا : جمع خافض ، وهو المستقر بمنزله على مائه لم يخرج للانتجاع ، أي سواء في ذلك المنعم بالعيش والمكدود ، وهذا في معنى قوله :

فاشرَبْ على موت إخوانك رزئتهم   بابُ المنية غير مسدود

وتقدم في ١٥٥ من الجزء الثالث .

(١) طلق بفتحتين كما في صحاح الجوهري ونهاية ابن الأثير خلافاً لظاهر القاموس ، وقد استعمله كثير من الشعراء بسكون اللام تخفيفاً وخاصة في بحر الخفيف كقول الشاعر :

وجروا في مطارد الأنس طَلْقاً   واجتلوا من زمانهم أبكاره

وتخفيف المتحرك شائع ؛ وهو الشأو والشوط في سبق الخيل ، ومعنى الشار : المسافة المعينة للسبق ، شبه تناوله لكل ما هو من لذات الحب بجرى الفرس وإتيانه على جميع المسافة ، وانتصب طلق الصبا إما على الظرفية المكانية مثل سرت بريداً ، والأظهر أنه منصوب على نزع الخافض ، أي جريت في مسافة الطلق . والصبا بكسر الصاد اسم ما يأتيه الفتيان من اللهو والتغزل : وقوله : جريت مع الصبا ، تمثيل لحاله في عدم مغادرته شيئاً من أحوال الصبا وإن صحبت بجرى الفرس مع فرس سابق يجريان معاً فيأتيان الغاية فرسى رهان . نزل الصبا منزلة فرس يريد أن لا يترك لفرس آخر أن يغلبه ، والصبا الثاني بجرد اعتماد لأن قوله مع الصبا يغني عنه . والارعواء : الانكفاف ، والمركض : مصدر ميمي للركض وهو عدو الفرس ، أي فلما كففت عن لهو الصبا لم يبق لي ركض في هذا المجال ، وقد بينه بالبيتين بعده .

(٢) يريد أنه جرب أحوال الدهر فعلم أنه لا يصفو لأحد ولا يمكنه من نوال ما يحب ، فكانت سيرة الدهر موافقة لما يلقاه هو من عذاله ، فعلم أنه لا يسعه إلا أن يطيع عذاله ويعطيهم رضاهم ، فالألف واللام في الرضا عوض عن المضاف إليه ، أي رضاهم ، وهذا جار على ما تعارفه الشعراء والعامة من تصور الزمان الذي يعبرون عنه بالدهر عدوا مماكسا . وإلى هذا المعنى نظر المعري في قوله :

ومن صحب الليالي علمته   خداع الإلف والقيل المحالا

ومن هذا المعنى وإن كان في غير غرضه قول أبي خراش الهذلي يذكر ظهور دين الإسلام بقوله :

فليس كعهد الدار يا أم مالك   ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل —

ش وصوتُ من سُكْرٍ وكنتُ مُوَكَّلا   أرعى الحمامةَ والغرابَ الأبيضا(١)
ش هَ ما كلُّ بارقةٍ تجودُ بمائها   ولربما صَدَقَ الربيعُ فروَّضا(٢)
وَ ومُنيفةٍ شرَفًا جعلتُ لها الهوى   إمَّا مكافأةً وإمَّا مُقرِضا(٣)
زَ حتى إذا شَرِبَتْ بماء مودتى   وشربتُ بردَ رضابها متبرِّضا(٤)
حَ قالتْ لتربيها أذْهَبَا فتحسسا   ما باله ترك السلام وأعرضا
ش ىَ قد ذقتُ أُلفتَه وذقتُ فراقه   فوجدتُ ذا عسلًا وذا جمرَ الغضا(٥)
ش ياليتَ شعرى فيمَ كان صدودُه   أأسأتُ أم رَعَدَ السحابُ وأومضا(٦)

— وعاد الفتى كالكهل ليس بقائل   سوى العدل شيئا فاستراح العواذل

(١) قال فى الأمالى: أراد بالحمامة المرآة، وبالغراب الأبيض الشيب، لأن الشعر كان غربيبا أسود من حيث كان شابا ثم ابيض بالشيب، فصار ينظر الشيب بالمرآة يراقب ازدياده كلما ازداد .

(٢) قال فى الأمالى : هكذا أنشده المبرد ويحيى بن على، وأنشده ابن الأعرابى : « وكذاك لوصدق الربيع لروَّضا » قلت وكذلك رواه فى المختار ، ومعنى صدق الربيع أنه لم يخالف عادته من نزول المطر فى إبانه . وروض : أنبت الروض ، وهو مكان الإزهار والمياه .

(٣) هذه الأبيات الثلاثة انفرد بها فى المختار وجعلها بعد قوله : ما كل بارقة ، فلذلك وضعتها هنا . والمنيفة : المرأة العالية . وقوله شرفا ، تمييز لجهة الأناقة ، وقوله إما مكافأة الخ يريد أن امرأة شريفة أحبها كما تحبنى ، فحبى إياها كالمكافأة ، وامرأة أخرى أحبها قبل أن تحبنى فحبى كالقرض لترده بمثله كما قيل : « تحبب فإن الحب داعية الحب » .

(٤) المتبرض : الشارب البَرْض ، وهو الماء القليل .

(٥) الألفة : بضم الهمزة اسم مصدر بمعنى الائتلاف ، وهو الاعتياد بالشىء والأنس به . الغضا : الحطب .

(٦) هذا البيت مما انفرد به فى الأمالى ، وذكره أيضا فى المجموعة الأدبية بمفرده مع مخالفة فى الألفاظ . وأومض : أظهرَ الوميض ، وهو ضوء البرق بلا مطر . وقوله : أم رَعَد السحاب الخ أراد تمثيل تغيره بلا سبب بتغير صحو السماء بانبعاث سحاب فيه رعد وبرق ، وهم يشبهون الصفاء والسرور بالصحو ، ويشبهون الغضب والانقباض بالسحاب والرعد والبرق ، فلذلك يقولون : أرْعَدَ وأبْرق فلان . وقد رواه فى المجموعة الأدبية « أأسات أم أجمَّ الخِلالَ فأحْمَضَا » وفسره بقوله: الخلال جمع خَلَّة ، وهى نبتة تتملح بها الإبل إذا أملت الحَمْض ، يقال أخل الرجل إذا أكلت إبله الخلة ، وأحمض إذا أكلت إبله الحمض . يقول أأسات فقطعنى أم مل الوصال فاستراح منه إلى الصد كما تمل الإبل الخلة فتستريح إلى الحمض اه . —

ش ط وَيْلِي عليه ووَيْلَتِي مِن بَيْنِه ... ما كان إلا كالخِضَابِ فقد نَضَا (١)

ش سبحانَ من كتبَ الشقاءَ لِذِي الهوى ... كان الذي قد كان حُكْماً فانقضى (٢)

● وأنشد له الصفدى فى شرح رسالة ابن زيدون :

دعتنى حين شِبْتُ إلى المعاصى ... محَاسِنُ زائرٍ كالرِّيمِ غَضّ (٣)

كأنَّ كلامه يومَ التقينا ... رُقًى يأخُذْنَ فى طُول وعَرْض (٤)

● وأنشد له فى غرر الخصائص صفحة ٢٧٠ :

فيك للمجد شيمةٌ قد كفَتْنِي ... منكَ عنــد اللقاء بالمُتَقَاضِي (٥)

فإذا المَجْدُ كان عونا على المر ... ء تقاضَيْتَهُ بتركِ التقاضى

= فقوله : أجم هو من باب ضرب ، بمعنى كره ومل . وفيم مركبة من فى التى للتعليل ، وما الاستفهامية حذف ألفها على ما هو الاستعمال .

(١) الويل : حلول الشر والعذاب ، والويلة بمعناه ، ويراد بالتأنيث تكثير المعنى لأن التأنيث استعارة للتولد ، قال تعالى : قالوا يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة . ومثله الشقاء والشقوة وتعدية الويل بعلى لتضمين معنى الحسرة ، ويقال : نَضَا الخضابُ نضوا ، زال لونه . والمعنى ما كان قبل فراقه إلا كالخضاب يتجمل بمباشرته لحسنه فقد زال ذلك الخضاب بالبين .

(٢) هذا من تمام قولها لتربيها . وتسبيح الله تنزيهه عن تعقب حكمه ، بقوله الذى يحل به ما لا يرضيه أدبا مع خالق الأسباب التى توقع فى المكروه ، وهذا كقول الملائكة : أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ؟

(٣) الريم : الغزال ، والغض أصله الطرى ، والمراد الفتى .

(٤) رواه فى سرح العيون : طول وعرض ، أى أخذتْ فى جميع جسمى ، وهذا هو الصواب ، وإلا كان قوله فى طول وعرض كالحشو .

(٥) أى كفتنى شيمتك عن التعرض بإنجاز الوعد . وقوله بالمتقاضى ، يحتمل أنه أراد نفسه فيكون من التجريد كقولهم لئن لقيت فلانا لتلقيَنَّ به البحر . ويحتمل أنه أراد به جنس المتقاضين ، أى أن شيمتك الإنجاز عندما يلاقيك من يروم التقاضى ، كفتنى عن تقاضيك لما رأيت من إنجازك ، والباء متعلقة بالقاء ، أى عند لقائك من يتقاضاك ، ومفعول كفتنى محذوف ، ومنك متعلق بكفتنى ، وعند اللقاء صفة ثانية لشيمته . وفى البيت تعقيد .

قافيــة الطاء

* أنشد له الثعالبي في ثمار القلوب صفحة ٣٢٧ ، والصفدي في الوافي بالوفيات وهذا زاد بيتين(1) :

أبا خالدٍ ما زلتَ سبّاحَ غَمْرَةٍ   صغيراً فلمّا شِبْتَ خَيَّمْتَ بالشَّاطِي(2)
وكنتَ جَوادًا سابقًا ثم لم تَزَلْ   تُؤَخَّرُ حتى جئتَ تَخطو مع الخَاطِي(3)
فأنت بما تزداد من طول رِفعةٍ   وتنقُصُ من جَدٍّ لذاك بإفراطِ(4)

---

(١) قال في الوافي : إن بشارا قال هذه الأبيات في يزيد بن منصور الحِمْيَرى خالِ المهدى اهـ . قلت رأيت في بعض كتب الأدب أن يزيد هذا كان يُجرى لبشار وظيفته ثم قطعها عنه . ويزيد هو يزيد بن منصور بن عبد الله بن يزيد بن شهر بن مثوب ، حميرى يمنى من ولد شَهرٍ ذى الجناح ، أولاه المنصور إمارة اليمن ثم البصرة ، وأولاه المهدى إمارة الحج سنة ١٥٩ ، ولما حج المهدى سنة ١٦٠ استخلف يزيد بن منصور مع موسى الهادى على بغداد ، وتوفى يزيد سنة ١٦٥ . ومن لطائف بشار مع يزيد أن يزيد دخل مجلس المهدى فوجد بشارا ينشد شعرا ، فقال يزيد لبشار : ما صناعتك ؟ قال : صناعتى ثقاب در . فقال الحاضرون : أتهزّأ بخال أمير المؤمنين ؟ فقال بشار : وهل يُسأل أحد عن صناعة رجل أعمى رآه ينشد شعراء ؟ وكان يزيد يكنى أبا خالد .

(٢) في ثمار القلوب أبا مخلد ، وفى الوافي أبا خالد وهو الصواب . وأراد بسبّاح غمرة إفراطه في الكرم ، كالذى يسبح في البحر . وقوله : خيّمتَ بالشاطي ، أى أقمت فيه ولم تجاوزه إلى العميق ، أى صرت إلى الشح . وأصل التخييم نصب الخيمة للنزول ، ثم استعمل في النزول مطلقا بعلاقة الإطلاق عن التقيد ؛ ونظيره قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذى يزن :

لِيُدْرِكَ الوِتْرَ أمثالُ ابن ذى يزنٍ   فى البحر خَيَّمَ للأعــــداء أحوالا

روى خيم ، أى أقام ، وروى لَجَّجَ ، أى خاض البحر ، وأحسب هــذه الرواية الثانية إصلاحا ممن لم يستحسن الجمع بين خيم مع قوله في البحر . والشاطئ أول ما يلاقى البحر من الأرض ، وهو مهموز وخففه للضرورة .

(٣) في رواية « جريت زمانا سابقا الخ » وروى أيضا « تأخَّرُ » أى تتأخر ، وتخطو : تمشى بالخطوات ، والخاطى تخفيف الخاطئ بالهمز ؛ وهو الآثم ، قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين . ويروى « تقطو مع القاطى » ، والقطو بطء المشى . وهذا البيت من زيادة الوافي ، وكذلك البيت الذى يليه . وفى كتاب الحيوان للجاحظ صفحة ٩٩ جزء ٥ ذكر هذا البيت الثانى ونسبه إلى العتبى . وقال وقد يضاف إلى بشار وهو باطل . اهـ

[قلت الخاطى يحتمل أنه اسم فاعل خطا يخطو . أى مشى]

(٤) بإفراط متعلق بتنقص ، والإشارة في لذاك إلى طول رفعة

كَسِنَّوْرِ عبدِ الله بِيعَ بدرهمٍ   صغيراً فلما شَبَّ بِيعَ بِقِيراطِ(١)

* وأنشد له في معجم ياقوت في هجو أهل واسط :

على واسطٍ من ربها ألفُ لعنة   وتسعةُ آلاف على أهل واسطِ(٢)

---

(١) قال الثعالبي في ثمار القلوب : سِنَّور عبد الله ، يضرب مثلا لمن يكون مرجوا في صغره ، فإذا كبر تراجع ولم يفلح . وأنشد هذا البيت قال : وقال الفرزدق :

رأيت الناس يزدادُون يوما   فيوما في الجميل وأنت تنقص
كمِثل الهر في صِغَرٍ يُغالَى   به حتى إذا ما شَبَّ يرخص

اه . وقال الدميري إنه مَثَل مولد ليس من كلام العرب . قال ابن خلكان في الوفيات : لقد كشفت عن سنور عبد الله المظان وسألت عنه أهل المعرفة بهذا الشأن ، فما عرفت الخبر عن ذلك ولا عثرت له على أمر ، ثم إني ظفرت بقول الفرزدق ومنه أخذ بشار ، وليس المراد منه هرًّا معينا اه . يعني أن إضافة السنور إلى عبد الله ليست إضافة تعريف وإنما هي إضافة لتحسين اللفظ ، فليس المراد بعبد الله شخصا معينا له سنور ، وإنما المراد عبد من عباد الله ، كما تقول حين تنادي رجلا لاتعرف اسمه يا عبد الله ، وفي الحديث : أن أبواب الجنة تنادي أصحاب الأعمال الصالحة يا عبد الله ، هذا خير . وإنما كانوا يتغالَون في شراء فراخ السنانير لصغار أطفالهم يأنسون بها ، فلذلك يرغبون في شرائها ولا يرغبون في شراء السنانير الكبيرة لأنها تسرق الطعام وتقذر البيوت . والقيراط بياء ساكنة بعد القاف ، قيل أصله قِرَّاط بتشديد الراء فخففوه ، ولا دليل على هذا الزعم ، قالوا والمراعاة أصله جُمع على قراريط براءين وفيه نظر عندي ، وأقول كلها جائية من لغات أخرى فجمعوا على غير قوانين الجموع العربية تنبيها على أنه دخيل ، كما فعلوا في دينار وديباج ، وظاهر كلام الجوهري أن قراط المشدد لم يتكلموا به ، وفي القاموس واللسان ذكر القراط مع القيراط ، فقال في تاج العروس ، هو بوزن كتاب ، أي بتخفيف الراء ، أي أنهم حذفوا إحدى الراءين تخفيفا ولم يعوضوا عنها ياء ، وفي نسخ صحيحة من القاموس وبعضها مقابل على أصل عليه خط مؤلفه ضُبط قراط بشدة على الراء ، وأحسب أنه وهم انجر للمصححين من قول الجوهري أصله قِرَّاط . قال في شفاء الغليل ، كلمة معربة ولم يذكر أصلها من أية لغة ، وهي يونانية رومية والقيراط هو الجزء الرابع والعشرون من الدرهم أو الدينار عند أهل الشام ومصر والجزء العشرون عند أهل العراق ولما كان الوزن في القديم بالدرهم صار القيراط من صنوج الموازين ، وفي الحديث فعملت اليهود والنصارى على قيراط قيراط ، وعمل المسلمون على قيراطين قيراطين ... الحديث . ومراد بشار تجزئة الدرهم . وأجزاء القيراط أربعُ حبات من حب الخردل البرّي المتوسط قال ابن منير :

فخفَّ أحدُهما عن وزن صاحبه   فزاده من فُتات المسك قيراطا

(٢) واسط مدينة بناها الحجاج بن يوسف أمير العراق وجعلها وسطا بين البصرة والكوفة ، فلذلك سميت واسطا ، وقيل إن موضعها كان يسمى واسط القَصَب ، ابتدأ الحجاج بناءها سنة ٨٣ وأتمها سنة ٨٦ وجعلها مقر الإمارة ، وفي خلافة هشام بن عبد الملك قصر ضرب النقود على واسط وأبطل الضرب من كل مدينة ، وهي يخترقها نهر دجلة وبها مرفأ للسفن ، —

أيُلتَمسُ المعروفُ من أهل وَاسِطٍ ... وواسطُ مأوَى كل عِلجٍ وسَاقِطِ
نَبيطٌ وأعلاجٌ وخُوزٌ تجمّعوا ... شرارُ عباد الله من كلِّ غائطِ(١)
وإنى لأرجُو أنْ أنالَ بشتمهم ... من الله أجراً مثلَ أجرِ المرابطِ(٢)

= وقد جعل لها خندقين وسوراً ، وبنى بها جامعا ، وأنفق على جميع ذلك ثلاثة وأربعين مليون درهم ، وكان بينها وبين بغداد ، بعد بناء بغداد ، خمسون فرسخا ، وكذلك ما بين واسط والبصرة .

(١) النبيط : اسم النبط ، كما يقال حَبيش وحَبَش ، وهم سكان بادية الشام ، بين الشام والحجاز ، وينتشرون إلى العراق فينزلون بالبطائح بين العراقين ، فلذلك يقال نبط الشام ونبط العراق ، وفى هؤلاء كثير من بقايا الأشوريين . والأعلاجُ : جمع علج ؛ وهو العجمى الكافر ، وتقدم فى ١٦ من ٢٧١ . قال ياقوت : لما بنى الحجاج واسطا أمر بإخراج كل نبطى بها وقال لا يدخلون مدينتى فإنهم مفسدة ؛ فلما مات الحجاج دخلوها : والخوز قبيلة عجمية تسكن بلاد خوزستان وهى ولاية من بلاد فارس ، تحد بغداد من جهة الشرق . وشط العرب وهو مجتمع نهرى دجلة والفرات ، قسم من حدها الغربى ، ويمر فيها نهر الكرخ ، وهى بلاد تربية الماشية ، وسكانها نحو المليون ، ومن مدنها شُشتر والأهواز والمحمرة ، وفيها أطلال مدينة السوس الفارسية ، وأهلها مسلمون وصابئة ، وأهلها يعرفون بسوء الخلق والبخل ، وقريب من بلادهم جنديسابور وتستر ، وقد هجا ابن المبارية أهل واسط بقوله :

يا واسطيون ثقـوا أننى ... بهجوكم بين الورى مولع
ما فيكم كلكم واحد ... يعطى ولا واحـدةٌ تمنع

والغائط : المكان المنخفض .

(٢) المرابط الذى يحرس ثغراً ، أى مفتحا يخشى مجىء العدو منه فى البر أو فى البحر ، وكانت ثغور العرب المفاتح بين الجبال التى يسهل السير إلى القبيلة منها . قال لبيد : « وأجنّ عوْرَاتِ الثُّغُور ظلامُها » ، وتقدم فى ٨ من ٢٨ ، وذلك الموضع الذى تحرس فيه يسمى الرِّباط بكسر الراء ، لأنهم كانوا يقيمون فيه حراسا من القبيلة على خيولهم ، كما وصفه لبيد فى المعلقة ، وفوه الله بالرباط فى قوله تعالى : « يأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا » . وإنما سمى رباطا اسما منقولا من المصدر وهو رباط الخيل للغزو ، لأن العرب كانوا يرابطون فى الحراسة على الخيل ، ثم أطلق على ملازمة الثغر للحراسة راجلا أو راكبا أو فى حصن على البحر ، وغلب فى الإسلام على الحراسة فى الثغور البحرية ، لأنه لما خلص للإسلام جميع بلاد العرب فى البر صاروا لا يخشون إلا الأعداء الذين يجيئون فى البحر ، وسميت المحارس رُبُطاً ، وكان المسلمون يتطوعون بالحراسة فيها ويقصدها العلماء والعباد ، فكانوا يحيون الليل بالقيام والمذاكرات العلمية والأناشيد الصالحة والمواعظ ، حتى غلب اسم المرابط على كل عابد . وتخصيص بشار الأجر بأجر المرابط لأن هجوه إياهم يحذر الناس من خلطتهم ، فشبه صنيعه ذلك بعمل المرابط الذى يدفع عدو المسلمين عن الإضرار بهم .

قافيـــة العين

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٣ جزء ٦ :

يا عبــدَ يا جافيةٌ قاطعه   أَمَا رَحِمتِ المُقْلَةَ الدَّامعه
يا عبدَ خافِى اللهَ فى عاشقٍ   يَهْواكِ حتى تقعَ الوَاقِعَه

* وأنشد له فى أمالى المرتضى صفحة ٥٠ جزء ٤ ، والأول والخامس فى مختار المختار صفحة ٣١٤ مع زيادة البيت الثالث — يصف مغنية :

لعمر أبى زُوَّارها الصَّيدِ إنَّهُم   لَفِى مَنْظَرٍ منها وحسنِ سَمَاعِ (١)
تُصَـــلِّى لهـا آذانُنا وعيوننا   إذا ما التقَيْنا والقلوب دواعِ
وصَفْراءَ مثلُ الخَيْزُرَانَةِ لم تَعِشْ   ببُؤْسٍ ولم تركب مَطِيَّةَ رَاعِ (٢)

---

(١) أقسم بزوارهاته الصفراء المسمعة الذين هو منهم ، وهو فى المعنى قسم بما اختصوا به من زيارتها ، وهذا معنى متبع فى القسم بشىء باعتبار إضافته إلى شىء آخر ، كقوله تعالى: « لا أقسم بهذا البلد وأنت حل بهذا البلد » وقول عائشة والذى بعثك بالحق ، وقول [أبى خراش] :

فلا وأبى الطير المربة فى الضحى   على [خالد] لقد وقعت على [لحم]

أقسم بالطير الكواسر التى وقعت على جسده لتنهشه وهو صريع فى الحرب : ثم إن المقسم عليه هو حال من أحوال المقسم به كقول أبى تمام :

وثناياك إنهـا إغريض   ولئال توم وبرق وميض

فالمقسم به ثناياها والمقسم عليه أوصاف الثنايا . وتنوين منظر للتفخيم .

(٢) يناسب أن يكون هذا البيت مقدما على بقية الأبيات لتكون الضمائر التى فى القصيدة عائدة على صفراء ، والواو عاطفة على ما قبلها من القصيدة التى لم يعثر عليها ، وإعراب صفراء بحسب ما قبلها ، وليست الواو واو رب لأن الصفراء مراد بها معينة ، وأما على ترتيب الأمالى فوقع البيت صحيح . والصفراء المرأة التى خالط بياض لونها صفرة ، وهو أحب الألوان إلى العرب . قال امرؤ القيس :

كبكر المقاناة البياض بصفرة   غذاها نمير الماء غير محلل

وقد تكون صفراء لتضمخها بالصفرة وهى لون الزعفران وهو من طيب النساء ، قال الأعشى :

ويراعة بالطيب صفراء عندنا   لجس الندامى فى يد الدرع مفتق —

جَرَى اللُّؤْلُؤُ المكْنونُ فوقَ لسانِها ... لِزُوَّارِها مِنْ مِزْهَرٍ ويَرَاعِ (١)
إذَا قَلَّبَتْ أطرافُها العُودَ زَلْزَلَتْ ... قُلوبًا دَعاها لِلصَّبابَةِ دَاعِ (٢)
كأنَّهُمُ في جَنَّةٍ قد تَلاحَقَتْ ... مَحاسِنُها من رَوْضَةٍ ويَفَاعِ (٣)
يَرُوحُون مِن تَغْرِيدِهَا وحَدِيثِها ... نَشَاوَى ومَا تَسْقِيهِمُ بِصُوَاعِ (٤)
لَعُوبٌ بألْبابِ الرِّجالِ وإنْ دَنَتْ ... أُطِيعَ التُّقَى والغَيُّ غَيرُ مُطَاعِ (٥)

— وأما صفراء المتقدم ذكرها في حرف الهاء من الملحقات ، وفي أبيات الديوان فهو اسم علم . ومعنى لم تركب مطية راع ، أنها لم تكن من سكان البادية ، وأنها نشأت في النعيم والرفاهية .

(١) المزهر ، بكسر الميم وفتح الهاء : عود ذو أوتار توقع به الألحان ، وقيل دُفّ مربع ذو وجهين ، وظاهر هذا الشعر أنه العود ، لقوله بعد « إذا قَلَّبت أطرافُها العودَ » وتقدم في صفحة ١٩٦ من الجزء الثالث . واليراع : القصب ، اسم جمع يراعة ، وأراد به الواحدة للضرورة وهي المزمار ، إذْ هو قَصَبة تثقب ثقوبا وينفخ فيها للطرب ، وهذا البيت مما زاده في مختار المختار .

(٢) رواية الأمالي « إذا قلدت » وهو تحريف ، وفي الأمالي : « وساوس يدل للصبابة » ولا معنى له . والأطراف الأصابع .

(٣) شبههم وهم في بيتها بقوم في جنّة من الجنات ذات النخيل والأعناب والفواكه ، واقعة على يفاع ، أي على مرتفع من الأرض ، فإن ذلك أنضر لحالها لما يشاهده من خلالها من المتسع . قال تعالى : « كمثل جنة بربوة » ؛ وتلك الجنة يجاورها روضة ، والروضة أرض ينبت فيها الزهر والنوار ويتخللها جداول الماء وحياضه . والمعنى أنها تكاثرت محاسنها فتناولها كثمر الجنة ومحاسن وجهها كنوار الرياض وقوامها كأعلى يفاع . وكتب في نسخة أمالي المرتضى : وبقاع بموحدة وقاف ولا معنى له ، والصواب بتحتية وفاء .

(٤) قال في الأمالي : قال علي بن هارون : الصُّوَاع : المكيال ، يقول إذا غنت شربوا جزافا بلا كيل ولا وزن من حسن ما يسمعون — قال الشريف المرتضى : وهذا خطأ منه ، وإنما أراد أن غناءها لفرط إطرابه يغني عن سَوْرة الخمر ، ولم يكن هناك شرب بصواع أصلا ، قال ويشبهه قول الشاعر :

ويوم ظللنا عند أم مُحَلِّم ... نشاوَى ولم نشرب حلالًا ولا خمرا

قلت وهذا الذي قاله الشريف هو الصواب . والصواع : بضم الصاد وتخفيف الواو ، إناء يشرب فيه الخمر ، وبه فسر قوله تعالى : « قالوا نفقد صواع الملك » . ويطلق الصواع على مكيال كالصاع وهو الأظهر في لفظ القرآن ، إذ لا مناسبة لإناء الخمر . والتغريد صوت الطائر المطرب ، شبه به غناء الصفراء . وتقدم في صفحة ١٩٠ الجزء الثاني .

(٥) يريد أن زوارها أعِفَّاء وأنها عفيفة ، ولذلك لم يذكر فاعل أطيع بل أسنده إلى المجهول ، أي أنها تدنو منهم للحديث والطرب .

• وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ١٤٣ جزء ١ وفى المختار صفحة ١٤٥ وفى كتاب الصداقة صفحة ٢٣ :

وأبْثَثْتُ عَمْرًا بعضَ مافى جوانحى   وجرَّعْتُه من مُرِّ ما أتجرَّع (١)
ولا بُدَّ من شَكْوَى إلى ذى حَفِيظَةٍ   إذا جعلَتْ أسْرَارُ نفسى تَطَلَّعُ (٢)

وأنشد له فى نهاية الأرب صفحة ٨٠ جزء ٣ :

ولا بُدَّ من شكوى إلى ذِى مُروءةٍ   يواسيك أوْ يُسْلِيك أو يَتوجَّعُ (٣)

• وأنشد له فى شرح المقامات فى المقامة ٤٤ (٤) :

أبناه عَمْرٍو لَفِى خَفْضٍ وفى دَعَةٍ   وفى عطاء لعمرى غيرِ مَمْنُوعِ (٥)
وضَيْفُ عَمْرٍو وعَمْرٌو ساهِرانِ مَعًا   عَمْرٌو لِبِطْنَتِه والضيفُ للجُوعِ

• وأنشد له فى محاضرات الراغب صفحة ٣١ جزء ٢ :

ولا يلْبَثُ الهجرانُ أن يقطعَ الهَوَى   إذا لم تُطالِعْ آلِفًا ويُطالِعُ

---

(١) رواه فى المختار : وأوْدَعْتُ ، وعمرو هو عمرو الظالمى : تقدم فى أول قافية الجيم وأوائل قافية الراء من الملحقات .

(٢) الحفيظة : المحافظة على السر . ومعنى تطلع تظهر ، يعنى إذا ضاق صبرى على الكتمان ، لأن فى الشكوى راحة لنفس المهموم ، وأشار إلى أن كتمان السر أولى مادام مطيقا .

(٣) هذا البيت ذكره فى النهاية مفردا . والظاهر أنه من قصيدة أخرى فى بحر وقافية القصيدة التى منها البيتان اللذان قبل هذا ، ويحتمل أنه رواية فى البيت الذى قبله . والمروءة تأتى عند قوله : بنى المروءة من ذوى حسب .

(٤) هذان البيتان منسوبان فى دلائل الإعجاز إلى دِعْبِل مع تغيير فى أولها لعله تحريف . انظر صفحة ٤٠٠ طبع المنار فى المُلْحَق الثانى وهو مفقود من النسخة المخطوطة .

(٥) اللام فى قوله لفى خفض ، لام الابتداء ، وهى تفيد توكيد مضمون الجملة الواقعة هى فيها ، والأكثر أن تكون فى صدر الجملة فى غير باب إنّ المؤكدة ، فاستعمال بشار إياها فى أثناء الجملة هنا استعمال قليل ، ومنه قول رؤبة بن العجاج :

أمِّ الحُلَيْسِ لَعَجُوزٌ شَهْرَبَهْ   ترضى من اللَّحْمِ بعَظْمِ الرَّقَبَهْ .

● وأنشد له فى المحاضرات صفحة ٤٤ :

لا أحمِلُ اللَّومَ فيها والغَرامَ بها ... ما كَلَّفَ اللهُ نفساً فوقَ ما تَسَعِ

● وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ٢٢ جزء ٢ :

تَشْتَهِى قُرْبَكَ الرَّبابُ وتَخْشَى ... عَيْنَ واشٍ وتتقى أسْماعَه

أنْتَ من قَلْبِها مَحَلَّ شَرابٍ ... تَشْتَهِى شُرْبَه وتَخْشَى صُداعَه(١)

● وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ٢٨٠ جزء ١ :

عَجْزاء مِنْ سِرْبِ بَنى مالِكٍ ... لَهَا حِرٌ مِنْ بطنِها أرْفَعُ(٢)

زُيِّنَ أعـــلاهُ بإشْرافِهِ ... وانضَمَّ من أسْفَـــلِهِ المَشْرَعُ

● وأنشد له العكبرى فى شرح المتنبى صفحة ٤٢٦ والغرناطى فى شرح المقصورة :

حَدَا بعضُهم ذاتَ اليمين وبعضُهم ... شِمالاً وقَلْبِى بينَهم مُتَـــوزَّعُ

= فإذا كان هذان البيتان ابشار فعمرو المهجو ، لعله عمرو الظالمى المتقدم ، وإنه مرة يصاحبه ومرة يهجوه .

(١) هذا البيت أنشده له أيضاً فى نهاية الأرب صفحة ٧٤ جزء ٣ ، ووقع فى المصراع الثانى خطأ فكتب يشتهى ويخشى بالتحتيتين ، والصواب أنهما بتاءين فوقيتين . وضبط صداعه مرفوعا لذلك والصواب أنه منصوب . ومحل شراب منصوب على الظرف المكانى والظرفية مستعملة فى التشبيه كقولهم : هو منى مَزْجَرَ الكلب ، أى فى محل كزجر الكلب .

(٢) كتب من سرب ، وصوابه من سِرٍّ كما فى كتاب الصولى فى أخبار أبى تمام ، والسر محضُ نسبهم . وتقدم فى صفحة ٣٣ من الجزء ٣ من الديوان . وقوله حر بكسر الحاء المهملة وتخفيف الراء ومن العرب من يشدد راءه وليست بجيدة ، وهو فرج المرأة . قالوا أصله حِرْح ، بسكون الراء وبحاء ثانية فى آخره فحذفوها تخفيفا لثقل الحاء بعد سكون الراء ، وعلامة أصله أنهم جمعوه على أحْراح وصغروه على حُرَيْح . وأما لغة تشديد الراء فجعلت تشديدة الرَّاء عوضا عن الحاء المحذوفة وهذا من غريب التصريف . ومن أمثالهم : احمل حِرَك أو دَعْ — قالته امرأة لزوجها تحثه على حملها معه لما أزمع السفر ، أى أودع السفر ، ومعنى البيت نظير =

فوَاللهِ ماأدرى بِلَيْلٍ وقَدْ مَضَت   حُمُولُهمُ أىّ الفريقين أتْبَعُ [(١)]

• وأنشد له فى الصبح المنبى صفحة ١٤٧ :

كأن جُفُونى كانتْ العِيس فوْقَها   فسارَتْ وسَالَتْ بعدَهُن المَدَامِـعِ [(٢)]

• وأنشد له فى المختار صفحة ٢٧ وبيتان منها فى زهر الآداب أيضاً صفحة ٧٨٩ جزء ٣ [(٣)] :

أأبْـكاكَ داعٍ فى الصباحِ سَمِيعِ   وطيفٌ سرى من نَهْرَوَانَ يَرِيع [(٤)]

= معنى البيت الآتى فى حرف الميم . قال الصولى (صفحة ٢٦) فى أخبار أبى تمام عن الأصمعى : كان الناس يقدمون قول أبى النجم (فى ذكر الفرج) :

كأنّ تحت دِرْعِها المُنْعَطِّ   إذا بَدَا منـــه الذى تُغَطِّى
شَطًّا رميتَ تحتَـــه بشَطِّ   ضَخْمَ القَــذَال حَسَن المخَطِّ
كأنما قُطَّ على مِقَطِّ   كهامَةِ الشيخ اليمانِى النَّطِّ
لم يَمْلُ فى البطن ولم يَنْحَطِّ

فلما قال بشار : عجزاء من سر بنى مالك . . . الخ ، عفى على ذلك فحفظه الناس وقدموه .

(١) هذا البيت زاده الغرناطى ، وقوله بليل ، مجردُ استشهاد ، كقول طرفة :

كأنّ حُدوجَ المالكية غُدْوَةً   خَلَايا سفينٍ بالنَّواصِفِ من دَدِ

ويقولون ، يوما ، كثيراً فى الشعر .

(٢) أراد أنه بكى حين تحركت العيس المُرحَّلَة للحبيبة ، فكأن جفونه كانت مشدودة ببُرُوك العيس فوقها ، وأخذه المتنبى فقال :

كأنّ العيس كانت فوق جَفْنى   مُنَاخَاتٍ فلما ثُرْنَ سَالا

(٣) يحتمل أنه مدح بها المهدى لأنه ذكر فيها الملوك والمُلك ، ويحتمل أنه مدح بها إبراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن على بن أبى طالب أيام اتصاله به قبل أن يقتله أبو جعفر المنصور . وعليه فقوله وأملاك صدق ، يريد أنه مدّاح ملوك مثل مروان بن محمد وأمراء دولته ، فإن الأمراء يطلق عليهم الملوك ، كقول النابغة :

ملوكٌ وإخوان إذا ما مدحتهم   أحَكَّم فى أموالهم وأقَرَّب

(٤) هذا طالع القصيدة ، وما بعده من الأبيات ليس شديد الاتصال بالطالع ، وقوله : =

وقائِلَةٍ إنَّ العِيال مُعَــوَّلٌ عليكَ فلا تَقْعُدْ وأنتَ مُضِيع

فقلتُ لها كُفِّى سيكفيكِ وافِدٌ أشمُّ لأبوابِ المُلوكِ قَرُوعِ (١)

وما أنا راضٍ بالهَوانِ إذا احتَبَى على الذُّلِّ في دار الهوان رَتُوعِ (٢)

إذا الأمرُ لم يُقبِلْ علىَّ بوجهه فَلِى مَسْلَكٌ باليَعْمُلاتِ وَسِيعُ (٣)

وزُرْتُ هُماماً يُصبِح الناسُ حوله عُكوفاً عليهم ذِلَّةٌ وخُضُوع (٤)

ولما التقيا سابقَ الحمدَ جودُه فأجدى وَجُودُ الطالبِين سَرِيع (٥)

وأملاكُ صِدْقِ البَيْتِ طِرازُهُمْ قَصائدُ مالى غيرَهُنَّ شفيع (٦)

— سميع ، بمعنى مُسْمِع ، اسم فاعل ، من أسْمَع ، على غير قياس ، كقَوْل عمرو ابن معديكرب :

أمِنْ رَيْحانةَ الداعى السَّميعُ يؤرِّقنى وأصحابى هُجُــوعُ

ونهروان كورة بين بغداد وواسط ، يقرب أن تكون على خمسة وعشرين فرسخا من بغداد . والظاهر أن بشارا مرَّ فى طريقه من البصرة إلى بغداد على مدينة النهروان ، وأن الطيف طيف حبيبة له بالبصرة لاح له وهو حالٌّ بالنهروان . وطالع القصيدة يدل على أنهم لم يكونوا يتطيرون بافتاخ مثله ، لأن خلفاء الدولة العباسية الأولين كانوا على خلق الإسلام من رفض التطير . وقوله : يريع ، مضارع راع ، أى يرجع من النهروان إلى البصرة حين الإفاقة .

(١) أراد بالوافد نفسه . والأشم : وصف من الشم ، وهو ارتفاع الأنف لأنه عضو الشَّم ، ويكنى بالأشم عن علو الهمة فى قصده .

(٢) رتوع : صيغة مبالغة من رتع إذا أقام على الأكل والخصب ، وهو فاعل احتبى ، والاحتباء جِلسة المتفضلين المستريحين ، وكُنى به عن ملازمة المكان .

(٣) اليعملات ، بفتح التحتية وضم الميم : جمع يعملة وهى الناقة النجيبة .

(٤) الهمام : السيد العظيم ، وأصله اسم للأسد ، وجمعه همام ، وتقدم فى صفحة ٣٤٦ من الجزء الأول ، وقوله عليهم ذلة وخضوع : أراد به التوزيع ، أى على بعضهم ذلة وعلى بعضهم خضوع ، ففريق عليهم ذلة وهم أعداؤه الذين غلبهم فى الحروب ، وفريق عليهم خضوع ، أى طاعة له .

(٥) أى أن جوده وعطاءه سبق الثناءَ عليه ، أى سبق قول الشعر فيه وهذا ينظر إلى قول الشاعر :

علموا أن يؤمَّلونَ فجادوا قبلَ أن يُسألوا بأعظمِ سُؤْلِ

وقوله الطالبين : أراد الطالبيين بياءين فخففه ، كقوله تعالى : ولو نزلناه على بعض الأعجمين ، أى الأعجميين ، والمعنى أن جود بنى أبى طالب سريع لا مَطْلَ فيه .

(٦) يجوز فى كاف أملاك الضم على رفع الابتداء ، والخبر قوله البيتى ، ويجوز فيه الكسر على أن الواو واو رب .

وغيثٌ إذا ما لاح أوْمَضَ بَرْقُه ... كما أوْمَضَتْ تحت الرِّداء خَرِيع (١)
إذا حاجةٌ ألقَتْ علىَّ بَعَاعَها ... رَكِبْتُ وحَسْبِى مُنْصُلٌ وقَطِيع (٢)
يُرِدْن امْرءاً قد شَذَّبَ الحَمْدُ مالَه ... أغرَّ طويلَ البَاعِ حِينَ يَبُوع (٣)
وما ضَاع مالٌ أوْرَثَ الحَمْدَ أهْلَه ... ولكنَّ أموالَ البخيل تضيع
على خَشَبَاتِ المُلْكِ منكَ مَهَابَةٌ ... وفى الدِّرع عَبْلُ السَّاعِدينِ قَرُوع (٤)

---

(١) الخريع : المرأة التى تتثنى فى مشيتها ، ومعنى أومضت اضطربت وتحركت ، وهو تشبيه بديع للبرق لم يسبق إليه بشار .

(٢) البعاع ، بالباء بوزن سَحَاب : الثقل ، ويقال ألقى السحاب بَعَاعه : أى ما فيه من المطر الذى يثقله ، قال امرؤ القيس : « وألقى بصحراء الغبيط بَعَاعه » ؛ أى إذا حاجة أثقلتنى وكدرتنى خرجت فى طلب الجَدَى من الخليفة ، وحذف مفعول ركبت لدلالة اليعملات عليه فى البيت الذى تقدم ، قال طرفة :

وإنى لأُمضِى الهمَّ عند احتضاره ... بعَوْجَاء مِرْقَالٍ تَروح وتغتدى

وحسبى : أى كفانى . والمنصل ، بضم الميم وضم الصاد : السيف ، قال عنترة :

إنى امرؤ من خير عبس منصبا ... نصفى وأحمى سائرى بالمُنْصُل

وهو من أسماء الآلة التى أولها ميم ؛ وجاءت بضم الميم وضم العين مخالفة للقياس ، وهى : المُنْصُل والمُدُق والمُسْعُط والمُدْهُن والمُنْخُل والمُكْحُلة : وأراد بالقطيع السوط ، قال طرفة :

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت ... وقد خب آل الأمعز المتوقد

(٣) ضمير يُرِدن عائد إلى اليعملات التى تقدم ذكرها ودل عليها قوله ركبت ، أى ركبتها . ويبُوع : يمُدُّ باعه ، باع يبوع بوعا . وشذب مبالغة فى شذَب ، بمعنى قطع الشجرة وقشرها . وطويل الباع : كناية من السخاء كما فى الحديث : أطولكنَّ يدا .

(٤) رواه فى زهر الآداب « على جنبات الدست » ، والمعنى أنك فى السلم تضع مهابتك على سرير الملك ، كناية عن نفسه ذات المهابة ، وفى الحرب يكون منك فى الدرع عَبْلُ الساعدين ؛ وهذا من التجريد ، أى تظهر ضخامةُ يديك فى لبس الدرع . والعبل : الضخم . والدست فى رواية زهر الآداب بفتح الدال معرب عن الفارسية : هو كرسى الوزير الضخم . وقروع : أى غالب للأعداء ، من القرع ، الدق والضرب ، ومنه قول النابغة : من قِراعِ الكتائب ؛ ويقال القريع للغالب فصاغ له بشار وزن فعول ، لأنه رآه قياسا فى الاشتقاق ، ولو قال قريع لصح معنىً وعروضا ، ولكنه تجنبه لأنه كما يطلق على الغالب يطلق القريع على المغلوب كما فى القاموس واللسان ، فلقد أجاد بشار فى الانصراف عنه إلى ما ليس فيه احتمال .

يَشُقُّ الوَغى عن وجهِ صِدْقُ نجدةٍ   وأبيضَ من ماءِ الحَديدِ وَقِيعِ [1]

إذا خَزَنَ المالَ البخيلُ فإنما   خزائنُـــه خَطِّيَّةٌ ودُروعُ [2]

وبِيضٌ بِهـا مِسْكٌ مكانَ بَنَانِهِ   ولـكنّها ريحُ الدِّماءِ تَضُوعُ [3]

تَروحُ بأرزاقٍ وتغدو بغَارةٍ   فأنتَ ذُعافٌ مُرَّةٌ وربيعُ [4]

وأنشد له الجاحظ فى كتاب الحيوان صفحة ٤٩٦ جزء ٦ بيتاً :

بُطَيِّبُ ريحُ الخَيْزُرانةِ بينهم   على أنهـا ريحُ الدِّماءِ تَضُوعُ [5]

---

(١) الوغى : صوت الناس فى الحرب ، ويطلق على الحرب نفسها ، وهو المراد هنا ، والمعنى يشق أهل الحرب أى يفرقهم صدق نجدته وسيفه وهو الأبيض لصفاء حديده وصقله وماء الحديد رونقه وضياؤه . والوقيع : المسنون المحدد بالمِيقَعة ، وهى المِسَنُّ .

(٢) قال فى زهر الآداب : هذا كقول المتنبى فى رثاء أبى شجاع :

كنا نظن دياره مملوءةً   ذهبا فمات وكلُّ دارٍ بلقعُ

وإذا المكارمُ والصوارمُ والقنا   وبناتُ أعوجَ كلَّ شىءٍ يَجْمَعُ

قلت لعل بشارا يعرض بأبى جعفر المنصور ، فقد كان مشهوراً بالبخل ، إذا كانت القصيدة فى مدح إبراهيم بن عبد الله . فإن كانت فى مدح المهدى فقوله : إذا خزن المال البخيل . . . كناية عن كون الممدوح غير بخيل وليس بمعنى شريف .

(٣) البيض : السيوف ، معطوف على دروع ، وقوله : ولكنها ، الاستدراك ناشئ عن قوله بها مسك مكان بنانه ، كى لا يتوهم السامع أن حظ تلك السيوف هو تضمخها برائحة المسك فى مكان أصابعه ، فقال : ولكنها تتضوع منها رائحة للدماء . والمسك تقدم فى صفحة ١٠٧ جزء ٢ المطبوع . وتضوع : تنتشر وتفوح ، والأكثر استعمال ضاع يضوع فى فوح الرائحة الطيبة . قال فى اللسان : ومن العرب من يستعمله فى الرائحة المنتنة . والضمير فى لكنها ضمير القصة والشأن .

(٤) تروح خطاب للممدوح ، أى تُمْسِى بالعطاء وتصبح بالغارة . والذعاف بضم الذال المعجمة السم . والربيع الفصل المعروف والمراد به هنا الجواد الكريم ، شبه بالربيع لما يكثر فى الربيع من خير الحيوان ، فشبه بالسم على أعدائه وبالربيع لأوليائه ، كما قال النابغة :

وأنتَ ربيعٌ يَنْعَشُ الناسَ سَيْبُهُ   وسَيْفٌ أُعِيرَتْهُ المَنِيَّةُ قاطعُ

(٥) الخيزرانة : بفتح الخاء المعجمة وسكون التحتية وضم الزاى ، قصبة من صنف من القصب لين صبور الانكسار ينبت فى بلاد الهند ، تتخذ منه الرماح لعسر انكساره مع لين تحركه ، وتتخذ منه العصى التى يُتَوَكَّأُ عليها ، وأراد خيزرانة الرمح ليناسب قوله : على أنها ريح —

* وأنشد له فى المختار صفحة ٩٧ وفى المحاضرات صفحة ٤٨ جزء ٢ وفى أسرار البلاغة صفحة ٢٥٣ :

سيدى لا تأتِ فى قمرٍ ... لِحَديثٍ وارقُبِ الدُّرَعا[1]
وَتَوَقَّ الطِّيبَ لَيلَتَنا ... إنه وَاشٍ إذا سَطَعا[2]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٨ جزء ١١ والصفدى فى الوافى فى ترجمة إبراهيم بن سَيَّابة[3] :

— النساء . والظاهر أن قوله بينهم تحريف ، وأن الصواب الخيزران بَنانهم أو بنانه ، وهذا البيت يحتمل أنه بيت من قصيدة أخرى غير التى منها الأبيات المتقدمة ، ويحتمل أنه رواية فى قوله : ويفض بها مسك الخ ، من الأبيات المتقدمة . وعلى الاحتمالات يكون ضبط الياء الثانية من كلمة يطيب وضبط الحاء من كلمة ريح .

(١) الدُّرَع : بضم الدال وفتح الراء جمع درعاء ، وهى الليلة التى يطلع قمرها فى آخرها عند الصبح ، وهى ثلاث ليال من آخر الشهر ، وتجمع أيضا على دُرْع ، بضم الدال وسكون الراء ، ومنه قيل شاة درعاء إذا اسود رأسها وعنقها وابيض سائرها ، والمعنى لا تأت فى ليالى القمر خشية الافتضاح ، وأت فى ليالى الظلمة واحذر وقت طلوع القمر فى أواخرها . ورواه فى المحاضرات :

أمَلِ لا تأت فى قمر ... لحديث واتق الذرعا

والخطاب بأمل أنسب لمقام الغرام من الخطاب بسيدى ، ووقع فيه الذرعا بذال معجمة وأحسب أنه تحريف من المطبعة .

(٢) أى لا تحمل الطيب فى ليلة الزيارة . والواشى النمام لأنه يحسن ما ينقله من الكلام فكأنه يشى أى يزين ، والمعنى أن الطيب كالواشى ، وأصل معنى سطع : ارتفع الضوء ، ثم أطلق على فوح الرائحة ، وتشبيه الطيب بالواشى من مبتكرات بشار ، وقد تبعه فيه الشعراء ، قال البحترى :

وحاوَلْنَ كتمانَ الترحّل فى الدُّجَى ... فَنَمَّ بهن المِسْكُ حين تَضَوَّعا

وقال أبو المطاع ناصر الدولة بن حمدان :

ثلاثةٌ منعتْها من زيارتنا ... خَوفَ الرقيب وخوفَ الكاشح الحَنِق
ضَوْء الجبين وَوَسْوَاسُ الحُلِيِّ وما ... تَحْوِى معاطفُها من عَنْبَرٍ عَبِقِ
هَبِ الجبينَ بفضلِ الكفِّ تستره ... والحَلْىَ تنزعه ما حِيلَةُ العَرَق

(٣) قال فى الأغانى فى ترجمة إبراهيم بن سيابة إنه جاء بشارا فقال له : ما رأيت أعمى قط —

لو نكح الليث فى استه خَضَعَا ومات جوعا ولم يَنَلْ طمعا(١)

كذلك السيف عند هِزَّتِهِ لو بَصَقَ الناسُ فيه ما قَطَعَا

قافيـــة الفـاء

* وأنشد له فى العقد الفريد صفحة ١٨٤ جزء ٣ :

وإنّا لَيجْرِى بيننا حِينَ نلتقِى حديثٌ له وَشْىٌ كوَشْىِ المَطَارِفِ(٢)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٠ جزء ٣ :

يا عبـــدَ حبكِ شَفَّنِى شَغَفَا والحبُّ داء يورث التَلَفَا

والحبُّ يخفيه المحب لكَىْ لا يُســـتراب به وما يخفى

* وأنشـد له فى الأغانى صفحة ٤٤ جزء ٦ : قال « وتنسب أيضاً إلى وضاح اليمن » :

يا مَرْحَبًا ألفًا وألفًا بالـكَاسِرَاتِ إلىَّ طَرْفَا(٣)

= إلا وقد عوضه الله من بصره : إمَّا الحفظَ ، أو الذكاءَ ، أو حُسْنَ الصوت ، فأىَّ شىء عُوِّضْتَ ؟ قال بشار : أن لا أرى مثلك ، فمن أنت ويلك ! قال ابن سيابة : فقال بشار البيتين ، وكان ابن سيابة يُزَنّ بما قاله بشار . وكان البهتان فى الزن بذلك شائعا فى ذلك الزمان .

(١) استعمل النكاح فى معناه المجازى ، وتقدم فى (١) صفحة ٢١ .

(٢) نسب هذا البيت فى نهاية الأرب صفحة ٧٠ جزء ٢ لذى الرمة ومعه بيت يليه :

حديث كوقع القطر بالمَحْل يُشْتَهَى به من جوًى فى داخل القلب لاطف

ونسب البيتين فى ربيع الأبرار إلى عُمر بن أبى ربيعة ، وتبعه الغرناطى فى شرح المقصورة . والوشى تطريز الثوب ونقشه بالألوان الحريرية . والمطارف : جمع مُطرَف ، بضم الميم وفتح الراء : رداء مربع من خز .

(٣) النداء هنا مستعمل لمجرد التنبيه والاستفتاح اهتماما بما بعده . ومرحبا منصوب بفعل محذوف تقديره : حللتَ مرحبا ، أى مكانا رحبا ، ثم صارت كلمة تقال للدلالة على الفرح =

رُجُجِ الروادفِ كالظِّبا ءِ تَعرَّضَتْ حُوًّا ووُطْفَا[١]
أنــكَرْنَ مَرْكَبِيَ الحِمَا رَ وكُنَّ لا يُنكِرْنَ طِرْفَا[٢]
وسألْنَنِي أينَ الشَّبا بُ فقُلْتُ بَانَ وكانَ حِلْفَا
أفْـــنَى شبابي فانقضَى حلفُ النساء تَبِعْنَ حلفا[٣]

= بالقادم ، فتومي أصلها ، ولذلك يقولها من يلاقي من يحبه ولو لم يكن نزوله عنده ، ومثلها كلمة أهلا وسهلا . ألا ترى إلى قول البعيث :

قلتُ لها أهلاً وسهلاً ومَرْحَباً فردَّت بتأهيلٍ وسَهْلٍ ومَرْحَبِ

فردت عليه القادمة بمثل كلامه ، مع أنها هي التي زارته ، أي طيفها . وألفا اسم عدد جعل وصفا للمفعول ، أي مرحباً ألف مرة ، كما وصف باسم العدد في قول لبيد « حتى إذا سلخا جمادى ستة » أي الشهر المطرد بستة وهو جمادى الثانية ، وهو وقت شدة القر ، واسم العدد مستعمل لمجرد التكثير ، لأن الألف من أسماء العدد التي يكنى بها عن الكثرة القوية ، كقوله تعالى : « يود أحدهم لو يعمر ألف سنة » . ومثله اسم السبعين ، كقوله : « إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » . وألفا الثانية تكرير للتكثير ، وإنما قرنه بالواو العاطفة لمجرد عطف كلام على كلام ، وليس المراد زيادة العدد وإلا لقال ألفين . وكسر الطرف : النظر بجانب العين تدللا وغنجا .

(١) رجج : ثقيلات جمع رجحاء ، وهي الوثيرة الردف . والحوة ، بضم الحاء وتشديد الواو المضمومة ، ميل حمرة الشفتين إلى السواد . والوطف كثرة شعر الحاجبين ، فقوله : حوا جمع حواء . وقوله : وطفا جمع وطفاء ، وهما حالان من ضمير تعرضت .

(٢) المركب مصدر ميمي مضاف إلى فاعله ، وكنى بركوب الحمار عن الشيخوخة ، لأن الحمار لا يتعب راكبه فيركبه من لا يستطيع المعالجة ، لأن الجواد لا يركبه إلا من يعالجه ، وفي معنى استضعاف ركوب الحمار قال الآخر :

وما عَنْ رضًى كانَ الحمارُ مَطِيَّتِي ولَــكِنَّ مَنْ يَمْشِي سيرضَى بما رَكِبْ

وكنى بركوب الطرف بكسر الطاء ، وهو الجواد عن الشباب .

(٣) كتب في الأغاني في الطبعتين البولاقية وطبعة دار الكتب ، وفي النسخة المخطوطة عندي ، حلف في المصراع الأخير مرتين ، بحاء مهملة ، فيكون الحلف مستعارا للقول المعاشرة ، وهو اسم لمصدر المحالفة ، مضاف إلى فاعله أو مفعوله لصلوحيته للجانبين . وتبعن : معناه أن كل فوج من النساء خلائله يتبع فوجا آخر ، وعبر عن الفوج المتبوع بالحلف ، أي الأحلاف ، لأن الوصف بالمصدر لا يطابق موصوفه . وعندي أن الأولى أن يكون بالخاء المعجمة فيهما ، وتكون الخاء مفتوحة واللام ساكنة ، وهو اسم لما يخلف ، يستوي فيه الواحد وغيره ويكون في الخير وغيره على الأصح . ويجوز كسر الخاء واللام مفتوحة ، وهي جمع خلفة بكسر الخاء وسكون اللام ، وهي الجماعة التي تخلف غيرها وتجيء بعده ، قال زهير « بها العين =

أَعْطَيْتُهُنَّ مَـــوَدَّتِي ... فجزَيْنَنِي كَذِبًا وخُلْفَا(١)
وقَصَائِدٍ مِثْــلِ الرُّقَى ... أرْسَلْتُهُنَّ فَكُنَّ شَغْفَا(٢)
أَوْجَعْنَ كُلَّ مُغَازِلٍ ... وعَصَفْنَ بالغَيْرَانِ عَصْفَا(٣)
مِن كل لَذَّاتِ الفَــتَى ... قد نِلْتُ نَائِلَةً وعُرْفَا(٤)
صِدْتُ الأَوَانِسَ كالدُّمَى ... وسَقَيْتُهُنَّ الخَمْرَ صِرْفَا(٥)

• وأنشد له الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى مصحح مطبعة دار الكتب فى تعاليقه على طبعة أمالى القالى ص ٢٦٦ ج ٢(٦) :

أخوكَ الذى لا تَمْلِكُ الحِسَّ نَفْسُه ... وتَرْفَضُّ عند المُحْفِظَاتِ الكَتَائِفُ(٧)

= والآرام بعدهن خِلْفة ، وسكن اللام فى الثانية تخفيفا لأجل الميزان ، والمعنى أنه أفنى شبابه جماعات الحبائب التى تخلف جماعات قبلهن ، وتخلفهن جماعات بعدهن ، فإذا انقضى شباب طائفة تعلق بطائفة بعدها .

(١) الخُلْف بضم الخاء : الكلام الباطل .

(٢) الرق جمع رُقْيَة ، وهى كلام يتلى على المريض يشفيه ، والشَّغْف أصله شَغَف بفتح الغين المعجمة ، وهو الحب ، فسكن الغين سكون تخفيف للضرورة ، أى أن قصائده تشغف النساء به .

(٣) أراد أوجعن قلبه من تأثير الغزل . والغَيْران شديد الغيرة . والعصف الإطارة والقلع ، وهو كناية عن غلبة غيرته ، أى أوجعن العشاق بحبهن وأطرن قلوب الغيران من الأهل والأزواج لشدة غيرتهم منه .

(٤) هذا مأخوذ من قول زهير بن جناب الكلبى :

مِنْ كُلِّ ما نالَ الفَــتى ... قد نِلْتُــه غَيْرَ التَّحِيَّه

والعرف : الجود والعطاء .

(٥) المصراع الثانى كالسبب لمضمون الأول ، فلو حذف منه حرف العطف وشدد القاف لكان أوضح فى التعليل ، وإنما سقاهن الخمر صرفا ليكون أسرع وأشد لغيبوبة عقولهن فيَصِيدَهن .

(٦) قال الأستاذ محمد عبد الجواد الأصمعى ، مصحح دار الكتب ، فى تعاليقه على أمالى القالى عن الأستاذ كَرَنْكُو أنه وجده منسوبا إلى بشار فى نسخة خطية من الأمالى فى المكتبة الأهلية بباريس . أما النسخة المطبوع عليها فقد نسب فيها البيت إلى القطامى وهو المعروف .

(٧) الحس : بفتح الحاء ، مصدر حسست بكسر السين ، وبكسر الحاء الاسم ، =

• وأنشد له فى بهجة المجالس فى باب البكاء على ماضى الأزمان :

فَسَدَ الزمانُ وسادَ فيه المُقْرِفُ وجَرَى مع الطِّرف الحمارُ المُوكَفُ[1]

قافيـــة القـاف

• أنشد له فى الأغانى صفحة ٢٥ جزء ٣ فى عبد الكريم بن أبى العوجاء[2] :

= فيجوز فى قوله : لا تملك الحس ، كسر الحاء وفتحها ، وهو الرقة والعطف . وضبط فى اللسان والأمالى الحسُّ بالنصب ونفسُه بالرفع ، فمعنى تملك : تحفظ وتدخر : أى أخوك الذى لا تدخر نفسه عنك حساً ، أى رقة . وترفض : تذهب وتزول . والمُحفِظات بضم الميم وكسر الفاء : الأشياء التى توجب الحفيظة . والحفيظة الحمية والغضب . والكتائف جمع كتيفة وهى الحقد . وال فى الكتائف عوضٌ عن المضاف إليه ، أى كتائفه وعداوته ، أى عند ما تحق الحمية والغضب لك تزول كتائفه عليك .

(١) المقرف بضم الميم وكسر الراء : الجافى . قال أنيف بن زبان النبهانى :

جمعنا لهم من حى عوف ومالك كتائب يُردى المقرفين نكالها

والموكَف بفتح الكاف : الذى وضع عليه الإكاف ، وهو للحمار بمنزلة السرج للفرس .

(٢) قال أبو الفرج : كان بالبصرة ستة من أصحاب الكلام (أى من المشتغلين بعلم الكلام ، أعنى البحث فى العقائد الإسلامية) : عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وبشار بن برد وصالح بن عبد القدوس وعبد الكريم بن أبى العَوجاء ورجل من الأزد (يعنى جرير بن حازم) ، فكانوا يجتمعون فى منزل الأزدى ويختصمون عنده ، فأما عمرو وواصل فصارا إلى الاعتزال (يعنى بقيا مشتغلَين بعلم الكلام وصارا من أئمته) ، وأما عبد الكريم وصالح فصححا التوبة ، وأما بشار فبقى متحيرا (أى وأقبل على اللهو والشعر) ، وأما الأزدى فمال إلى قول السُّمنية من مذاهب أهل الهند ، فكان عبد الكريم يفسد الأحداث (أى يلقنهم مذهبه قبل أن يتوب أو يظهر التوبة) ، فقال له عمرو بن عبيد : قد بلغنى أنك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده وتدخله فى دينك ، فإما خرجت من مصرنا وإلا قُمتُ فيك مقاما آتى فيه على نفْسك ! فلحق بالكوفة فدُلَّ عليه محمدُ بن سليمان فقتله . اهـ . وقال ابن الأثير : حَبَسَ محمدُ بن سليمان بن على بن عبد الله بن عباس عاملُ الكوفة عبدَ الكريم بن أبى العوجاء على الزندقة سنة ١٥٥هـ ، وكان عبد الكريم خالَ معن بن زائدة ، فكثر شفعاؤه عند المنصور ، فكتب المنصور إلى محمد بن سليمان بالكف عنه إلى أن يأتيه رأيُه ، وكان محمد أمر بقتل عبد الكريم قبل ورود كتاب المنصور ، فغضب المنصور عليه ، ويقال إن عبد الكريم لما أيقن أنه مقتول =

قُلْ لعبد الكريم يابن أبي العو ... جاء بعتَ الإسلام بالكفر موقا(١)

لا تصلى ولا تصوم فإن صمـ ... ـتَ فبعضَ النهار صوماً رقيقا(٢)

لا تُبالى إذا أصبتَ من الخمـ ... ـر عتيقاً أن لا تكون عتيقا(٣)

ليت شعرى غداة حُلِّيتَ فى الجيـ ... ـد حنيفاً حُلِّيتَ أم زِنْدِيقا(٤)

أنتَ ممن يدور فى لعنة اللـ ... ـه صديقٌ لمن ينيك صديقا(٥)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٥ جزء ٣ فى مدح المهدى وهجاء يزيدَ بنِ مَزْيَدٍ(٦) وذكر البيت الأول غير معزو ابنُ عطية فى تفسير القرآن عند قوله تعالى: « وغرتهم الحياة الدنيا » فى سورة الأنعام:

— قال: لقد وضعت أربعة آلاف حديث حلَّلت فيها الحرام وحرمت فيها الحلال. اهـ. ولا أحسب هذا ثابتاً على عبد الكريم إذ لا يبوح به عاقل، ولكنه مما أشاعه عنه من رام تبرير فعل أمير الكوفة عند الخليفة.

(١) هكذا أول الأبيات فى النسخة المخطوطة من الأغانى عندى. ووقع فى طبعة دار الكتب وفى طبعة بولاق « قلت عبدَ الكريم » قال مصحح دار الكتب: وكذلك فى باقى الأصول — الموق: الحمق فى غباوة، وصاحبه مائق.

(٢) الرقيق ضد المتين من الأجسام، والصفيق من الثياب، واستعير الرقيق للضعيف غير التام، ومنه قول بشار الآتى « ومعروف الرجال رقيق » يقال هو رقيق الدين، أى ضعيف التدين، ويقال فى ضده هو متين الاعتقاد، فأراد بشار بالصوم الرقيق الإمساك عن المفطرات الواضحة دون الخفية.

(٣) عتيق الأول: بمعنى المعتَّقة، أى الخمر القديمة المخزن فى الدن. وعتيق الثانى بمعنى المعتوق، أى المعتوق من النار.

(٤) أطلق تحلية الجيد على خضابه بالدم، أى ضُرِبَتْ رقبته بالسيف، والمعنى لا أدرى أقُتِلْتَ يوم قتلتَ مسلما أم كافراً، والحنيف: وصف للمؤمن لأنه حنَّفَ عن الشرك، أى تجنبه ومال عنه، قال تعالى: « إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً »، وقال: « حنفاء لله » والزنديق: المتبع دين زرادشت الفارسى وتقدم فى المقدمة.

(٥) هذا البيت فى غاية المهاجاة، وبخاصة إن كان بعد موت المهجو، ولكل مقامٍ مقالٌ.

(٦) قال أبو الفرج: لما ورد بشار بغداد قصد يزيدَ بنَ مَزْيَدٍ وسأله أن يذكره للمهدى، فسوفه أشهراً ثم ورد رَوْح بن حاتم فبلغه خبر بشار فذكره للمهدى، فأمر المهدى بإحضاره، فدخل وأنشد المهدى شعراً مدحه به فوصله بعشرة آلاف درهم ووهب له عبداً —

ولما التقينا بالحُبَيْبَةِ غرّني ... بمعروفه حتى خرجتُ أفُوقُ(١)

حَبَانى بعبد قَسْرِيّ وقَيْنَةٍ ... ووَشْيٍ وآلافٍ لهن بَرِيقُ(٢)

فَقُلْ لِيزيدَ يَلْعَصِ الشهد خاليا ... لنا دونه عنـــد الخليفة سوقُ(٣)

رَقَدْتَ فنَمْ يابنَ الخَبيثةِ إنها ... مَكارِمُ لا يسطيعُهن لَصيقُ(٤)

— وقَيْنة ، وكساه كُسى كثيرة ، فقال بشار يهجو يزيد بن مزيد . ويزيد بن مزيد (بفتح الميم وسكون الزاى وفتح الياء) بن زائدة الشيبانى ، من سراة بنى شيبان وممدوح الشعراء ، وكان مقربا عند هارون الرشيد ، وهجاه بشار له من البهتان ، وهو ابن أخى معن بن زائدة، كان يزيد يلقب بالأغر ، أولاه المنصور أرمينية بعد قتل عمه معن بن زائدة سنة ١٥١ ﻫ ثم عزله بمكيدة من بعض أعدائه من عرب سجستان ، فبقى بلاعمل إلى أن ثار يوسف البَرْم بخراسان على المهدى سنة ١٥٩ ﻫ فوجه إليه يزيد بن مزيد فهزمه يزيد وقَتَلَه شأنه وبقى معدوداً من قواد الدولة ، وهو الذى قتل الوليد بن طريف الخارجى فى خلافة الرشيد ، ثم ولى أرمينية ثم عزل عنها سنة ١٧٢ ﻫ ، ثم أرجع إليها وضم إليها أذربيجان سنة ١٨٣ ﻫ ، وتوفى يزيد سنة ١٨٥ ﻫ ، وأبوه مَزيد كان من قواد المنصور قتله جماعة عن الثوار فى سجستان سنة ١٥١ ﻫ .

(١) الحبيبة ، وقع فى نسخة الأغانى المخطوطة وطبع بولاق بخاء معجمة وبياءين موحدتين ، ولعله بالجيم ونونين عوض الباءين ، كما فى طبعة دار الكتب ، كما وقع فى البيت ١ من ورقة ٢٥ — انظر تعليقنا على البيت — ويحتمل أن يكون موضع اسمه الخبيبة بخاء معجمة . وقوله غرنى : هو من الغر بفتح الغين غرا وغرارا : أن يزق الطائر فرخه ثم أطلق على صب اللبان فى فم الصبى كرها وعلى صب الدواء فى فم المريض ، وقد جوز ابن عطية فى تفسيره أن يكون هو معنى قوله تعالى : « وغرتهم الحياة الدنيا » فى سورة الأنعام ، واستشهد عليه بهذا البيت . وأفوق بفتح الهمزة وضم الفاء مضارع فاق ، إذا أصابه الفواق بضم الفاء ، وهو الجشاء المتتابع من كثرة الشبع وكنى به بشار عن بلوغ أقصى العطاء .

(٢) القسرى ، بفتح القاف والسين المهملة : الضخم الشديد . والقينة : الجارية المغنية . والوشى : تطريز الثوب ، وأراد به هنا برودا مطرزة ، لأن الوشى يقتضى بردا . والآلاف من الدنانير .

(٣) يلعص : بفتح العين ، من اللعص بفتح العين ، وهو النهم فى الأكل والشرب ، أى قل له ينفرد بأكل الطيبات ولا يحب من يشاركه ولا يسع فى الحامد . وفعل يلعص مجزوم فى جواب قل على تقدير إنْ تَقُل له العَصْ يَلْعَصْ ، كقوله تعالى : « وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن » . وهذا من أساليب تأكيد إيقاع المأمور به وهو فى القرآن كثير ، وهذا أحسن ما أول به فى الإعراب .

(٤) معنى رقدت ، أعرضت من المكارم زهداً فيها وميلا إلى الدعة . والضمير فى قوله إنها ، ضمير القصة والشأن . واللصيق من لم يكن من صميم القبيلة ، وهذا بهت من بشار ولذلك احتاج إلى بيان كونه لصيقا فى البيت بعده .

أبى لك عِرقٌ من فُلانَةَ أن تُرى ... جَوادًا ورأسٌ حيثُ شِبتَ حليق (١)

• وأنشد له فى الأغانى جزء ٣ صفحة ٦٨ (٢) ، وبيتان منها فى كتاب الحيوان جزء ٢ صفحة ١٦٨ ، والأبيات الثلاثة الأول منها فى المختار صفحة ٣٦٥ ، والبيت الأول والثانى فى البيان صفحة ١٨٤ جزء ٢ :

خليلَىَّ إنَّ العُسْرَ سوفَ يُفيقُ ... وإنَّ يساراً فى غدٍ لَخليقُ (٣)

ذَرانِى أشُبْ همِّى براحٍ فإنَّنى ... أرى الدَّهرَ فيه فُرْجَةٌ ومضيقُ (٤)

وما كنتُ إلا كالزمان إذا صَحا ... صَحوْتُ وإنْ ماقَ الزَّمانُ أموقُ (٥)

---

(١) أى أبى لك عرق أمك إذ لم تكن من صميم القوم ، فجئت بأخلاق الصقلاء بحكم «ولَدُ العَلاَّل يُشْبِه الخَال» . وفلانة كناية عن امرأة مجهولة ، وظاهر أن المراد بها الأم . وقوله : ورأس حيث شبت حليق ، معطوف على عرق ، والرأس الحليق كناية عن أثر الرق ، فقد كانوا إذا أسروا أسيرا حلقوا رأسه ، ومن أيام العرب يوم تَحْلاَق اللِّمَم .

(٢) قال فى الأغانى : قدم بشار على المهدى فقال له الربيع : إنه أذن لك وأمرك ألا تنشد شيئا من الغزل ، فادخل . فأنشده قصيدته «يا منظرا حسنا رأيته» . ثم أنشده مدحا بلا تشبيب لحرمه ، فقيل لبشار إنه لم يستحسن شعرك ، فقال : والله لقد مدحته بشعر لومدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد ، ولكنه كذب أملى لأنى كذبت فى قولى ، ثم قال هذه الأبيات . ولا يبعد أن تكون هذه الأبيات أصلا للأبيات المذكورة قبلها .

(٣) العسر : قلة المال وتحرج الأحوال ، وضده اليسر واليسارُ ، شبَّه العُسْرَ فى ملازمته إياه بنائم فى ملازمته مرْقَدَه ما دام نائما ، على طريقة المكنية ، وجعل انتظار الإفاقة تخييلا ، وهو أيضاً استعارة لزواله ، لأن الذى يفيق من نومه يزول عن مكانه ، وهذا كقول ابن المعتز لابن طاهر :

فَرِحْتُ لِمَا أضْعَافُه دُونَ قَدْرِكُمْ ... وقُلْتُ عَسَى قَدْ هَبَّ من نَوْمِه الدَّهْر

وأخذ المصراع الثانى من قوله تعالى : فإنَّ مع العسر يسرا . أى إن بعد العسر يسرا . وغَدٌ : مراد به المستقبل . والخليق : الحقيق بالشىء الحرى به .

(٤) هذا البيت انفرد بذكره صاحب مختار المختار . والشوب الخلط ، يقال شابه يشوبه . والفرجة بضم الفاء وسكون الراء : المكان المتسع بين جبال أو فى سور ، وضدها المضيق ، وهو المسلك الضيق .

(٥) رواه فى مختار المختار : وما أنا إلا كالزمان ، وهذا البيت مذكور فى الكتب الأربعة . والصحو ضد السكر وهو حال حضور العقل لأن السكر يختل معه العقل . وأموق : —

أأدماء لا أسطيعُ في قِلَّةِ الثرا ... خُزُوزًا ووَشْيًا والقَليلُ مُحِيقُ (١)

خُذِي من يدِي ما قلَّ إنَّ زمانَنا ... شَمُوسٌ ومعروفُ الرجالِ رَقِيقُ (٢)

لقد كنتُ لا أرضى بأدنى معيشةٍ ... ولا يشتكي بُخلاً عليَّ رفيقُ

خليليَّ إنَّ المالَ ليس بنافعٍ ... إذا لم يَنَلْ منه أخٌ وصديقُ

وكنتُ إذا ضاقت عليَّ مَحَلَّةٌ ... تيممتُ أخرى ما عليَّ تضيقُ

وما خاب بين الله والناسِ عاملٌ ... له في التُّقَى أو في المحامدِ سُوقُ (٣)

ولا ضاق فضلُ الله عن متعففٍ ... ولكنَّ أخلاقَ الرِّجالِ تضيقُ

= مشتق من السُّوق ، وهو الحماقة فى غباوة ، وهو النُّوكُ ، ولذلك ذكر الجاحظ فى البيان والتبيين فى جملة أخبار النَّوْكى ، والمعنى أنه يكون كمال زمانه ، والمراد بالزمان أهله ، كما قال الشاعر :

يقولون الزمان به فساد ... وهُمْ فسدوا وما فسد الزمان

وقال دريد بن الصمة :

وما أنا إلا من غَزِيَّةَ إن غَوَتْ ... غَوَيْتُ وإن تَرْشُدْ غَزِيَّةُ أَرْشُدُ

(١) خاطب امرأةً اسمُها أدماء ، وهو مؤنث آدم ، أو أراد أنها موصوفة بأدمة اللون ، وخص المرأة بالخطاب جريا على طريقة شعراء العرب ، إذ يخاطبون المرأة فى حالة قلة ذات اليد ، لأن المرأة تسأل الرجل المال وتلوم على الإسراف ، قال ضمرة بن ضمرة النهشلى :

بكرَتْ تلومك بعد وَهْنٍ فى النَّدى ... بَسْلٌ عليكِ ملامتى وعتابى

ولعل بشاراً أراد مخاطبة زوجه ، إذْ سألته التوسع فى الكسوة . والخزوز جمع خز بفتح الخاء ، وهو ثياب تنسج من الحرير . والوشى مصدر بمعنى الطرز وأراد المفعول . والثرا أراد به الثراء ، ، قصره للضرورة ، والمعنى أنه لا يستطيع مع الفقر نوال ما يناسبه من اللباس لشرفه . والمُحيق اسم فاعل من أحاق بمعنى حاق أى أحاط ، والمراد بالقليل المال القليل ، وهو ضد الثراء ، والمعنى أن قلة المال محيطة به لا تترك للثراء إليه مسلكا .

(٢) الشَّموس بفتح الشين ، وصف الفرس إذا اشتد على من يريد ركوبه ومَسَّه ، ورقيق أى ضعيف ، والمعنى أنه قليل ؛ فالمعنى أن وسائل الكسب عسيرة فى زمانه ، إذ الزمان لا يسمح لمن يطلب فيه رزقا ، ومعروف الكرام نادر .

(٣) هو كقول الآخر : « لا يذهبُ العُرْفُ بينَ الله والناس » . ولفظ سوق مستعمل فى معنى رواج البضائع ، ويكنى به عن الحظ .

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٠ جزء ٣ يهجو باهلة ، أى من قصيدة فى هجائهم :

وَدَعَانِي مَعْشَرٌ كُلُّهُمُ حُمُقٌ دَامَ لَهُمْ ذَاكَ الحُمُقْ(١)
ليس من جُرْم ولكن غَاظَهم شَرَفِي العارضُ قَد سَدَّ الأُفُقْ(٢)

* وأنشد له فى البيان صفحة ٥٣ جزء ١ :

مِنْ خُراسَانَ وبيتي فى الذُّرَى ولَدَى المَسْعَاةِ فَرْعِي قَد سَبَقْ(٣)

* وأنشد بعده :

وإنِّى لَمِنْ قَوْمٍ خُراسَانُ دَارُهُمْ كِرام ، وفَرْعى فيهمُ نَاضِرٌ بَسَقْ(٤)

---

(١) وقع حرف العطف بعد كلام قبله لا محالة ، والظاهر أن مفعول دعانى مذكور فى بيت بعد هذا البيت سقط من سياق الأغانى . وحمق : بضم الحاء وضم الميم ، من جموع الأحمق . وحُمُق الثانى بضمتين أيضاً مصدر حَمُقَ ، وأصل المصدر بسكون الميم فحركها بضمة إتباع لضمة الحاء للضرورة .

(٢) العارض : السحاب ، شبه شرفه بالسحاب فى الارتفاع ، وكنى بذلك عن قوة شرفه . وقوله : قد سد الأفق ، تخييل للاستعارة ، وهو أيضاً مستعار للكثرة ومكنى بها من القوة .

(٣) المسعاة الرفعة والمجد ، وتقدم فى الملحقات . وكتب فى البيان سَبَق بتقديم السين على الموحدة وهو لا يناسب الفرع الذى هو غصن الشجرة ، فيجب أن يكون بسق ، بتقديم الموحدة على السين ، وهو خطأ من النساخ للكتاب ، وبسق هنا بمعنى فاق غيره ، وأصل البسوق علو النخلة ، قال تعالى : « والنخل باسقات » أى عاليات مستقيمات . وسيجىء فى البيت الذى ذكر بعد هذا « وفرعى فيهم ناضر بسق » .

(٤) وقع فى البيان هذا البيت عقب الذى قبله دون حرف عطف وهو خطأ من ناسخ الكتاب لأن البيت الذى قبله من بحر الرمل وهذا من بحر الطويل ، ولعل ذلك هو الذى جر الناسخ على أن يغير قوله فى البيت قبله : فرعى قد بسق ، إلى جعله سبق ، لأنه توهم أن ذلك إيطاء . وتقدم معنى بسق فى شرح البيت الذى ذكر قبله .

● وأنشد له فى عيون الأخبار ص ١٧٩ جزء ٣ :

أنفِق المالَ ولا تَشْقَ به خيرُ دينارَيْك دينارٌ نَفَقْ(١)

● وأنشد له فى المحاضرات صفحة ٢٢ جزء ٢ :

سَبَقَتْ بالُحبِّ سلمى غيرَها وأحَقُّ الناس عنــد من سَبَقْ

● وأنشد له فى كتاب الفصول فى صفة زق الخمر :

فى الفتى الزِّنْجِىِّ منـــه شَبَه غيرَ أنَّ الزِّقَّ أذْكَى وأرَقْ(٢)
فانقضَى ذاكَ وكانتْ شِرَّتى مِثْلَ ما كانَ ذُبَالٌ فاحترَقْ(٣)

● وأنشــد له الراغب فى المحاضرات صفحة ٣٤٠ جزء ١ مصراعا واحداً وهو :

وكأنَّ الزِّقَّ زَنْجِىٌّ سَرَقْ(٤)

---

(١) نفق بفتح الفاء ، راج وكثر ، وهو هنا مستعار للتداول فى الأيدى ، أى لا يكون مكنوزاً لأن الدينار إذا أنفقه مالكه راج بين الناس .

(٢) أذكى اسم تفضيل ، من ذكت الرائحة : إذا اشتدت وسطعت فى طيب أو نتن . والمراد بالرقة رقة الجلد لأنهم يتخذون زق الخمر من جيد الجلد ، والمقصود من قوله : غير أن الخ : الاحتراس فى التشبيه لئلا يعم فى جميع صفات المشبه به ، وهى طريقة معروفة . والزنجى يأتى فى المصراع المفرد بعد هذين .

(٣) التفريع بالفاء : ناشئ عن كلام سابق فيها لم يرو من الأبيات ، والمشار إليه بذاك شرب الخمر . والشرة بكسر الشين نشاط الشباب ، أى انقضى ، وكان نشاط شبابى ماثلا لذبال احترق . والذبال بضم الذال ، اسم جمع ذبالة ، وهى الفتيلة ، واحتراقها يكون من جفاف الزيت عنها فيحترق بما فيها من النار ، فقوله مثل خبر كان الأولى . و«كان» الثانية تامة .

(٤) لعل هذا المصراع من بقية الأبيات المفقودة التى منها البيتان اللذان قبل هذا المصراع . وفى هذا المصراع تمثيل حال زق الخمر ، والشَّرْبُ يصبون منه الخمر ثم يُوكئونه المرة بعد المرة ، بحال زنجى سرق فى أهله ، فلا يزالون يقررونه وهو يبوح كل مرة ببعض مسروقه . والزنجى بفتح الزاى وبكسرها ، منسوب إلى الزنج ، نسبة الواحد لاسم جمعه ، والزنج جيل من السودان . وكان العبيد من الزنج ، وكانت السرقة تكثر فى العبيد لإهمال تربيتهم وقصرهم —

• وأنشد له ابن العديم فى كتاب الإنصاف والتحرى :

إنما تسرحُ آسادُ الشرى حيثُ لا تُنصبُ أشراكُ الحدَق(١)

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٩ جزء ٦ ، وصفحة ٣١ جزء ٣ ، وفى المختار صفحة ٩٥ ، يزيد بعضها على بعض :

عَبْدَ إنّى إليكِ بالأشواق لِتلاقٍ وكيف لى بالتلاقِ(٢)

أنا واللهِ أشتهى سِحْرَ عَيْنَيْـــكِ وأخشى مَصارِعَ العُشّاقِ(٣)

— على الخدمة ، ولأنهم كانوا يتركونهم فى خصاصة . وقد قال عمر بن الخطاب لحاطب بن أبى بلتعة فى شأن عبيد له سرقوا ناقة لرجل من مزينة : « أراك تجيعهم » . وكانت بيوت العرب لا أجنبى بها غير العبيد ، وقضيةُ الأمة التى اتهمها أهلها بمكة أنها سرقت وشاحا لهم فقدوه وجعلوا يعذبونها حتى جاءت الحدأة فألقته ، فأسلمت تلك الأمة ، وكانت فى زمن البعثة وهى التى تقول :

ويومُ الوِشاح من تعاجيب ربنا ألا إنه من ساحة الكفر أنجانى

وقريب من هذا التشبيه قول المعرى :

كأنّى فى لسانِ الدهْر لفْظ تَضَمَّنَ منـــه أغراضًا بِعادا

يُكَرِّرُنى ليفهمَنـــى رِجال كما كَرَّرْتَ لفظًا مُستعادا

قال ابن السيد البطليوسى فى شرحه : هذا معنى لا أعلمه لغيره .

(١) قال ابن العديم : أخبرنى ناصر السَّلَمى المراكشى بالقاهرة ، قال : نقلتُ من طرة على كتاب الأغانى للرقيق قال محمد بن أبى بكر ، ويعرف بالحاتمى : ارتحلت أريد المعرة فدخلت على أبى العلاء فقلت له : أتعرف لمن هذا البيت ؟ فقال لا . فبحثنا عنه فوجدناه لبشار بن برد .

(٢) رواه فى زهر الآداب صفحة ٢١ : زودينا يا عبد قبل الفراق بتلاق الخ . ولعله الرواية آنق طالعا ، وعلى رواية الأغانى والمختار يكون قوله : إليك ، متعلقا بقوله بالأشواق ، وبالأشواق خبر إنّ ، والباء للملابسة . وذكر فى زهر الآداب عن أبى تمام أنه كان يقول : ما رأيت شعرا أغزل من هذا الشعر . ولعله يريد خصوص البيت الثانى .

(٣) تقدم فى المقدمة قول المازنى عن الأصمعى فى غوص بشار على المعانى مثل هذا البيت . وهذا البيت ذكر فى الجزء ٦ من الأغانى وفى المختار ، والمعنى وأخشى من عواقب العشق ، وهذا يقتضى أن أول العشق عنده اختيارى ، والخلاف بين الأدباء فى ذلك قديم .

وأهاب الحزمِيَّ مُحْقَبِ الجُنْـــدِ يَلُفُّ البَرِىءَ بالفُسَّاقِ(١)
فاصْبِرِى مثلما صَبَرْتُ فإنَّ الصَّـــبْرَ حَظٌّ من صالح الأَخْلاقِ(٢)
إنَّنِى من بنى عُقَيْلِ بنِ كعب مَوْضِعَ السيف من طُلَى الأَعْناقِ(٣)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٧ جزء ١٣ :

مالت حاداً على فسقه يلومه الجاهل والمائق(٤)
رمامُ من أبره وأسته مَلَّكَهُ إياها الخالق(٥)
ما بات إلا فوقه فاسق ينيكه أو تحتـه فاسق

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٤ جزء ١٣ :

مَواعِيـدُ حَمّادٍ سَماءٌ مُخِيلَةٌ تَكَشَّفُ عن رعدٍ ولـكن سَتُبْرِقُ(٦)

---

(١) هذا البيت انفرد به الأغانى فى الجزء ٦ ، وذكره عقب : أنا والله .

(٢) هذا البيت انفرد به فى المختار ، وذكره عقب : أنا والله الخ ، فقدمت عليه بيت رواية الأغانى ثم أعقبته به .

(٣) الطُّلى ، بضم الطاء : جمع طُلْيَة بضمها ، وهى أصل العنق . وأراد بالسيف خاتله ، أى إننى فى منتهى شرفهم . ولقد أبدع فى هذا الكلام إذ جاء به صالحا لأن يكون من صميم بنى عقيل أو من مواليهم ، فإن المتبادر أن من للتبعيض ، وأنها خبر إنَّ ، وأن قوله موضع السيف ، منصوب على الحال على معنى التشبيه البليغ ، فيكون المعنى أنه منهم وأنه من أشرافهم ، وعند التحقيق تكون من اتصالية فى محل الحال من اسم إن ومن الاتصالية ضربٌ من الابتدائية ، كما يقولون : لست منك ولست منى ، ويكون قوله : موضع السيف ، منصوبا على الظرفية ، وهو خبر إنَّ ، فيكون المعنى : إننى من بنى عقيل فى موضع السيف ، أى فى محل العزة منهم والتجلة ، لأنه من أعز مواليهم ومفاخر قومهم . وهذا البيت ذكره فى المختار مع البيتين اللذين ذكرهما . وذكره فى الجزء ٣ من الأغانى مفردا . وقد ذكرنا هذا البيت فى المقدمة صفحة ٥ من الجزء الأول فى تصحيح ولاء بشار لبنى عقيل وافتخاره به .

(٤) المائق : الأحمق . وتقدم فى هذه الملحقات .

(٥) [قلت : لعل « رمام » صوابه : « ومام ... ؟ » بالاستفهام الإنكارى ، أى ما لمه وله ؟] .

(٦) المُخيلة بضم الميم ، يقال أخالَتْ السماء وأخالت السحابة إذا ظُنَّ أنها ماطرة ولم تمطر . ويجوز فى قوله ستبرق ضم التاء وكسر الراء ، ويجوز فتح التاء وضم الراء ، ومن علماء العربية من قال : لا يقال أبرق السحاب وأرعد ، وإنما يقال : برق ورعد ، وإنما يقال أبرق وأرعد فلان إذا غضب ، وهذا التحجير لا يصح ، والجمهور على خلافه ، لأن —

إذا جئتَه يوما أحالَ على غدٍ كما وُعِدَ الكمّون ما ليسَ يَصْدُقُ (١)
وفى نافعٍ عنى جفاءٌ وإننى لأُطْرِقُ أحيانًا وذُو اللب يُطْرِقُ (٢)
وللنَّقَرَى قَوْمٌ فلو كُنتُ منهم دُعِيتُ ولكن دُونىَ البابُ مُغلَقُ (٣)
أبا عُمَرٍ خلَّفْتَ خلفكَ حاجتى وحَاجَةُ غَيْرِى بيْن عينيك تَبْرُقُ (٤)
ومازلتُ أستأنيكَ حتى حَسَرْتَنِى بوَعْدٍ كجارِى الآلِ يَخْفَى ويَخْفِقُ (٥)

* وأنشد له فى المختار صفحة ٧١ :

قد ألبَسُ العَيْشَ ذَا الرِّقاعِ ولا ألبَسُ ثوبَ الإخاءِ مُنْخَرِقَا (٦)

= أبرق فلان وأرعد ، مجاز لا محالة على تشبيه حاله بحال السماء فى رعدها وبرقها ، وليس المجاز صيغة إلا وهى صيغة الحقيقة ، ويجوز أن يكثر استعمال إحدى الصيغتين فى إحدى الحالتين من الحقيقة أو المجاز . ومن ذلك قولهم : برق وجهه من البريق ، فإنه لا يقال أبرق وجهه ، لأن اشتقاقه من البرق صار نسيا منسيا . والظاهر أن قوله ولكن متبرق تهكم ، ولو لم يكن كذلك لم يصح الاستدراك .

(١) تقدم فى صفحة ١٤٢ من الجزء الأول .

(٢) نافع هذا : هو الأمير نافع بن عقبة بن سلم ، ستأتى ترجمته عند قول بشار : « ونافع فضل على أكفائه » فى قافية اللام : وقوله لأطرق أى أسكت حياء ، والإطراق : سكوت مع النظر إلى الأرض ، فهو من الألفاظ ذوات المعانى المركبة من شيئين ، والمعنى أنى لا أؤاخذه بجفائه حياء منه ، لأنه لو كان غيره لهجاه ، فمنعه من هجوه الحياء : قال أبو تمام :

أتانى مع الرُّكبان ظنٌّ ظننتَه نَكَسْتُ له رأسى حياءً من المجد

ومعنى وذو اللب يطرق : أن صاحب العقل الحصيف يغضى عن مساوئ أهل الكرم .

(٣) النقرى بفتحتين ، دعوة الطعام ينتخب له مدعوون ، وهى مشتقة من نقر الطائر إذا التقط الحب واختاره . وضدها الجفلى بالتحريك، وهى الدعوة العامة فى العشيرة أو نحوها . وتقدم فى صفحة ١٤٩ من الجزء الأول . ويريد : ولنقرى حماد أو لنقرى نافع قوم غيرى يقريهم .

(٤) أبو عمر كنية حماد ، ومعنى البيت : نسيتُ حاجتى واشتغلت بحاجة غيرى . وتبرق بفتح التاء وضم الراء من البريق وهو اللمعان ، وأراد به الظهور .

(٥) يقال حسَرَ البعيرَ إذا ساقه حتى أعياه . مثَّل مُطْولَ المَطْل بما وعده حتى بلغ اليأسَ بحال سَوق البعير سيرا متكررا حتى يبلغ حد الإعياء . والآل : السراب الذى فى أول النهار وآخره . انظر صفحة ١٤٨ من الجزء الأول

(٦) شبه العيش ذا الخصاصة بالثوب المرقوع، فقال: ذا الرقاع ، على طريقة المكنية ، =

أصبحتُ مثلَ السّراب يدنو فلا … يُوجَــد شيئاً وإن نأى خَفَقَا[1]

* وأنشد له فى زهر الآداب صفحة ٢١ جزء ٢ ، وفى شرح الغرناطى صفحة ١٩٤ جزء ١ :

لقد عشقتْ أذنى كلاما سمعتـــه … رخيما وقلبى للمليحة أعشق

ولو عاينوها لم يلوموا على البُـكا … كريمًا سقاه الخمرَ بدر مُحَلَّقُ[2]

وكيفَ تناسِى من كَأنَّ حديثَه … بأذنى وإن غُيبتُ قُرطٌ مُعَلَّق[3]

* وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ٢٢٤ جزء ١ :

ولستُ بناس من يكون كلامُه … بأذنى وإن غُيِّبْتُ قُرطًا معلقًا[4]

— والرقاع : جمع رقعة ، بضم الراء ، وهى قطعة صغيرة من ثوب تخاط فى موضع تخرق ثوب آخر . وشبه الإخاء العرىّ عن الوفاء بالثوب المتخرق الذى لا يجدى لابسه ؛ والمعنى أنه وإن ناله خصاصة لا يخون أخوة أصدقائه ولا يطمع فى بذل أعدائهم .

(١) إذا كانت تاء أصبحتُ تاء المتكلم كان الظاهر أنه أراد أنه يحفظ الوعود فى الغيبة وإن بدا منه جفاء فى الحضرة ، وإن كانت تاء خطاب وهو الأظهر ، كان يلوم بعض من يظهر له الصحبة ، فإذا جربه وجده كالسراب ، فيكون على هذا مقابلة لحاله فى صدق الود بحال المخاطب فى تمويه وده . والخفق : اللمعان واضطراب اليد . والبيتان من بحر المنسرح من الضرب الأول . وقد دخل فى البيت الأول والثانى زحاف الطى فى العروض بحذف الساكن الرابع من مفعولات .

(٢) بحاء مهملة وكسر اللام ، يقال : حلق البدر ، إذا دارت حوله هالة ، وذلك من شدة نوره . وكتب فى شرح الغرناطى بخاء معجمة فيكون بفتح اللام ، أى مطيب بالخلوق ، فيكون تجريداً للتشبيه كقول طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المرد شادن … مظاهر سمطىْ لؤلؤ وزبرجد

(٣) فى زهر الآداب : وإن عنيت ، بعين مهملة فنون فتحتية ، وصوابه ما فى الغرناطى : وإن غيبت ، بغين معجمة فياء تحتية فباء موحدة . والقرط : حلى يعلق فى أذن المرأة .

(٤) هذا البيت شديد المشابهة للبيت الأخير من القطعة قبله ، فلعله من قصيدة أخرى على قافية القاف المفتوحة ، أو هو مروى بتغيير بسبب انفراده عن البيتين الآخرين .

• وأنشد له الراغب صفحة ٢٧٧ جزء ١ ، ولعل هذا البيت متصل بالأبيات المتقدمة :

كأنَّ لم دينًا عليه ومالم سوى جُودِ كفَّيه عليه حُقُوقُ

• وأنشد له فى الصبح للنبى صفحة ١٣٦ :

وَظَنٌ وهو مُجِــــدٌ فى هزيمته ما لاَحَ قُدَّامَهُ شخصًا يُسَابِقُهُ(١)

قافية الكاف

اعلم أن علماء العروض والقوافى اصطلحوا تبعاً لما استقروه من شعر شعراء العرب على أن كاف الضمير تبنى عليه القافية بخلاف هاء الضمير، غير أن الأحسن فى الشعر أن يلتزم مع كاف الخطاب حرف قبلها وهو من أحسن التزام ما لا يلزم، كما ترى فى الأبيات الآتية . أنشدها له فى الأغانى صفحة ٥١ جزء ٦ :

يَا عَبْدَ زُورِينى تكُنْ مِنَّةٌ لله عنــــدى يومَ ألقاكِ

واللهِ ثُم اللهِ فاســتيقنِى إنِّى لأرجوكِ وأخشاكِ(٢)

يا عبـــد إنى هالك مدنف إن لم أذق برد ثناياكِ

فلا تردّى عاشقاً مدنفا يرضى بهذا القدر من ذاكِ

بنى بشار هذه الأبيات على كاف الخطاب ، وهى من الحروف التى يسوغ جعلها قافية ، إلا أنه بناها على ردف وهو الألف فلزمتها فى جميع الأبيات ، وينبغى

---

(١) أخذه المتنبى فقال :

وضاقت الأرضُ حتى كادَ هاربُهم إذا رأى غيرَ شيء ظنَّــه رجُلا

(٢) قوله إنى لأرجوك بكسر همزة إن ، لا بقصد لام الابتداء . وجملة إنى لأرجوك جواب القسم ، وجملة فاستيقنى معترضة بين القسم وجوابه ، ومثله كثير فى كلام العرب .

الشاعر أن يراعى حرفا يلتزمه قبل كاف الضمير لأنها بدون ذلك تصيّر الروى مكررا فيشبه الإيطاء .

* وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ٤٥ جزء ٣ :

لو كانتْ الفديةُ مقبــولةً   لقُلْت بى لا بك حُمّاكا

* وأنشد له فى أسرار البلاغة صفحة ٢٥٢ ، والقزوينى فى الإيضاح فى مبحث ترشيح الاستعارة ، وصاحب معاهد التنصيص صفحة ٢٥٠ ، والمختار صفحة ٦٤ (١) يزيد بعضهم على بعض :

بعثتُ بذِكْرِها شِعْرِى   وقدّمْتُ الهوى شَرَكا

فلما شَاقَهــــا قَوْلِى   وَشَبَّ الحبُّ فاُحتُنِكا (٢)

أَتتْنِى الشَّــمْسُ زَائِرةً   ولم تَكُ تَبْرَحُ الفَلَكا (٣)

تقول وقد خلوتُ بهــا   تَكَلَّمْ واكْفِنِى يدَكا

وجَدْتُ العيشَ فى «سُعْدَى»   وكانَ العَيْشُ قد هَلَكا (٤)

---

(١) الأبيات ١ — ٢ — ٥ انفرد بها أسرار البلاغة . والبيت ٤ انفرد به الإيضاح والمختار والمعاهد .

(٢) احتنك ، بضم الفوقية وكسر النون بصيغة المجهول ، إذا حَنَّكَتْه التجارب ، أى أحكمته ، فهو مُحَنَّك ، واحتنكه ، فهو مُحْتَنَك .

(٣) الفلك : مدار موهوم لأحد الكواكب . وجعل فى الإيضاح هذا البيت مما بُنِى على تناسى التشبيه ، وهو ترشيح للاستعارة ، وعندى أنه ترشيح واستعارة معا ، لأنه لما شبهها بالشمس فى الحسن ورفعة القدر أتبعه بأن شبه محلها بالفلك ؛ كقول عباس بن الأحنف :

هى الشمسُ مسكَنُها فى السما   فعزِّ الفؤاد عَزاء جميلا

(٤) كتب فى أسرار البلاغة : وجدت ، ولعله وجَدّ ، أى صار جديدا ، وهو أليق بالوزن ، ولتصح مقابلته بقوله : وكان العيش قد هلكا ، أى بلى ، وهو كقول الآخر :

قد كان رَثَّ هَوَاىَ فابْــتَسَمَتْ فَرَدَّتْه جَــدِيدا

* وأنشد له فى ديوان المعانى صفحة ٢٤١ جزء ١ ، وفى الأغانى صفحة ١٩٢ جزء ١٨ ، والوشّاء ، والأبشيهى فى المستطرف صفحة ١٦٤ جزء ٢ . وقد انفرد الأبشيهى بالأبيات الثلاثة الأول واشترك معهم فى البقية . يشبب بامرأة اسمها « رحمة » :

يا قُرَّةَ العين إنى لا أُسَمِّيكِ ... أُكْنِى بأخرى أُسَمِّيها وأَعْنِيكِ (١)

أخشى عليكِ من الجارات حَاسِدَةً ... أو سَهْمَ غَيْرانَ يَرْمِينِى ويَرْمِيكِ (٢)

لولا الرُّقَيْباتُ إذ وَدَّعتِ غَادِيَةً ... قَبَّلْتُ فَاكِ وقُلْتُ النَّفس تَفْدِيكِ

يا أطيبَ الناس رِيقًا غيرَ مُخْتَبَرٍ ... إلاَّ شَهَادَةَ أَطْرَافِ المَسَاوِيكِ (٣)

---

(١) يقال : كنى يَكْنِى ، وكَنَا يَكْنُو ، إذا أتى بلفظ يعنى به شيئا وليس صريحا فيما عنى به . ومنه الكناية فى فن البيان . والاستعارة بالكناية أيضاً .

(٢) أراد بالسهم هنا النظر ، أى نظر الرقيب من أهلها صاحبِ الغَيْرة .

(٣) المساويك جمع مِسْوَاك ، بكسر الميم وسكون السين ، وهو العود الذى يستاك به من أراكٍ أو بَشَامٍ ، صيغ له اسم آلة من فعله . والمعنى أنها ناولته سواكها الذى استاكت به فوجد به نكهة فيها . ومناولة المسواك من شؤون الغرام القديمة . قال عبد بنى الحسحاس : تعاورن مسواكى . . البيت ، وانظر شرح قول بشار :

تسوكت لى بسواك لتعلمنى ... ما طيب فيها وما همت بإصلاح

الأبيات الثلاثة من صفحة ١٣٦ جزء ٢ . وأما طيب ريقها فتلك من محاسن المرأة أن تكون فى رائحة فيها نكهة مثل الطيب ، وذلك يكون من مفرزات المعدة وطيب اللثات ، قال أبو هلال فى ديوان المعانى : أخذ بشار قوله هذا من قول قيس يعنى قيس بن الملوح :

كأنَّ على أنوابها الخمرَ شجَّها ... بماء النَّدَى من آخر الليل غَابِقُ

وماذقتهُ إلا بعينى تفرُّسًا ... كما شِيمَ من أعلى السحابة بارق

ولا محالة أن كلمة أنوابها فى كلام ديوان المعانى محرفة من أنيابها ، كما هى فى الأغانى ، وترك كلمة فى آخر المصراع الأول بياضا ، وقد أثبتناها كما جاءت فى الأغانى فى ترجمة قيس ابن الملوّح ، ولعل قيسا أخذه من شعر لأبى صَخْرَةَ البَوْلانى من شعراء الحماسة فى أبيات ثلاثة :

بِأَطْيَبَ من فيها وما ذُقْتُ طَعْمَه ... ولكننى فيما ترى العينُ فَارِسُ

أى صاحب فراسة . وشهادة بشار بالمساويك أفصح وأغزل . والغابق : الذى يشرب الخمر فى المساء ، وهو الغَبُوق ، وجعل الليل من المساء .

قد زُرْتِنَا مَرَّةً فى الدهر واحدةً ... عُودِى ولا تجْعَلِيها بَيْضَةَ الدِّيكِ[1]

يا رحمةَ اللهِ حُلِّى فى منازلنا ... حَسْبِى بِرَائِحَةِ الفِرْدَوْسِ من فِيكِ

إن الذى رَاحَ مَغْبُوطًا بِنِعْمَتِهِ ... كَفٌّ تَمَسُّكِ أَوْ كَفٌّ تُعَاطِيكِ

ولو وَهَبْتِ لنا يوما نَعِيشُ به ... أَحْيَيْتِ نَفْسًا وكانَتْ من مَسَاعِيكِ[2]

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٣ جزء ٦ :

عَبْدَ يا قُرَّةَ عينى ... أنصفِى ! رُوحِى فِدَاكِ

عاشِقًا ليس له ذِكْرٌ ولا هَمٌّ سِوَاكِ

• وأنشد له فى زهر الآداب صفحة ٢١ جزء ٢ :

وهَبْتِ له على المِسْوَاكِ رِيقًا ... فطاب له بطِيبِ ثَنِيَّتَيْكِ

أُقَبِّلُه على الذِّكرى كأنى ... أُقبِّل فيه فاكِ ومُقْلَتَيْكِ[3]

---

(١) العامة يزعمون أن الديك يبيض فى عمره بيضة صغيرة لا تشر لها ، فإذا باضها لم يبض مرة أخرى . قال فى كتاب « ما يعول عليه فى المضاف والمضاف إليه » : « تضرب بيضة الديك مثلا فى الشىء الذى يكون مرة واحدة لا ثانية لها » .

(٢) المساعى ، جمع مَسْعاة ، بفتح الميم اسم للمكرمة ، والفعل الذى يكسب صاحبه حمدا ، وفعله سعى بدون متعلق ، قال زهير :

سَعَى ساعيا غيظ بن مُرَّةَ بعدما ... تبزّل ما بين العشيرة بالدم

وصاحبها ساع . قال عمرو بن كلثوم :

ومنا قَبْلَه الساعى كُلَيْبٌ ... فأىُّ المَجْدِ إلا قَدْ وَلِينا

وتقلمت المساة فى هذه الملحقات فى قوله : يريدون مساقى الخ ، فى قافية الراء .

(٣) تقبيل العين لم يكن مشؤوما فى عصر بشار ، فإن من أحسن صفات المحبوب جمال عينيه ، ومن الناس من يتشاءم بذلك ويزعم أنه يورث الفراق . قال أحد شعراء الأندلس وقد عد أشياء يزعمون أنها تورث للفراق :

فواقه ما أعطيت خل خاتما ... ولا قلما يبرى ولا بست عينه

ولا آلة للقطع توجب فرقة ... فما سبب التفريق بينى وبينه —

• وأنشد له فى كتاب النزهة ورقة ١٢٧ فى بعض إخوانه ، وكان ملولا متقلباً فى مودته :

أراكَ اليومَ لى وغداً لِغَيْرِى ... وبعدَ غدٍ لأقْرَبِنا إليْكا
إذا أحبَبْتَ ذا فارقتَ هذا ... كأنَّ فراقه حَتْمٌ عليْكا
فأقْدَمُهُم أخسُّهُمُ جميعاً ... وأحْدَثُهُمْ أحبُّهُم إليكا
وكلُّهم وإنْ طَرْمَذْتَ فيهم ... سَتَتْرُكُه وَشِيكاً فى يديكا(١)

• وأنشد له فى الأغانى جزء ٦ صفحة ٥١ ، وفى أمالى المرتضى البيت الثانى لا غير صفحة ٦٣ جزء ٢ :

يا عبدَ بالله أرحمِي عبدكِ ... وعلِّليه بمُنَى وَعْـدِكِ
يُصْبِح مَكْرُوباً ويُمْسِى به ... وليسَ يَدْرِى مالَهُ عِنْدَكِ(٢)

= وعامة أهل تونس يتشاءمون به . (بت : بمعنى قبَّلت ، وهو دخيل فى العربية من اللغة الفارسية) .

(١) طرمذ : حلف وافتخر ، قال الجوهرى : المُطَرْمِذُ : الذى له كلام بلا فعل . وفى شرح الفصيح أن أصل الكلمة فارسى ، الطرماذ المتزيِّد بما ليس عنده ، ثم عُرِّب ، قال الراجز : « طَرْمَذَةٌ منى على طَرْمَاذ » . ووشيكا : سريعا ، وفعله وَشُك وَشاكة ووَشْكا ، قال : « فى قَبْلَ وَشْكِ البين يا ابنة مالك » البيت . هذا حكم وَشُكَ المجرد من الهمزة ، وقد جاءت تصاريفه كلها بلا خلاف ، وقال بشار فيما يأتى فى النون : « ويوشِكُ رؤيتها من الهَمَلان » . وأما المهموز وهو أوْشَكَ ، فهو معدود من أفعال المقاربة ، ولها أحكامها فى كتب النحو ، وأكثر ما ورد منه المضارع يوشك ، وقصَرَه الأصمعى على ذلك ، وأثبت الخليلُ له ماضيا ، وقال المحققون كابن مالك إن له اسمَ فاعل ، واستشهدوا بقول أبى سهم الهذلى :

فمُوشِكَةٌ أرضُنا أن تعودَ ... خِلَافَ الأنيس وُحُوشاً يَبَابَا

ومعنى البيت : جميعهم وإن جالستهم وافتخرت فى وسطهم ستتركه على عادتك سريعا . وقوله : فى يديك ، خبر مبتدأ محذوف تقديره ذلك فى يديك ، أى فى مكنتك لأنه عادتك .

(٢) ضمير به يعود إلى الكرب المفهوم من وصف مكروبا ، أى ويمسى بذلك الكرب . والمعنى أن كربه محقق وأمله فيما عندك مجهول .

ماذا تقولين لرب العــلا ... إذا تخليتِ به وَحْدكِ[1]

قافية اللام

• أنشد له فى الأغانى صفحة ٣٤ جزء ٣ يهجو هلالا الرائى[2] :

وكيفَ يخفّ لى بصرى وسمعى ... وحَوْلى عَسْكَرانِ من الثِّقالِ[3]

---

(١) يشير إلى ما ورد فى الحديث الصحيح فى المناجاة بين الله تعالى والعبد يوم القيامة ، حين يسأله عن ذنوبه سرًّا ويستره فى ذلك الملإ .

(٢) قال فى الأغانى : كان هلال بن عطية الرائى صديقا لبشار ، فقال له يوما يمازحه : إن الله لم يُذهب بصر أحد إلا عوضه بشىء ، فما عوَّضك ؟ قال : الطويلَ العريضَ ، قال وما هذا ؟ قال ألاَّ أرى الثقلاء أمثالك . وكان هلال يُستثقل فقال فيه بشار الأبيات ، ونسبها الثعالبى فى كتاب التعريض والكناية إلى يزيد بن خالد الكوفى المعروف بحبيبات . وكُتب فى المطبوعة وفى النسخة المخطوطة الرآئى بالمد بعد الراء وهو تحريف رسمى . والصواب الرَّأى ، بسكون الهمزة بعدها ياء ، وبإضافة هلال إلى الرأى كما فى القاموس ، كما قالوا ربيعة الرَّأى ، لربيعة بن أبى عبد الرحمن الفقيه المدنى شيخ مالك . ولقب هلال بذلك لأنه كان من أصحاب أبى حنيفة ، وهم يُدْعَون بأهل الرأى عند أهل الحديث ، لأنهم يحكمون القياس . وفى الأغانى أن بشاراً رماه بالرفض ولا شك أن ذلك بهتان . وهو هلال بن يحيى بن مسلم البصرى . وقال فى الأغانى ابن عطية ، ولا يعرف بهلال الرأى غير هلال بن يحيى ، فلعل عطية جد له هو والد مسلم ، أخذ عن أبى يوسف صاحب أبى حنيفة . وقوله معتبر فى الفقه الحنفى وخاصة فى الوقف ، قال فى رد المحتار : توفى سنة ٢٤٥ ، فإذا صح هذا التاريخ كان هلال قد عمر لأنه أدرك بشارا ، فليحرر .

(٣) الاستفهام إنكارى ، أى ليست لى حالة يخف فيها لى بصرى وسمعى . والخفة مجاز فى السرعة ، لأن السرعة من لوازم الخفة ، ويقال فى ضدها الثقل البطء . فخفة البصر والسمع سرعة إحساسهما ، ويقال ثَقُل سمع فلان . والعسكر : الجماعة الكثيرة ، وهى كلمة معربة من الفارسية ، وأراد بهما رجلين ، شَبَّه كل واحد منهما بجماعة فى الثقل ، والثقل مستعار للسماجة والركاكة ، يقال هو ثقيل الروح ، ويقال فى عكسه خفيف الروح ، استعارة القبول ، كما يستعار الثقل لعدم الرغبة فى الشىء والاشمئزاز منه ، قال :

ثَقُلت زُجاجات أتتنا فُرَّغًا ... حتى إذا مُلِئَتْ بِصِرْف الراح

خَفَّت فكادت أن تطير بما حَوَتْ ... وكذَا الجُسُوم تَخِفُّ بالأرْواح

أى ثقلت على نفسى وخفت عليها ، والمعنى أن إحاطة الثقلاء به أكسبت حواسه ثقلا بحكم =

قُعوداً حول دَسْكَرَتِي وعندى ... كأنَّ لم علىّ فُضُولَ مالِ[1]

إذا ما شِئْتُ صَبَّحَنِي هِلَالٌ ... وأىُّ الناس أثقلُ من هِلال[2]

* وأنشد له فى صفحة ٣٤ جزء ٣ يمدح خالد بن برمك[3] :

حَذَا خالد فى فعله حَذْوَ بَرْمَكٍ ... فمَجْدٌ له مُسْتَطْرَفٌ وأصيل[4]

وكان ذوو الآمال يُدْعَوْن قَبْلَه ... بلفظٍ على الإعْدَامِ فيه دَليل

يُسَمَّوْن بالسُّؤَّال فى كل مَوْطنٍ ... وإنْ كانَ فيهم نَابِهٌ وجليل

الطبرى . قال حماد بن زيد فى قوله تعالى : يأيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبى ... الآية ، هذه الآية أدب أدَّب الله به الثقلاء ، وقال ابن أبى عائشة : حسبك من الثقلاء أن النبىَّ لم يحتملهم .

(١) الدسكرة : بفتح الدال وسكون السين وفتح الكاف والراء ، بيت اللهو والشراب ونحو ذلك — فارسية . وقوله : وعندى عطف على حول دسكرتى ، يعنى أنهم كثيرون قد ملأوا بيته وانتشروا حوله .

(٢) كلمة إذا ما شئتُ ونحوها من أدوات التعليق ، كناية عن كثرة ما يُعلق بأداة التعليق باعتبار أن الشىء لا يصادفك كلما شئت أن يصادفك فى مكان أو زمان أو حال إلا وهو غير مفارق لما يُعلق بأداة التعليق ، كقول طرفة :

وإن شِئْتُ لم تُرْقِلْ وإنْ شئتُ أرْقَلَتْ ... مخافة ملوى من القِــدِّ مُحْصَدِ

وفى حديث أنس فى باب ما يذكر من صوم النبى صلى الله عليه وسلم وإفطاره من البخارى : « وكان لا تشاء تراه من الليل مصلياً إلا رأيته ، ولا نائماً إلا رأيته » . فعنى البيت ما رغبت أن أرى هلال صباحا إلا وصبحنى ، أى زارنى فى الصباح ، فهو لا يترك التصبيح عندى .

(٣) خالد بن برمك بن جاماس : فارسى ، جعله قحطبة بن شبيب أميراً للجيوش التى بعثها أبو مسلم لحرب يزيد بن عمر بن هبيرة بالعراق ثم بنيسابور سنة ١٣٠ . وأولاه السفاح ديوان الخراج سنة ١٣٢ ، واستعمله المنصور على الموصل سنة ١٤٩ ، وعزل عنها سنة ١٥١ ؛ وأغرمه المنصور ثلاثة ملايين . وكانت فى جمعها قصة ذكرها ابن الأثير فى حوادث سنة ١٥٨ ، ثم أرجعه المنصور إلى ولاية الموصل سنة ١٥٨ إلى سنة ١٦١ ، وتوفى سنة ١٦٥ . وذكر ابن خلكان أنه وَزَرَ للسفاح بعد أبى سلمة حفص الخلال ، وأنه وَزر للمنصور سنتين ثم عزله ، واستوزر أبا أيوب الموريانى . انظر ترجمته مفصلة .

(٤) حذا : عَمِل على مثالٍ يتلاه ، والحَذْو مصدر بفتح الحاء ، والمستطرف بفتح الراء : الشىء الذى استطرفه صاحبه ، أى استفاده حديثاً ، والأصيل ضده . ويقال طارف وضده تليد .

قَسَّامُ الزُّوَّارَ سَتْرًا عليهم فأسْتاره فى المُهْتَدِينَ سُدُول(١)

● وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣٩ جزء ٣ ، وفى زهر الآداب :

إنَّ سَلْمَىٰ خُلِقَتْ من قَصَبٍ قَصَبِ السُّكَّر لا عَظْمِ الجَمَل(٢)

---

(١) قال فى الأغانى : كان الزوار يسمون فى قديم الدهر السُّؤَّال إلى أيام خالد بن برمك ، فقال خالد: هذا والله اسم أستثقيله لطلاب الخير ، وأرْفَعُ قدرَ الكريم عن أن يُسَمَّى به أمثال هؤلاء المؤملين ، لأن فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النعم ومَنْ لعله خيرٌ من يَقْصِده وأفضلُ أدبا ، ولكنا نسميهم الزوار ، فدحه بشار بهذا .

(٢) هذا المصراع فى رواية زهر الآداب « إنما عظم سليمى خلقى » وقد حدث صاحب الأغانى عن العباس بن الفضل أنه قال : قدمت بغداد وكان الشعراء يجلسون بالليل فى سجن الرصافة ينشدون ويتحدثون ولم أطَّلِع بشارا على نفسى ، فصحت به : يا أبا معاذ ! من الذى يقول « إن سلمى خلقت من قصب . . ؟ البيتين » فنضب وصاح : من الذى يقرعنا بأشياء كنا نعبث بها فى الحداثة فهو يعيرنا بها ؟ فتركتُه ساعة ثم صحت : يا أبا معاذ ، من الذى يقول :

أَخُشَّاب حقًّا أنَّ دارَكِ تُزْعَجُ وأنَّ الذى بينى وبينكِ ينهج

فقال : ويحك ! هو مثل هذا فَسَلْ ! اهـ . وقد ذكرنا فى المقدمة عن زهر الآداب أنه قيل لبشار : كَمْ بين قولك « إنما عظم سليمى خلقى . . البيتين » وبين قولك :

قد زرتنا مرة فى الدهر واحدة عُودى ولا تجعليها بَيْضة الديك

فقال : إنما الشاعر المطبوع كالبحر مرة يقذف صدفة ومرة يقذف جيفة . اهـ . فاعترف بشار بأن هذين البيتين من مرذول شعره ، وقد ذكرنا فى المقدمة صفحة ٧٢ أن إسحاق الموصلى نقد هذين البيتين ، وإذ قد اعترف بشار بوهنهما فوجه هذا الإجماع أن العظم والقصب فى بنية الحبيبة وليس عظم الحبيبة ما يُوصف ، وليس لفظه ولا لفظ القصب من لغة الغزل ولا ما يليق بالأحبة ، وهو مثل لفظ العصا فى قول كثير :

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة إذا غمزوها بالأكف تلين

فإن بشارا أنكره وانتقده وقال : « والله لو جعلها عصا زُبْدٍ أو عصا مُخٍّ لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا » فكان قد هجن كلامه بذكر العصا . ألا قال كما قلتُ :

إذا قامت لمشيتها تثنت كأنَّ عظامها من خيزران »

ولا مراء فى أن كلمة قصب وكلمة عصا سواء فى السماجة ، وقد يغتفر ذكر العظام والعم فى مقامات الرثاء ، فإن لكل كلمة مع صاحبتها مقاما ، كقول عبد الله بن قيس الرقيات :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات

وإذا أدنيْتَ منها بَصَلا   غَلَبَ المِسْكُ على ريحِ البَصَلْ

* وأنشد له فى صفحة ٦١ :

لقد [كاد] ما أخفى من الوَجْدِ والهوى   يكون جَوًى بين الجوانح أو خَبْلا (١)

إذا قال مَهْلًا ذُو القرابة زادَنى   وَلُوعًا بِذِكْراها ووجداً بها مَهْلا (٢)

فَلَا يَحْسِبِ البِيضُ الأوانِسُ أنّ فى   فؤادى سِوَى سُعْدَى لِثَانيةٍ فَضْلا

— وقول أبى خِراش الهذلى :

فلا وأبِى الطَّيْرِ المُرِبَّةِ فى الضُّحى   على خالدٍ لقدْ وقَعْتِ عَلَى لَحْمِ

أو فى مقام الشكاية من الأسى كقول البحترى :

وَكَم ذُدْتَ عَنّى من تَحَامُل حادثٍ   وسَوْرَةِ أيامٍ حَزَزْنَ إلى العَظْمِ

أما ركاكة البيت الثانى فأظهر ، والذين نقدوه نقدوا البيتين إذ أنشدوهما جميعاً فكان تقدم إياهما جيماً ، ولم يقتصروا على إنكار البيت الثانى خاصة ، ألا ترى أن العباس بن الفضل لما تعرّض إلى جيد من شعره أنشده بيتاً واحداً ، وهذه سنة الأدباء والعلماء حين يستشهدون أن يكون ما ساقوه هو محل الشهادة ؟ وقصب السُّكَّر نوع من القصب فى رجَمَابيبه مادةٌ بيضاءُ لَزِجَةٌ حُلْوة الطعم تشبه العسل ، وأصل منابت هذا القصب فى بلاد الهند ، ينبت على الماء الحلو ، وانتقل إلى بلاد فارس ثم نقله العرب إلى مصر فظهر نجاح نبته على النيل ، فكان قصب مصرَ أجودَ قصب السكر ، ونقله العرب أيضاً إلى صقلية والأندلس والشام ، وكثر فى بلاد الشام ، ونقل إلى أوربا فى أيام الحروب الصليبية . وسماه العرب السُّكَّر ، قيل باسم عنب صغير جافٍّ شديد الحلاوة ، فشبهوا ما فى ذلك القصب بهذا العنب وأطلقوا اسمه عليه ، وقيل إن هذا الاسم معرب عن شكر الفارسية ، وجزم به فى القاموس . واشتهر طبخ عصارة قصب السكر عند الفرس ، وسموا ما يطبخ منه حتى يزول ماؤه ويجمد : قَنْدا ، ودخل هذا الاسم فى المعرب . ويسمى المطبوخ منه طبخاً ثالثاً فانيدا .

(١) الجوى : الحزن من الحب وهو مصدر جَوِى كفرح . والخَبْل ، بفتح فسكون : فساد الأعضاء . ويجوز أن يريد به الخبل بفتحتين وهو الجنون وسكنه تخفيفاً للضرورة .

[فى الأصل : كان ، بدل : كاد]

(٢) مَهْلا الأولُ : قول ذى القرابة ، ومَهْلا الثانى : فاعل زادنى محكىٌّ ، أى زادنى هذا اللفظ ، كقول بعضهم :

يا من جفانى ومَلّا   نَسِيتَ أهلا ومَهْلَا

وغابَ مَرْحَبُ لَمّا   رأيتَ مالِىَ قَلّا

فالألفاظ محكية مفعولة وفاعلة .

فأقسِمُ إنْ كانَ الهوى غيرَ بالغٍ   بِيَ القَتلَ من سُعدى لقدْ جاوزَ القَتلا(١)

فيا صَاحِ خبِّرْنى الذى أنتَ صانعٌ   بِقَاتِلَتِي ظُلْمًا وما طَلَبَتْ ذَحْلا(٢)

سِوى أنَّنِي فى الحبِّ بينى وبينَها   شَدَدْتُ على أكْظَامِ سِرِّ لَهَا قُفْلا(٣)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٢ جزء ٣ يعاتب صديقاً له من بنى مِنقر من تميم وأمه من بنى عِجْل ، كان يبعث إليه بشاة للضحية فى كل عام فبعث بها فى بعض الأعوام هزيلة(٤) . وفى عيون الأخبار صفحة ٤١ جزء ٣ أنها إلى عبيد ابن الأخطل ، ولم يذكر الأبيات الثانى والتاسع والحادى عشر والسابع عشر ، وزاد أبياتاً ثلاثة لم تذكرْ فى الأغانى ، اثنان بعد قوله : سلوحا ، هما :

وأجْدَبَ من ثَوْرِ زرَّاعة   أصابَ على جُوعه سُنْبلا

وأزهدَ من جيفة لم تَدَعْ   لها الشمسُ من مَفْصِلٍ مَفْصِلا

وبيتاً بعد قوله : قتلت أبيع ، وهو :

---

(١) يعنى أنه إن كان قد بقى حياً ولم يقتله الغرام فإن ما يقاسيه من ألم الجوى يفوت القتل ، أى هو أشد منه .

(٢) أى لم يكن لها حق فى قتل بل كان عدواناً . والذَّحْل : حق ولى الدم فى دم القتيل .

(٣) هذا من تأكيد الشىء بما يشبه ضدَّه ، فهو استثناء من ذَحْلا . والأكْظام : جمع كِظَام ، بكسر الكاف وهو ما يسد به الشىء المغلق ، وأصله من الكظم وهو الحبس : « والكاظمين الغيظ » .

(٤) قال فى الأغانى : كان بالبصرة فتى من بنى مِنْقَر أمُّه عِجْلِيَّة ، وكان يبعث إلى بشار فى كل أضحى بأُضْحِيَّة من الأضاحى التى كان أهل البصرة يسمونها مُنَةً وأكثر الأضاحى تباع بعشرة دنانير ، وكان يبعث له معها بألف درهم ، فأمر وكيله فى بعض السنين أن يجريه على رسمه ، فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينة ، وكانت نعجة عَبْدَلِيَّة ، أى من نعاج عبد الله بن دارم ، وهو نتاج مرذول ، فلما أدخلت إلى بشار قالت له جاريته ربابة : ليست هذه الشاة من الغنم التى يبعث بها إليك ، فقال : أدْنيها منى ، فأدنَتْها ولمسها بيده ثم قال : اكتب يا غلام « وهبتَ لنا ... الأبيات » اهـ . ورأيت فى عيون الأخبار صفحة ٤١ جزء ٣ نسبة بعض هذه الأبيات إلى عبيد بن الأخطل مع اختلاف فى ألفاظ بعضها ، وذكر صاحب نهاية الأرب صفحة ١٣٠ جزء ١٠ أربعة مقاطيع فى مثل هذا الغرض ولم يذكر أبيات بشار .

أم أجعل من جــلدها حَنْبَلا   فأَقْذِرْ بِحَنْبَلها حَنْبَــــلا

والحنبل الفرو — وهذه الأبيات التى فى الأغانى :

وَهَبْتَ لنا يا فتى مِنقَر   وعِجْلٍ وأكرمَهم أوّلا (١)
وأبسطَهم راحةً فى النّدى   وأرفعَهم ذِروة فى العُلا
عَجُوزًا قد اوردها عُمْرُها   وأسكنها الدهرُ دارَ البِلى (٢)
سَلُوحًا توَهّمْتُ أن الرِّعا   ء سقَوها ليُسْهِلَهَا الحنظلا (٣)
وأضرطَ من أمِّ مبتاعها   إن اقتحمَتْ بُكرةً حَرْمَلا (٤)
فلو تأكل الزُّبد بالنَّرْسيان   وتَدْمِجُ للمسك والمَندَلا (٥)
لَمَا طيَّبَ اللهُ أرواحها   ولا بَلَّ من عظمها الأنحَلا

---

(١) منقر، بوزن منبر : بطن من تميم ، وعجل : فى قبائل العرب عجلان : أحدهما بنو عجل بن عمرو بن عبد القيس ، والآخر عجل بن لجيم ، من بكر بن وائل ، وكلاهما من ربيعة . ومعنى أكرمهم أوّلا : أكرمهم أصُولاً .

(٢) قوله : دار البلى ، يتنازعه كل من أوردها وأسكنها .

(٣) الحنظل : نبت يُسَهِّل بإفراط ، وقوله : ليسهلها ، معترض بين سقوها والحنظل الذى هو مفعول سقوها . يقال أسهله الدواء إذا ألان بطنه ، وتعليق هذا الفعل بالذات تعليق مجازى ، لأن المجاز العقلى يجىء فى التعليق بملابس المتعلق الحقيقى ولا يختص بالإسناد ، وإنما فرضه علماء البلاغة فى الإسناد لأنه الغالب ، وقد أشرنا إليه فى شرح قول بشار :

تأتيك نائية مناسبه   ويحوط غيبكم وإن غضبا

انظر صفحة ١٧٧ جزء ١ ، أو هو من الحذف والإيصال ، وأصله ليسهل لها .

(٤) اقتحمت : أى دخلت ، أى الشاة ، فى نبات الحرمل لتأكل منه ما يسهل البطن . والحرمل شجر ورقه كورق الخلاف ونَوْره كنور الياسمين ولا يأكله إلا المعزى ، فانظر كيف جعل بشار الشاة ترعاه مع قوله وقلبت أليتها ، الدال على أنها من الضأن ، وكذلك سموها فى القصة .

(٥) النِّرْسيان بكسر النون وسكون الراء وكسر السين المهملة وتحتية اسم جمع لصنف من أجود التمر . وأراد به الكناية عن أطيب العلف لأنهم يقولون فى المثل : « أطيب من الزبد بالنرسيان » . والمندل : بفتح الميم والدال ، أجود العود .

وضعتُ يمينى على ظهرها فخِلت حَرَاقِفَها جَنْدَلا(١)
وأهوَتْ شِمالى لعُرقوبها فخِلت عَراقيبَها مِغزَلا(٢)
وقلّبتُ أليتَها بعــد ذا فشبّهتُ عُصعُصَها مِنجَلا(٣)
فقلتُ أبيعُ فلا مَشْرَبًا أُرجِّى لديها ولا مَأْكَلا(٤)
أم أشوِى وأطبُخُ من لحمها وأطيبُ من ذاك مَضْغُ السَّلا(٥)
إذا ما أمِرّتْ على مجلس من العُجْبِ سَبّحَ أو هَلّلا(٦)
رَأوا آيَةً خلفَها سائقٌ يَحُثُّ وإنْ هَرْوَلَتْ هَرْوَلا
وكُنتُ أمرتُ بها ضَخْمَةً بلحمٍ وشحمٍ قدِ استكملا
ولٰكنّ رَوْحًا عَدَا طَوْرَه وما كُنتُ أحسَبُ أنْ يفعلا(٧)
فَعَضّ الذى خانَ فى أمرِها مِن استامَه بَظْرَها الأغرَلا(٨)

---

(١) الحراقف : جمع حرقفة ، وهى رأس الورك ، وللشاة حرقفتان ، فالجمع هنا كقوله تعالى : قلوبكما .

(٢) العراقيب : جمع عرقوب ، وهو عصب غليظ ، هو من الدابة فى رجلها بمنزلة الركبة فى يدها ، فللشاة عرقوبان وجمعه كجمع حراقفها .

(٣) العصعص ، بضم العينين : عجب الذنب . والمنجل كمنبر : حديدة ذات أسنان يحصد بها الزرع .

(٤) المعنى على الاستفهام ، أى أأبيعها . وقوله : فلا مشربا ، علة التردد فى بيعها .

(٥) السلا : الجلدة التى يكون فيها ولد الشاة .

(٦) العجب ، بضم العين وسكون الجيم : إنكار ما يراه الإنسان ، ويجوز فتح العين ويكون سكون الجيم للضرورة والتخفيف . وسبح : قال سبحان الله ، وهو حكاية إحدى الكلمتين على وجه الاكتفاء ، ولو شاء لقال : سبحل ، أى قال سبحان الله ، فيكون حكى الكلمتين بطريق النحت ، وهلل : قال لا إله إلا الله ، وهو فعل منحوت من حروف الجملة مثل بسمل ، والتسبيح والتهليل هنا التعجب من الفظاعة .

(٧) روح : هو وكيل السيقرى الذى اشترى الشاة .

(٨) عض بظر أمه : كلمة شتم وتشنيع ، والعض : الكدم بالأسنان . وفى الحديث : من تعزى بعزاء الجاهلية فأعيضوه بهَنِ أبيه ولا تكنُوا . ويقولون ، فى السب : اعضُضْ بظر أمك . وقال أبو بكر لعروة بن مسعود يوم الحديبية : اعضض بَظْرَ اللات — تحقيراً له —

ولولا مكانكَ قلَّدتُه علاطا وأنشقته الخردلا (١)

ولولا استحائيك خضَّبتُها وعلَّقتُ في جيدها جُلجُلا (٢)

فجاءتك حتى ترى حالَها فتعلمَ أنى بها مُبتَلَى

سألتُك لحمًا لصبياننا فقد زدتنى فيهم عُيَّلا (٣)

فَخُذْها وأنت بنا مُحسِنٌ وما زلتَ بى محسنا مُجمِلا

— ولإلاهته . والبظر ، بفتح الموحدة وسكون الظاء المعجمة : لحمة فى فرج المرأة نائتة بين شفرى فرجها . والأغرل : صفة البظر ، أى ذو الغُرْلة ، والغُرْلة ، الجلدة التى تكون على رأس الذكر الذى لم يختن . ووصف فرج المرأة بهذا على إرادة التشبيه ، أى تلك اللحمة طويلة كالغرلة ، وكان العرب يقطعون بَظْر الجارية إذا كان طويلا ، وقطعه يسمى الخِفاض ، وهو كالختان ، والتى تباشر ذلك هى الخافضة . وقال حمزة بن عبد المطلب يوم أحد لما خرج له سِباع : يا ابن أم أنمار مُقَطِّعَةِ البظور ؛ يريد أن أمه كانت خافضة . وقال زياد الأعجم يهجو خالد بن عتاب بن ورقاء بأمه :

فإن تكن الموسى جرت فوقَ بَظْرِها فما خُتِنت إلا وَمَصَّانُ قاعدُ

المصان : الحجام الذى يمص الدم ، يريد أنها ختنها رجل لقلة حيائها وقلة عزة أهلها . وقال مخارق بن شهاب المازنى ، يهجو وردان بن مخرمة اليربوعى من أبيات :

فمَصَّ الذى أبقى للمواسى من أمه خفير رآها لم يُشَمِّرْ ويَغضَبِ

المواسى : جمع موسى ، وأراد أبقى من بظر أمه ، وربما قيل بباء زائدة كما فى الحديث . وفى رواية لكلمة أبى بكر ، وهى مبالغة فى العض أو المص ، لأن الباء لتأكيد لصوق المفعول بفعله ، وهو نوع من التأكيد غير تأكيد النسبة .

(١) العلاط ، بكسر العين : حبل يجعل فى رقبة البعير ، أى هجوته ، وقوله أنشقته الخردلا ، أى تركته يبكى من شدة وقع الهجاء ، كمن استنشق الخردل . والخردل : حب صغير شديد الحرارة ، ويضرب به المثل فى القلة . قال تعالى : وإن كان مثقال حبة من خردل أتينا بها .

(٢) استحاء ، مصدر استحى الذى هو مخفف استحيى ، بالمثناة التحتية تخفيفا لأجل ثقل الكسرة على الياء فى المضارع ، فطردوا الباب فى جواز تخفيف تصاريفه ، وقرأ ابن كثير إنّ الله لا يستَحِى ، بياء واحدة ، وقيل هى لغة تميم ، وهو هنا من إضافة المصدر إلى فاعله ، والكاف مفعول . والجُلْجُل ، بضم الجيمين وسكون اللام : ناقوس صغير يوضع فى رقاب الضأن والإبل والبقر ليسمع صوته إذا مشت فيتبعها راعيها .

(٣) عيل : جمع عائل ، وهو الفقير . قال بعض الأعراب :

أيا بارح الجوزاء مالك قد ترى عيالك قد أضحوا عداويج عيلا

[قلت : لعل الوجه : عَيِّل بفتح العين وكسر الياء المشددة وجمعه : عيال]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٣ جزء ٣ فى نافع بن عقبة بن سلم(١) وهى من قصيدة لا محالة :

وَلِنَافِعٍ فضل على أكفائِهِ   إِنَّ الكريم أحق بالتَّفضِيل
يا نافع الشِّبِرَاتِ حينَ تناوَحَتْ   هُوجُ الرياح وأعقبَتْ بوُبُول(٢)
أشبهتَ عقبةَ غيرَمَا مُتَشَبِّهٍ   ونَشَأْتَ فى حِلْمٍ وحُسْنِ قَبُول(٣)
وَوَلِيتَ فينا أشهراً فكَفَيْتَنَا   عَنَتَ المُرِيب وسَلَّةَ التضْلِيل(٤)

---

(١) قال فى الأغانى : هو نافع بن عقبة بن سَلْم ، وكان جواداً ممدَّحا ، وكان بشار منقطعاً إلى أبيه ، فلما مات أبوه وفد إليه بشار وقد ولى مكان أبيه فدحه بهذه الأبيات اهـ . قلت : كان عقبة بن سلم قد استخلف ابنه نافعا على البصرة سنة ١٥١ حين خرج لقتال أهل البحرين ، فلما عزل عقبة فى تلك السنة لم يذكر المؤرخون أن نافعا بقى على عمل البصرة ، بل ذكروا أن عاملها بعد عقبة هو جابر بن توبة الكلابى ، فلا شك أن قول أبى الفرج : فلما مات أبوه وهم ، والصواب أن بشاراً مدحه بهذه الأبيات فى مدة نيابته عن أبيه ، ولذلك قال : « ووليت فينا أشهرا » ونافع هذا هو المعنى بقوله فى قافية القاف :

وفى نافع عنى جفاء وإننى   لأطرق أحيانا وذو اللب يطرق

(٢) الشبرات بكسر الشين المعجمة وكسر الباء جمع شِبْرة بكسر الشين وسكون الباء وهى العطية ، فلما جمع بالألف والتاء اتبعت حركة عينه الساكنة لحركة فائه . وإضافة نافع إلى الشبرات لاشتهاره بالعطاء ، كما قالوا كوكب الخرقاء ، وزيد الخيل ، وابنُ قيس الرقيات ، فهى إضافة لأدنى ملابسة . وتناوحت : تخالفت نواحيها . فكل ريح تأتى من ناحية وذلك يكثر فى فصل الشتاء وشدة برودة الريح ، قال لبيد :

ويكلِّلُون إذا الرياحُ تَنَاوَحَتْ   خلجاً تمد شوارعاً أيتامها

والهُوج : جمع هَوْجاء ، وهى الريح التى تهب هبوبا متتابعا كأن بها هَوَجاً ، وهو الحُمْق . والوبول ، جمع وبل : وهو المطر الغزير .

(٣) أى أشبهته شَبَه جبلة لا شَبَه تكلف ، ومتشبَّه ، بفتح الموحدة : مصدر ميمى لفعل تشبه ، أى تكلف الشبه بهذا .

(٤) العَنَت : القسوة فى المعاملة . والمُريب : الذى يأتى ما يرتاب فيه من الفعل ، وهو الخاتل ، يريد به السارق . وقوله : وسلة التضليل ، كذا فى النسخة المخطوطة والمطبوعة ؛ والسلة : المرة من السل ، وهو امتشاق السيف من قرابه . قال تأبط شراً :

ويجعل عينيه ربيئة قلبه   إلى سَلَّةٍ من حد أخلقَ باتك

والتضليل : الدعاء إلى الضلال والإيقاع فيه . قال تعالى حكاية عن الشيطان : ولأضلنهم . —

تُدعَى هِلالا فى الزمان ونافِعا والسَّلْم نعم أبُوّةُ المأمُولِ(١)

● وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٤ جزء ٣ : يخاطب حماداً عجردا(٢) :

ابْنَ نِهْيَا رأسٌ علىَّ ثقيلُ واحتمالُ الرأسين خَطْبٌ جليل(٣)

= والمعنى : وليت فينا فأمنت الناس من مشقة كانت تلحقهم من أعمال أهل الريب والفساد ، ومن فتن تسل فيها السيوف فى غير سبيل الحق ، أى فى غير سبيل الله .

(١) أى يدعوك الناس هلالا . وهذا يفيد أنه كان يلقب بذلك وليس فيه شىء من قصد التشبيه فى الغرض الذى قيلت فيه الأبيات لا سيما مع قوله فى الزمان . وقوله : فى الزمان ، مجرد اعتياد كقولهم يوما وغدوة ونحوهما . قال طرفة : «كأن حدوج المالكية غدوة» . . البيت » ويحتمل أنه أراد أنه لما لم تطل مدة ولايته شبهوه بالهلال فى ظهوره ليالى قليلة . ويكون قوله : فى الزمان ، معناه فى زمان الهلال ، وهو تشبيه للتحسين ، من باب حسن الاعتذار عن قصر مدته حتى لا ينبز بذلك ، ومنه قولهم : كهلال عيد . وقوله : والسلم : اسم جد الممدوح ، وهو سلم بن قتيبة ، تقدم التعريف به فى ورقة ١٧٨ من شرح الديوان ، انظر صفحة ٣٣٢ من الجزء ٢ من المطبوع ، واللام فيه للمح أصله ، لأنه علم منقول من اسم السلم ضد الحرب ، كما يقال : عباس والعباس . والأبوة نسبة الأب من ابنه مثل العمومة والخئولة ، وتكون الأبوة جمع أب كما فى قول بشار : والمنعمين أبوة وجدودا . وتقدم فى صفحة ٣٣٣ من الجزء ٢ . والأب يطلق على الجد . قال النبى صلى الله عليه وسلم : «أنا ابن عبد المطلب» كما يطلق الابن على الحفيد . قال النبى للحسن بن على : «إن ابنى هذا سيد» . والمأمول : المقصود للعطاء ، وأراد به الممدوح ، فهو إظهار فى مقام الإضمار للإشارة إلى أنه مأمول له . والمعنى أن جده كان جواداً مثل أبيه ؛ فالذى يأمل نافعا يكون قوى الأمل ليقينه أن الجود طبيعة له موروثة عن أبيه وجده . وأبوة مرفوع بنعم على أنه فاعل نعم ، ولم تتصل تاء التأنيث بنعم مع أن الفاعل مؤنث لأن تأنيثه مجازى ، كقوله تعالى : ولنعم دارُ المتقين . والمخصوص بالمدح محذوف لدلالة ما تقدم عليه وهو السلم .

(٢) مضى فى المقدمة خبر هذه الأبيات .

(٣) ابن نهيا : هو حماد ، وتقدم وجه نعته بابن نهيا فى صفحة ١٢٤ جزء ١ المطبوع . وتنكير رأس للإفراد ، وأراد به رأسه ، وفى رواية «رأسى» . ومعنى ثقيل أنه يثقل عليه من الخُمار ، ووجه ذكره ذلك لينتقل إلى الرأسين الذى هو مجاز هنا فى الإلاهين لأن الرأس يطلق على السيد ونحوه ، فإطلاقه على الرب لعلهُ اصطلاح الزنادقة لقصد التكتم . وقد ظن بعض أهل الأدب من هذا أن المجوس يعبدون رأسين ، ولا أعرف من ذكر هذا فى عقائد المجوس ، على أن بشاراً عبر عنه تارة برأس دون تثنية كما تقدم فى البيت ٩ من ٣٠٤ وفى ٤ من ٢١٨ . وإنما المعروف أن الصابئة يقدسون رأساً أو يعبدونه وهو رأس إنسان مختار له صفات زعموا أنها تشبه صفات وروحانى عطارد ، فإذا توفرت تلك الصفات فى شخص احتالوا عليه وأسروه ووضعوه فى زيت مدة حتى ترتخى أعصابه وشرايينه ويئول أمره إلى أن يقطعوا رأسه عن جثته ، =

اُدْعُ غيرى إلى عبادة الاِثْنَيْـــن فإنّى بواحـــد مشغول(١)
يا ابْنَ نِهْيَا بَرِئْتُ منك إلى اللّـــه جِهَـــاراً وذاك منى قليل(٢)

* وأنشد له الشريشى فى شرح المقامات صفحة ١١٦ جزء ١ . والمرتضى فى الأمالى صفحة ١٤٩ جزء ٢ ما عدا البيت الأول ، وكذلك فى دلائل الإعجاز صفحة ٣٦٨ مع جعل البيت الثانى ثالثاً :

إذا وُلِدَ المولود أعمى وجدْتَه وَجَدِّكَ أَهْدَى من بصيرٍ وأَجْوَلاَ
عَمِيتُ جنيناً والذكاء من العَمَى فجئْتُ عجيبَ الظن للعِلْمِ مَعْقِلا(٣)
وَغَاضَ ضياء العين للقلب فاغْتَدَى بقلبٍ إذا ما ضَيَّعَ الناسُ حَصَّلا(٤)

= ويزعمون أن رأسه تتجل عليه روحانية عطارد . ولا أدرى صحة ذلك ولا انتظامه . وقد كان المسلمون يعدون الصابئة زنادقة . وقد أخذ بشار قوله : رأس على ثقيل ، من قول أمّ حكيم الخارجية من الخوارج الشُّراة :

أَحْمِلُ رَأْسَاً قَدْ سَئِمْتُ حَمْلَهْ وقد مللْتُ دَهْنَه وَغَسْـــلَهْ
ألا فتًى يحمـــلُ عنى ثِقْلَهْ

كانت ترتجز بهذا حين تكر على الجيش . ومعنى قولها : يحمل عنى ثقله ، أى يقطعه ، ويحمله إلى الأمير ، على عادتهم فى قتل السادة والأبطال ، فيرمحى منه . تشير إلى استخفافها بالحياة . والخطب : الحادث سواء كان حقيراً أم عظيما . وفى الموطأ : أفْطَرَ عمرُ فى يوم غيم ، ثم قيل له إن الشمس طلعت ، فقال : الخطب يَسِير ، يعنى نقضى يوماً ، ولهذا وصف بشار خَطْبه بجليل .

(١) وفى رواية أمالى المرتضى : إلى عبادة ربين ، وهى رواية بالمعنى تفيت لطافة ذكر قوله : رأسٌ علىّ ثقيل .

(٢) الإشارة بذلك إلى التبرؤ المأخوذ من برئت ، وهو يشير إلى أن هذا من تغيير المنكر بالقلب وهو أضعف الإيمان كما بالحديث .

(٣) فى رواية أمالى المرتضى ودلائل الإعجاز « العلم موئلا » والمَعْقِل ، بكسر القاف : اسم غلب على الحصن لأنه يُعقل إليه أى يلجأ إليه . والمَوْئل اسم المكان الذى يُؤْوَى إليه .

(٤) فى رواية الأمالى «وغاض ضياء العين للعقل» وفى رواية دلائل الإعجاز «وغاض ضياء العين للعقل رائداً» ومعنى غاض : غاب فى الأرض ، يقال غاض الماء . قال تعالى : وغِيضَ الماءُ . شبه

وشِعرٍ كَنَوْرِ الرَّوضِ لاءمتُ بينَه بقولٍ إذا ما أحزَنَ الشِّعْرُ أسْهَلَا (١)

* وأنشد له فى أمالى المرتضى صفحة ٤٩ جزء ٤ :

قد أُدرِكُ الحاجَةَ ممنوعَةً وتُولَعُ النَّفسُ بما لاَ تَنَالْ (٢)

والمرْءُ ما أمسكتَه فى الحَشَا داءٌ وبعضُ الداءِ لا يُسْتَقَالْ

فاحتَمِـــلِ الهَمَّ على عاتقٍ إنْ لم تُساعِفْكَ المَلَنْدَى الجُلَالْ (٣)

= ارتداد قوة البصر إلى تقوية العقل بنَّيِّضِ الماء ، فهو يفيض ولا يعلم . ورواية والقلب رافداء أرجح وأحسن من رواية فاتندّى لقلة فائدة فاغتلى . ومعنى رافداً يناسب معنى غاض ، أى غاض ضياء العين فرفد القلب أى أعطاه رِفداً ، والرِّفد العطاء ، وقد سميت دجلة والفرات الرافدين .

(١) النور بفتح النون : الزهر وتشبيه الشعر به وجيه الحسن ، شبه الحسن فى السمع بحسن المنظر ، وشبه تأليف الشعر بقطف نور الروض وجعليه باقة تتألف من نور مختلف الحسن ، فالكلام تمثيل لحالة الشعر فى تألفه وأناقته ، وقد ابتكر بشار هذا التمثيل وتبعه البحترى فى قوله :

وبديعٍ كأنه الزَّهَرُ الضَّا حكُ فى رَوْنَقِ الربيعِ الجديدِ

وبيت بشار أبدع وأوجز . ثم شبه شعره بالمكان السَّهل على السائر فيه فى كل مقام يعسر على الشاعر فيه الشعر ، وهذا تشبيه آخر ، ومنه جاء قولهم : السهل الممتنع . وأحزن : صار حَزْناً ، بفتح الحاء ، أى صعبا كالأرض الجندل ، وضده أسهل ، صار سَهْلا . والواو واو رُبَّ .

(٢) قد : للتحقيق ، سواء دخلت على الماضى أو على المضارع ، قال تعالى : قد يعلم الله المعوقين منكم . وممنوعة حال من الحاجة ، أى أدركها فى حال أن مانعا يمنع من إدراكها ، وهو يعنى أنه يدركها بجِدِّه وعزيمته . وقوله : وتُولَعُ النفس بما لا تنال ، جملة فى موضع الحال من ضمير أدركُ ، والمراد بالنفس كل نفس ، وهذه الحال تذييل . يقول إن لى نفسا تولع بالأمر الذى لا تناله ، وكل نفس تولَع بذلك . وتُولَع : بفتح اللام ، مبنى للمجهول لأنه لا يعرف له فاعل ظاهر هنا . والولع : الإغراء بالشىء ، يعنى أن الشىء الممنوع تحرص النفس على تحصيله ، فهى كمن يغريها مغرٍ به ، يقال : أولعه ، إذا أغراه .

(٣) احتمل : بمعنى احمل من الحمل بمعنى الإركاب كما فى قوله تعالى : قلتُ لا أجد ما أحملكم عليه . ومنه سميت الناقة حَمولة . والعاتق : قال المرتضى فى الأمالى : قال يحيى بن على راوى هذا الشعر : يعنى بشار الخمر ، أى لأن الخمر العتيقة توصف بالعاتق على معنى التشبيه بالمرأة الشهلة ، وفى حديث صلاة العيد « ولتخرج العواتق وربات الخدور » . وهذا كما يقال للخمر عجوز وعانس ، وهذا كقول بشار الآتى : =

* وأنشد له في الأمالي للمرتضى صفحة ٤٩ جزء ٤ وفي غرر الخصائص صفحة ١٣٢[1] :

لمّا رأيتُ الحظَّ حظّ الجاهلِ ولم أرَ المَغبُونَ غيرَ العَاقِلِ[2]
رَحَّلْتُ عَنْسًا من شرابِ بَابِلِ فبِتُّ من عقلي عَلَى مَرَاحِلِ[3]

* وأنشد له القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى : واتخذ الله إبراهيم خليلا

— لـمـا رأيت الحظ حظَّ الجاهل ولم أر المغبونَ غيرَ العاقل
رحّلْتُ عَنْسًا من شَراب بابل فبتُّ من عقـل على مراحل

فيكون بشار سلك طريق التورية في قوله على عاتق ، لا سيما إذْ أورده بعد فعل فاحتمل ، ويكون المعنى : إنْ عراك همّ ولم تستطع الرحيل فاصرف الهمَّ عنك باحتساء الخمر المعتقة ، فشبه الخمر بالراحلة التي تحمل الأثقال على طريق المكنية ، وذكر احتمل تخييل . وزعم الشريف المرتضى أنه يحتمل أن يريد بالعاتق العضو ، أي إن لم تجد من يحمل عنك همومك فتحمل أنت بنفسك ، واصبر على الهم ، فكأنه يأمر نفسه بالتجلد والتصبر اهـ . وهو تأويل بعيد وغير مناسب لقوله : إن لم تساعفك العلندى . والعلندى : بفتح العين وفتح اللام : العظيم من كل شيء ، وهو هنا اسم جمع علنداة ، وهي الراحلة الضخمة . والجلال : بضم الجيم وتخفيف اللام ، اسم جمع جُلالة ، وهي الراحلة العظيمة . قال طرفة : « فمرَّتْ كَهَاةٌ ذاتُ خيف جُلالةٌ » . وذكر الجلال توكيد لفظي للعلندى .

(١) هما من بحر الرجز عروضهما صحيحة وضربهما كذلك ، وقد دخل في بعض تفاعيلهما زحاف الخبن ، وهذان البيتان مذكوران في عيون الأخبار صفحة ٢٦٠ جزء ١ غير منسوبين . وفي فصول التماثيل لابن المعتز ناسبا لها إلى بعض الأغفال صفحة ٨ .

(٢) رواه في غرر الخصائص « والعيش في الدنيا لغير العاقل » ورواه في كتاب الكنايات صفحة ٦٧ « ولم أر المحزون » ولم ينسبه إلى بشار . ورواية الأمالي أرجح منهما لرشاقة مقابلةِ الحظّ بالمغبون . وقوله : حظ الجاهل مفعول ثان لرأيت ، فهو في الأصل خبر مبتدأ فأفاد القصر ، أي رأيت لا حظَّ إلا حظُّ الجاهل ، وهو قصرٌ ادعائي .

(٣) رواه في الغرر :

رحّلت عيساً من كرائم بابل فغدوت من عقلي ببُعد مراحل

وعلى هذه الرواية يكون المصراع الأخير دخله الإضمار مرة واحدة ، ورواه في كتاب الكنايات « شربت خمسا من كروم بابل » والظاهر أن ذلك كله تحريف من عدم فهم كلمة عنسا ، ورواه في عيون الأخبار « من كروم بابل فبت » ، والمعنى أنه رأى المحظوظ في الدنيا من لا عقول لهم ، فتكلف إزالة عقله بالشراب لعله ينال حظوة ، وقد شبه الخمر البابلية بالراحلة —

من سورة النساء بيتاً واحداً هو الأول وذكره عياض فى كتاب الشفاء غير معزو وزاد عليه البيت الثانى فألحقناه بأخيه وجزمنا بنسبتهما إلى بشار :

قَدْ تَخَلَّلْتَ مسلكَ الروحِ مِنِّى ... ولذا سُمِّىَ الخليلُ خَلِيلاَ[1]

— أو الرواحل ، لأنها تذهب بالعقل على طريقة الاستعارة التصريحية ، وذكر رحلت ترشيح . والترحيل وضع الرحل على الراحلة للسفر ، وفى حديث سرية أبى عبيدة إلى سيف البحر « فأمر براحلةٍ فرُحِّلَتْ » . وبابل اسم مدينة قديمة كانت فى العراق فى نواحى الكوفة ، وهى الآن خراب وفيها طلول البرج التاريخى الذى بنى بعد الطوفان ، وكانت اشتهرت فى الزمن القديم بجودة خمرها ، فبقيت إضافة الخمر الجيدة إليها كالمثل ، قال أبو الطيب :

سقَى اللهُ أيامَ الصِّبا ما يَسُرُّها ... ويفعَلُ فِعْلَ البابلىِّ المُعَتَّقِ

وخراباتها باقية الآن ، يقال خرّبها الإسكندر ، ويقال حدث بها خسف ذهب به معظمها ، وفى صحيح البخارى « كَرِهَ علىٌّ بن أبى طالب الصلاةَ بخسف بابل وقال إنها أرضُ عذاب » . وقوله عَنْساً على رواية النون ، هو بفتح العين وسكون النون اسم مفرد الناقة الصُّلْبة ، وعلى رواية الياء المثناة بكسر العين ، فهو عِيساً جمع عَيْساءَ ، وهى الناقة البيضاء المخلوط بياضها بشُقرة ، ولا معنى للجمع هنا . والشراب هنا الخمر ، وأصل الشراب ما يشرب من ماء كقوله تعالى : هذا مغتسَلٌ بارد وشراب . أو من غير الماء كالعسل واللبن والخمر ، وقد كثر إطلاقه على الخمر ، قال تعالى : يدعون فيها بفاكهة كثيرةٍ وشرابٍ ، ويتصرف منه الشارب والشِّرِّيب والشَّرْب بفتح الشين اسم جماعة الشاربين للخمر . وفى الحديث : أتى رسول الله بشارب .

(١) معنىً رقيقٌ جميلٌ ، وهو التوفيق بين مواد الاشتقاق ومقاصد العشاق ، وهذا أول شعر بلغنا فى تعليل الموضوعات اللغوية بالمعانى الغرامية ، وتبعه أبو تمام فى قوله :

لا تَنْسَيَنْ تلكَ العهودَ فإنما ... سُمِّيتَ إنساناً لأنك ناسِ

ومن نحوه قول الآخر :

وما سُمِّىَ الإنسانُ إلاَّ لأُنسِه ... ولا القَلْبُ إلا أنه يَتَقَلَّب

ومن محاسنه قول أبى الطيب :

ولذَا اسْمُ أغْطِيَةِ العُيُون جُفُونُها ... مِن أنَّها عَمَل السُّيُوفِ عَوَامِلُ

ومنه قول المعرى :

لا تَجْلِسَنْ حُرَّةٌ مُوَفَّقَةٌ ... مع ابنِ زَوْجٍ لها ولا خَتَنِ

فذاكَ خَــيْرٌ لها وأسْلَمُ فـــالإنسان إن الفَـــتَى من الفِتَنِ —

فإذا ما نطقتُ كنتَ حديثى ... وإذَا ما سَكَتُّ كُنْتَ الغَلِيلَا[1]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٤ جزء ٣ وفى الكامل صفحة ١٢٣ جزء ٢ وفى البيان للجاحظ صفحة ٣١ جزء ١ يهجو واصلَ بنَ عَطاء[2] :

مَاذَا مُنِيتُ بِغَزَّالٍ له عُنُقٌ ... كنِقْنِقِ الدَّوِّ إن وَلَّى وإنْ مَثَلا[3]

— والخليل : وصف مشتق من الخلة ، وهى الصداقة الصافية الموجبة اختصاص الواد بمن يوده وملازمته ، وقد اختلف فى اشتقاق هذا الوصف اختلافا ليس فيه ما يشفى الغليل ، ولقد أبدع بشار فى هذا الاشتقاق ، وهو الذى عول عليه عياض فى كتاب الشفاء ، ففاق بشارٌ ببيته هذا جميعَ الذين قارنوا أصول الاشتقاق بأحوال المحبة .

(١) الغليل : حرارة الحُب ؛ ومعنى البيت أنه إن نطق تحدث بها ، وإذا سكت كان فى قلبه حبها ، وأشار إلى أن فى الحديث عنها شيئاً من التنفيس عن حرارة قلبه . قال الشاعر :

وحَدَّثْتَنِي يا سَعْدُ عنها فزِدْتَنِي ... شُجُونًا فزِدْنِى من حديثِك يا سَعْد

وقال أبو الشِّيص :

أجِدُ المَلَامَةَ فى هَوَاكِ لَذِيذَةً ... حبًّا لِذِكْرِكِ فَلْيَلُمْنِى اللُّوَّم

(٢) واصل بن عطاء الغزَّال بتشديد الزاى يكنى أبا حُذَيْفَة ، ولُقِّب بالغزَّال لأنه كان يحترف صناعة الغزل ، وقيل لكثرة جلوسه فى سوق الغزالين ؛ ذكر القولين الجاحظ فى البيان والتبيين : كان من رؤوس أهل الاعتزال ، وله مذهب فى الاعتزال يعرف أتباعه بالواصِلِيَّةِ ، قال الجاحظ : وكان يزعم أن جميع المسلمين كَفَرُوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان من فصحاء أهل اللسان إلا أنه كان ألْثَغَ فى الراء وكانت لثغته قبيحة شنيعة ، قاله الجاحظ . وقال ابن خلكان يجعل الراء غينا ، وكان واسع العلم باللغة فالتزم إسقاط الكلمات التى فيها حرف الراء من كلامه وتعويضها بمرادفها ، فإذا أراد أن يقول البر ، قال القمح ، ولم يزل يكابد ذلك ويتأتى لستره حتى اتسق له ما أمَّلَه . قال الجاحظ ولولا استفاضة هذا الخبر وظهور هذه الحال حتى صار لغرابته مَثَلا لما استجزْنا الإقْرارَ به . وقد قال فيه بشار :

وجَانبَ الرَّاءَ لم يَشْعُرْ به أحَدٌ ... قبل التصفح والإغراقِ فى الطَّلَبِ

وقد مضى هذا البيت فى حرف الباء من الملحقات . ولد سنة ٨٠ بالمدينة وتوفى سنة ١٣١ ، وكان بشار من قبلُ صديقاً لواصل ، ثم انحرف عنه لما أنكر واصلٌ على بشار عقيدته .

(٣) رواه فى البيان : « مالى أشايع غزالا الخ » فأما الرواية الأولى فمعنى ماذا منيت استفهام عن الأمر الذى مُنِيَ به ، أى ابتلى به ، والاستفهام مستعمل فى التذمر والتضجر مما لحقه من واصل بن عطاء الغزال . وعلى رواية مالى أشايع استفهام عن نفسه فى مشايعة واصل ، —

عُنُقَ الزَّرَافَةِ ما بَالِي وبالُكُم تُكَفِّرُون رِجَالاً كَفَّرُوا رَجُلا(١)

* وأنشد له فى البيان صفحة ٩٢ جزء ١(٢) :

زِنِي القومَ حتى تعرف عندَ وَزْنِهِم إذَا رُفِع المِيزَانُ كَيْفَ أَمِيلُ(٣)

= والمشايعة : المتابعة ، والاستفهام مستعمل فى الإنكار كأنه ينكر على بعض أتباع واصل أنهم عرضوا عليه متابعة مذهب واصل ، وذكر لواصل نعتاً يتوسم منه الحماقة وهو طول عنقه . وشبهه بالنقنق بكسر النونين الأولى والثانية بينهما قاف ساكنة . والنقنق ذكر النعام ، ووجه الشبه طول العنق . ثم أوغل فى التشبيه فجعله كالظليم إن ولى ، أى أعرض وانصرف ، وإن مثَلا : أى أقام ، وهو بفتح المثلثة وضمها ، وقوله : إن ولى وإن مثلا ، تتميم واستماتة وليس وراءه كبير معنى . وقال المبرد فى الكامل « ويروى لا بل منيت ، كأنه لا يشك فيه » فجعل المبرد قوله : ماذا منيت ، استفهاما مستعملا فى الحيرة والتردد فيما منى به .

(١) الزرافة حيوان يشبه الحمار الوحشى ، إلا أنه طويل الأرجل ، ويداه أطول من ساقيه ، وهو طويل العنق باستقامة ، يوجد هذا الحيوان ببلاد الحبشة والسودان . وعُنُقَ الزرافة منادى حذف منه حرف النداء وهو نداء تميز . وقوله : ما بالى وبالكم ، استفهام تعجبى ، والبال العقل ، أى ما عقلى وعقلكم ، أى أينا على الصواب ، أو ما هذا الخلاف بينى وبينكم ، والمقصود الكناية عن كونهما مختلفين فى الرأى . وقوله : تكفرون رجالا إلخ ؛ معناه على الاستفهام الإنكارى على رواية تشديد الفاء . وروى أتُكْفِرون بسكون الكاف وتخفيف الفاء ، والظاهر أن بشاراً ظن أن واصلاً بن عطاء لما قال بكفر المسلمين الذين اقتتلوا فى الجمل وصفين كان قائلا بذلك لأنهم قاتلوا عليا ، فلذلك تعجب بشار من هذه المقالة أن يحكم بكفر ناس لأنهم كفروا رجلا واحداً ، وهذا احتمال بعيد لأن بشاراً كان من أصحاب الكلام كما مضى فى المقدمة فلا يشتبه عليه قول المعتزلة بقول الخوارج كما اشتبه على الأعرابى القائل :

بَرِئْتُ من الخَوارج لَسْتُ منهم من الغَزَّال فاعْلَمْ وابنِ بَابِ

يريد بالغزّال واصلا بن عطاء ، وبابن باب عمرو بن عبيد ، وهما معتزليان ، وليسا من الخوارج ، قال المبرد : ولكن هذا القائل أعرابى لا يعرف أهل الأهواء وأصحاب المقالات . وإذا صح ما قاله عبد القاهر البغدادى فى كتاب الفرق إن بشاراً كان ينحل نحلة الكاملية من الخوارج الرافضة أصحاب أبى كامل كما تقدم فى المقدمة كان معنى هذا البيت أن بشارا ينكر على واصل تكفيره أتباع مذهب الكاملية الذين منهم بشار لأنه لا وجه لتكفير قوم كفروا علياً بتركه قتال الذين لم يبايعوه بالخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ وقد قال صفوان الأنصارى فى بشار :

أتهجو أبَا بكر وتَخْلَعُ بعده علياً وتعزو كُلَّ ذاك إلى بُرد

والحاصل أن معنى هذا المصراع غير واضح ولم يشف ناقلوه مراده .

(٢) نسبه الراغب فى المحاضرات إلى ابن الرومى صفحة ٢٥٩ .

(٣) الوزن هنا مستعار للتأمل فى الملامح والصفات وتجربة الأخلاق ، وأراد بالقوم =

• وأنشد له فى كتاب أدب الدين والدنيا صفحة ٣٩ :

شِفاء العَمَى طولُ السُّؤال وإنما   تَمامُ العَمَى طولُ السكوت على الجَهْل (١)

فكُنْ سائلا عما عَناكَ فإنما   دُعِيتَ أخا عَقْل لتَبْحَثَ بالعَقْلِ

• وأنشد له فى كتاب أدب الدين والدنيا صفحة ١٤٦ :

وما الناس إلا صاحبَاكَ فمنهم   سَخِيٌّ ومَغْلُولُ اليدين من البُخْلِ (٢)

فَسامِحْ يَدًا ما أمكنَتْكَ فإنها   تُقِلُّ وتُثْرِى والعَواذِلُ فى شُغْل (٣)

— قومه ليدخل هو فى الميزان . ورفع الميزان إبعاده عن ءامة قراره ما هو قار فوقه لتتوازن كفتاه أو ترجح إحداها . والميل : الانحراف عن القصد ، أى كيف أميل فى كفة الوزن ؟ أى تميل كفته وتثقل بى ، واستعار الميل للرجحان المعنوى وهو التفوق فى الفضائل والشرف .

(١) العَمَى مستعار للضلال والخطأ ، قال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم :

أرانا الهُدَى بعد العَمَى فقُلُوبُنا   به مُوقِنَاتٌ أنَّ ما قال واقِعُ

والسؤال الاستفهام عن كل شىء أهلّ معرفته ومن السؤال البحث والنظر ، لأنه بمنزلة سؤال المرء نفسه هل الحق كذا أوكذا ، ولذلك قال : فإنما دعيت أخا عقل لتبحث بالعقل .

(٢) يريد بالصاحبين نوعين من الأصحاب ، يفسرها قوله : سخى ومغلول اليدين . ومغلول اليدين : تشبيه للبخيل فى شحه بمغلول اليدين لا يستطيع تحريكهما للعطاء ، وهو تشبيه معقول بمحسوس ، ومنه قوله تعالى : وقالت اليهود يد الله مغلولة . فقول بشار من البخل من فيه للتعليل وهو تصريح بوجه الشبه .

(٣) أى سامح يداً أعطتك شيئا قليلا ، فما من قوله ما أمكنتك موصولة ، وأمكنتك صلتها ، وأمكن بمعنى أعطى مثل مكن يقال أمكنه من الشىء أى أجعله متمكنا منه . وموضع ما أمكنتك نصب عن نزع الخافض ، أى سامح يداً فيما أمكنتك منه ، والعائد إلى الموصول محذوف وهو ضمير مجرور بمن ، تقديره ما أمكنتك منه ، وحذف العائد فى مثله قليل لعدم دليل عليه فى اللفظ ، ولكن سوغه دلالة الفعل على حرف الجر الذى يتعين أن يتعدى به مثله لأن التعويل على تعين المحذوف ، ومنه قوله تعالى : (أنسجد لما تأمرنا) تقديره به ، وقول حاتم الطائى :

ومِنْ حَسَدٍ يجور علىَّ قومى   وأىُّ الدَّهْرِ ذُو لم يَحْسُدُونى

فإن ذو فى لغة قومه بمعنى الذى ، فالتقدير ذو لم يحسدونى فيه . وقوله : فإنها تُقِل ، بضم التاء ، يقال أقل إذا افتقر ، وضده تثرى ، من أثرى الرجل إذا صار ذا ثروة . وأراد بالعواذل : اللائمين على قلة العطاء ، أى هم فى شغل ، وهو شغل الحرص يمنعهم من تطلب المعذرة لمن يعطى القليل ، وقد غلب بشار فى هذين البيتين حكمته على حرصه .

* وأنشد له فى المختار صفحة ١٣٧ :

إذا لم أُرِدْ تعجيلَ حاجةِ صاحبٍ ... مَنَعْتُ وبعضُ المنعِ خيرٌ من المَطْلِ (١)
وعَدْتَ ولم تُكْرَهْ وأخلفتَ طائعاً ... لعَمْرِى لقد بالغتَ فى البُخْلِ والجهلِ (٢)

* وأنشد الوشاء فى صفحة ٦٠ :

قُرْبُ دارِ الحبيب قُرَّةُ عَيْنٍ ... وكأنَّ البِعَادَ فى القلبِ ثُكْلُ
إنَّ مَوْتَ الذى يموت من الحـــب عفيفا لَهُ على الناسِ فَضْلُ (٣)

* وأنشد له فى المختار صفحة ٦٥ :

فَضَحَتْ جُودَها بطولِ مِطالٍ ... حَالَفَتْهُ وآفةُ الجـــودِ مَطْلُ

---

(١) — (٢) جعل ذلك إخبارا عن نفسه تمهيداً للملام الذى فى البيت بعده، يقول : إذا رأيت اضطرارى لتأخير عطاء سائل أبادره بالمنع لأنه خير من المطل ، فلذلك انتقل إلى خطاب مَن قصَدَ أنْ يلومه على إخلاف الوعد بأنه لم يكن مكرها على العطاء حتى يعِدَ وهو يعلم أنه سيخلف فجمعت إلى البخل جهلا . والمطل : تأخير الموعود به مع تكرر الوعد ، وفى الحديث : مطل الغنى ظلم . ولو قال إذا لم ترد ، بتاء الخطاب ، ومنعت بفتح التاء كذلك ، لكان أوقع فى الملام ، إذ يكون قد تصدى لتعليمه الخلق الكامل . قال أبو الطاهر التجيبى فى شرح المختار : هذا مأخوذ من قول الحريش بن هلال القريعى :

متى ما أَقُلْ يوما لطالبِ حاجـــة ... نَعَمْ أُمْضِها قِدْما وذلك من شَـكْلِى
وإن قلتُ لا ، بَيَّنْتُها من مكانها ... ولم أُوذِهِ فيهـا بجَرْيٍ ولا مَطْلِ
وللبَخْلَةُ الأولى أَقَلُّ مَلَامَـــةً ... من الجُود بَدْءاً ثم تُثْنِيه بالبخل

ويشبه أن يكون بيتا بشار هذان ، والبيتان اللذان قبلهما ، من قصيدة واحدة لاتحاد الغرض والبحر والقافية .

(٣) جملة له على الناس فضل خبر إنَّ وضميرُ له عائد على موت ، وقوله له على الناس ، تقديره له على موت الناس فضل ، وحذفُ المضاف فى مثله سائغ فى الشعر . قال النابغة :

وقد خِفْتُ حتى ما تَزيدُ مخافتى ... على وَعِلٍ فى ذى المَطارةِ عاقِلِ

أى على مخافة وعل .

هى فى قَلْبـــه وبينَ يديه ومَع النَّجْم بَذْلُها كيفَ يَسْلُو(١)

* وأنشد له فى المختار صفحة ١٣٠ :

خَلِيلَىَّ إنّ الموت ليس بنَاهِلٍ وليس الذى يَهْـدى المَنَايا بغَافِلِ(٢)

خليلى يُفْنى الموتُ كلَّ قبيلة وما أنا إلاّ فى سبيل القَبائل(٣)

فَرُوحا عَلَى مالى كُلاَ من فُضُوله فما تُجْمَع الأموالُ إلا لآكل

إذا أنا لم أنفع بجاهى ولم أجُد بمالىَ طالتـــنى يدُ المتطاول(٤)

---

(١) أى هى مصورة فى نفسه ومتخيلة أمامه من فرط تفكره فى محاسنها ، فكأنها بين يديه ، وهذا تشبيه بليغ . وجملة ومع النجم بذلها فى موضع الحال من ضمير « هى » ، ومعنى مع النجم أن بذلها بعيد جدا ، أى غير مرجو الحصول . وهذا المعنى أخذه عباس بن الأحنف وأجاد فى قوله :

هى الشمسُ مسكنها فى السما ء فعزِّ الفؤادَ عزاءً جميلا

فلن تستطيع إليها الصعود ولن تستطيع إليك النزولا

وكيف يسلو : استفهام إنكارى ، والجملة مستأنفة .

(٢) الناهل : الذى يشرب النَّهَل ، بالتحريك ، وهو أول الشُّرْب ، والمعنى أن الموت معاودٌ ومكررٌ إصابة الناس ، وفى قوله : ناهل استعارة مكنية ، شبه الموت بحيوان يشرب ويعيد الشرب فليس فى شربه نَهَل ، وأثْبته بقوله : وليس الذى يهدى المنايا ، وهو تخييل نشأ عن تشبيه المنايا فى نفسه بقطيع من الوَحْش ، فإن قطعان الوحش تكون لها هَوَادٍ من قُرّارحها المجرَّبة تمشى أمامها وترشدها إلى مواقع الكلأ والماء والحذر من كيد الصائدين ، قال امرؤ القيس يصف فرسه فى جريه وراء البقر :

فألحقَنا بالهاديات ودُونَهَا جَواحرُها فى صُرّة لم تزيَّل

وقد أخذ بشار هذا التخييل من قول النابغة يصف طول الليل :

تَطاوَلَ حتى قلتُ ليس بمنقضٍ وليسَ الذى يَهْدِى النُّجُومَ بآيب

وفى البيت استعارتان بالكناية .

(٣) أخذه من قول قس بن ساعدة :

لما رأيت مواردا للموت ليس لها مصادر

أيقنتُ أنى لا محا لة حيث صار الناسُ صائر

(٤) قوله : طالتنى ، أى طالت حتى بلغتنى فنالتنى ، فعدَّى طال بنفسه على طريقة الحذف والإيصال ، وتقديره طالت إلى ، قال بشامة بن حزن النهشلى :

—

* وأنشد له فى المختار صفحة ٢٨٥ :

إذا المرء لم يُفضِلْ وقامَ بكَلِّهِ　　فليس به بأسٌ وليس بكاملِ (١)

وإن كانَ ذا فَضْلٍ وقام بكَلِّه　　فسَامِ به أهلَ العلا والفضائلِ (٢)

وإن كان لا فَضْلٌ ولم يُغنِ كَلَّه　　فنادِ بهِ فى الناس هل من مُنازلِ (٣)

* وأنشد له فى المختار صفحة ٣٢٤ :

ومِثْلِكَ قد سَيَّرْتُه بقصيدة　　فسار ولم يَبْرحْ عِرَاصَ المنازلِ (٤)

رَمَيْتُ به شرقًا وغربًا فأصبحتْ　　به الأرضُ ملأى من مُقيمٍ وراحلِ

إذا الكُماةُ تنحوا أن يُصيبهم　　حد الظُّبات وَصَلْناها بأيدينا

والمتطاول : المغالب فى الطُّول ، والمعنى غلبنى فى الفخر من يغالبنى .

(١) الظاهر أن يُفضل بضم الياء أى يعطى الفضل وهو المال ، يقال أفضل الرجل إذا أعطى ، وأن كله ، بفتح الكاف ، أى عياله ، والقيام بالشىء العناية به ، أى كفى أهله ، قال تعالى : الرجالُ قوّامون على النساء .

(٢) سام به : أى اجعله فى صف أهل العلا والفضائل ، يفاخرهم ويفاخرونه ، وأصل المساماة المفاعلة فى السمو ، كأن كل واحد يطلب أن يكون أعلى من نده ، قال طرفة :

وإن شئت سامَى واسطَ الكُورِ رأسُها　　وعامت بضبعيها نجاء الخفيدد

وفى الحديث قول عائشة عن سودة : وهى التى كانت تساميني من أزواج رسول الله .

(٣) أى فناد الناس يضربونه ، وأطلق على الضارب اسم المنازل الذى يضارب فى الحرب على طريقة التهكم ، وحاصل معنى الأبيات ليس بالكبير على ما فيها من إطناب وتكرير لفظ كله . وقد جاءت الأبيات أشبه بمتون العلوم منها بالشعر ، وكأنه قصد بها التأديب فجاء بهذا التقسيم . وخبر لا فى قوله : لا فَضْلٌ ، محذوف ، أى لا فضل عنده .

(٤) لام مثلِك مجرور برب مقدرة بعد الواو هى واو رب ، ومن هذا القبيل قول امرئ القيس : فمثلِك حبلى قد طرقت ومرضع ، وليست إضافةُ مِثْلٍ إلى الضمير بمخرجة له عن التنكير المشروط فى مجرور رب ، لأنه لم يردْ به مِثْلاً معينا بل مطلق المماثل ، ولذلك اتفق أئمة النحو والأدب على أن بيت امرئ القيس شاهد لإعمال رب محذوفةً بعد الفاء ، على أن المحققين من أئمة النحو على أن اشتراط تنكير مجرور رب شرط أغلبى لا واجب . والمِثْل بكسر الميم المماثل ، أراد أن كثيراً من أمثال المخاطب سار ذكرهم فى الآفاق بسبب قصائد بشار ، وأطلق التسيير على الحديث فى الجهات البعيدة العديدة على سبيل الاستعارة ليتأتى له شبه الإلغاز فى قوله : فسارَ ولم يبرحْ عراصَ المنازل ، والظاهر أنه أراد قصائد المدح ، ويحتمل أنه أراد الأهاجى .

* وأنشد له فى كتاب الآداب صفحة ١١١ (١) :

حَذَفَ المُنَى عنه المُشَمِّرُ فى الهُدى ... وأرى مُناكَ طويلةَ الأذيالِ (٢)
حِيَلُ ابنِ آدمَ فى الحياة كثيرةٌ ... وللموتُ يقطع حيلةَ المحتالِ
قِسْتُ السؤالَ فكان أعظمَ قيمةً ... من كل عارفةٍ جرَتْ بسؤالِ (٣)
فإذا ابتُليتَ ببذلِ وجهك سائلا ... فابذُلْهُ للمتكرِّمِ المِفضالِ
وإذا خَشِيتَ تَعذُّرا فى بلدةٍ ... فاشدُدْ يديك بعاجلِ التَّرحالِ (٤)

---

(١) هذه الأبيات موعظة وتهم ، والظاهر أنه خاطب بها نفسه فى قوله : « وأرى مناك » على طريقة التجريد ، وذلك التفات من الخطاب إلى التكلم فى قوله : « قِسْتُ السؤال » . ويحتمل أنه خاطب بها الناس فيكون قوله قست السؤال إخباراً بتجربته فى أحوال الدنيا وأنه لا يسع إلا الالتجاء إلى الله .

(٢) الحذف : الأخذ من الشىء ليقص ، وأراد هنا الحذْف من الثوب ، أى القَطْع منه قطعةٌ تسمى الحِذْفة بكسر الحاء ، وسكون الذال ، ولذلك قابله بقوله « طويلة الأذيال » . والمشمر الذى يرفع ما تدلى من ثوب على ساقيه ليكون أمكن فى المشى وهو تمثيل العزم ، وتقدم قريب منه فى صفحة ٢٠٢ من الجزء الثالث . والمنى : جمع مُنْية بضم الميم ، وتخفيف التحتية ، اسم لما يتمناه المرء ، أى يريد حصوله ، شبه المنى بإزار على طريقة المكنية ، والحذف مستعار للإقلال من المنى ، وارتكاب مطية العزيمة والسعى ، وفى الحديث : ويَتَمَنَّى على الله الأمانى . وقد أشار أبو حامد الغزالى فى الإحياء إلى الفرق بين الرجاء من الله وبين الطمع .

(٣) قوله : فكان أعظم ، كذا فى المطبوعة ، ولعله « فكنتَ أعظم قيمة » ومعنى قست السؤال : تأملت فى شأنه ، فاستعار القياس للتأمل بجامع الضبط على طريقة العرب فى جعلهم السؤال عن الأخبار طريقة العلم ، والمراد بالقيمة المعرفة التى بها يتفاضل الناس كما تتفاضل العروض بالقيم ، وخص المرأة بالمعرفة لأن العرب يصفون المرأة بكثرة التساؤل عن الأخبار ، قال أُنَيْفُ بن زَبَّانَ النَّبْهانى :

فلما التقينا بَيَّنَ السيفُ بيننا ... لسائلةٍ عنا حَفِيٍّ سؤالها

فالمراد بالسؤال الأول طلب المعروف ، وبالسؤال الثانى الاستفهام عن الأشياء .

(٤) التعذر : عدم استقامة الأمر وعسر حصوله ، وأراد تعذر المطالب وعسر الحياة . وشد اليدين تمثيل لحال التصميم والعزم بحال شد الأمر باليد بحيث لا يتركه ، وقريب منه ما تقدم فى حرف الراء من الملحقات قوله :

واشدُدْ يديك بحماد أبى عُمر ... فى أنه نَبَطِىٌّ مِن دنانير

والترحال بفتح التاء اسم مصدر وكل ما كان مثله فهو مفتوح التاء ما عدا ثلاثة ألفاظ ، وهى تمثال وتبيان وتلقاء ، فهى بكسر التاء .

واصبرْ على غِيَرِ الزّمانِ فإنما فَرَجُ الشدائد مثلُ حَلِّ عِقالِ (١)

• وأنشد له فى المختار صفحة ١٤٧ :

وشَخْصٍ طيِّبِ الأرْدَا نِ لا تَعرِفُ أمثالَه (٢)
بكَى جُوعاً وِشاحَاه وقد أشْبَعَ خَلخَالَه (٣)

---

(١) الغِيَر بكسر ففتح : الأحداث ، يقال غِيَرُ الزمان وغِيَرُ الدهر ، وهى جمع غِيرَة . وقيل هى اسم جمع لا واحد له مثل رِعَب وإبِل . والشدائد : الأحوال الشديدة على النفس المؤلمة لها . وحل العقال تمثيل لسرعة زوال الضيم بسرعة حل عقال البعير . قال أمية ابن أبى الصلت :

رُبَّما تَكْرَه النفوس من الأمـ ـرِ له فُرْجَةٌ كَحَلِّ العِقال

(٢) الشخص : أصله سواد ذات يرى من بعيد ثم توسعوا فأطلقوه على الذات بلا قيد ، قال عمر بن أبى ربيعة :

فكانَ مِجَنّى دُونَ مَن كنتُ أتّقى ثلاثُ شُخُوصٍ كاعِبان ومُعْصِر

أراد ثلاث نساء . وقال أبو الطيب :

نحنُ قومٌ مِلْجِنِّ فى زِىِّ نَاسٍ فوقَ طيرٍ لها شُخُوصُ الجِمالِ

وكانت كلمة شخص غيرَ متداوَلة الاستعمال فى كلام العرب ثم أخذت تكثر فى كلام المولدين وهى لفظ حسن الدلالة ، وقد وردت فى رواية غير صحيحة من الحديث . والأردان : جمع رُدْن ، بضم الراء وسكون الدال وهو الكم للقميص ، والمراد طيب الثياب ، فأطلق الجزء وأريد الكل كما قال النابغة :

يَصونونَ أجساداً قديماً نعيمُها بخالصةِ الأرْدَانِ خُضْرِ المَناكِبِ

وقوله : لا تعرف ، ضبط بفتح التاء وبفتح لام أمثاله فتكون تاء الخطاب لغير مخاطب معيَّن فيعم كل مخاطب ؛ والمعنى أنه لا مثيل له فيعرفه السامع ، والمراد المماثلة فى الحسن .

(٣) استعار الجوع للضمور بناء على إطلاقهم الشِّبَعَ والرِّىَّ على السِّمَن ، يقال امرأة رَيَّى العظام ، واستعار بكَى لحالة شدة الضمور التى تحيلها حالةَ أسف فهى تمثيلية . وكانوا يعيبون من المرأة ضمور الخصور والبطون ، وهى مواضع الوشاح وعظم الأرداف والعروق . وضبط أشْبَعَ بفتح الهمزة وفتح الموحدة فيكون إسناد الإشباع إلى الشخص كأنه هو الذى جعل خلخاله شبعان من الشحم ، وهذا معنى غير حسن ، والأظهر أن يكون أُشْبِعَ مبنيا للمجهول ونائب الفاعل ضمير الشخص ، وينتصب خلخاله على التمييز والتمييز يقع معرفةً بقلة عند نحاة الكوفة ، وخاصة إذا كان تمييزَ نسبة كما هنا وأطلق الخلخال وأراد موضعه وهو الساق مجازا مرسلا .

أتانا بِحَمِــلِ الشَّوقَ   وما يَحْمِلُ أوْصَـــالَهُ[١]
قَتَلْتُ السِّرَّ كِتمانا   وقَتــلُ السر أبقَى لَهْ[٢]

• وأنشد له فى المختار صفحة ٣١٥ :

وأرضٍ تَهُبُّ الريح فيها مريضةً   حَسُورٍ لطرفِ النَّاظر المُتأمِّل[٣]
إذا احترقَتْ مَجَّت سَرَابًا كأنه   من للقطرِ الأعلى مُلاهُ القَواسِل[٤]

---

(١) الأوصال : القوائم ، أى وما يستطيع أن يحمل أعضاءه من شدة الارتخاء من السكر أو من الغنج .

(٢) القتل استعير لشدة الإخفاء والكتمان لأن المقتول لا يبقى له أثر ، وقد سئل بعضهم كيف كتمك للسر ؟ فقال : جنبانى قبره . وقوله : كتمانا ، تجريد للاستعارة فصارت إلى التشبيه كأنه قال كتمته كتمانا كالقتل وأراد بالسر هنا سر هذه الزيارة . وقوله : وقتل السر أبقى له أخذه من قوله تعالى : (ولكم فى القصاص حياة) ، وضميره عائد على السر باعتبار متعلقه ، وهو ما يجرى بين الحبيبين من التزاور وما فيه ، فى الضمير استخدام .

(٣) أى هى لسعتها إذا هبت فيها الريح هبت ضعيفة متفرقة . وحسور بمعنى حاسرة ، والحسر : الإعياء والإكلال ، أى لسعتها تكل عين الناظر فيها . وفعول بمعنى فاعل يلزم التذكير فلا تلحقه هاء التأنيث .

(٤) أراد بالاحتراق شدة حرارة الشمس . والمج : إخراج الماء من الفم ، شبه تصاعد السراب منها بمجاج . والسراب ما يراه الرائى فى وسط النهار فى الصحارى من مسافة نحو ميل فيحسبه ماء عظيما وإنما هو بخار الرمال يكون لاصقا بالأرض ، يتجمع فيشاهد من بعيد كأنه بحر ، وكلما سار إليه المرء يراه قاراً على بعده اللائح له بدءا ، وهكذا قال تعالى : « والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً » . والسراب يوجد فى الفيافى الكائنة بين قفصة وبلاد الجريد من القطر التونسى ، وهو الآل الذى تقدم فى البيت ١٤ من ١٩ صفحة ١٤٨ جزء ١ المطبوع ، وفى ٣٢ من ١٥٥ صفحة ٢٢٧ جزء ٢ من المطبوع . والقول باتحاد السراب والآل هو قول الأصمعى . وقال ابن السكيت والأزهرى وابن قتيبة : السراب الذى يكون فى نصف النهار ، والآل من الضحى فى أول النهار ، ومن المساء إلى آخر النهار ، ثم منهم من فرق بين خصائص الآل وخصائص السراب تفرقة معنوية ، فقال ابن السكيت وابن قتيبة والأزهرى : الآل يرفع الأشياء فتصير شخوصا ، ولذلك سمى آلا ، لأن الآل هو الشخص ، وأن السراب يخفض كل شىء حتى يصير لاصقاً بالأرض لا شخص له . فيقتضى هذا أن الآل تظهر فيه شخوص الأشياء التى على الأرض كأنها فى الهواء يراها الرائى كأنها فى الجو . ومنهم من لم يذكر ذلك ولكنه فرق بينهما بالكون فى أول النهار وآخره ، أو فى —

• وأنشده في زهر الآداب صفحة ٢٤ جزء ٢ ، وفي المختار مفرقا في صفحة ٧٥ وصفحة ٣٢٦ ، وسقط البيت الخامس من المختار :

دَعِيني أُصِبْ من مُتْعَةٍ قبلَ رَقْدَةٍ   تكادُ لها نَفْسُ الشفيقِ تَزُولُ[1]

— وقت الزوال ، وهذا قول يونس بن حبيب والزوزني في شرح معلقة طرفة . وقال ابن السيد البَطَلْيَوْسي في شرح قول المعري في صفحة السيف :

إذا بَصُرَ الأميرَ وقد نَضَاه   بأعلَى الجوِّ ظن عليه آلا

إن التفرقة بين الآل والسراب غلط ، والدليل على أن الآل هو السراب قول العُدَيل بن الفرخ :

فكنتُ كمُهْرِيقِ الذي في سقائه   لرَقْرَاقِ آلٍ فوقَ رابية صلد

ومع قول الأحوص يخاطب كُثَيِّر عزَّة :

أصبحت كالمُهريق فضلةَ مائه   لضحضاحِ آلٍ بالمَلَا يترقرق

وقال ابن السيد في الاقتضاب : وإنكار من أنكر أن يكون الآل هو السراب من أعجب شيء سُمع به لأن ذلك مشهور معروف في كلام العرب الفصيح . والظاهر أنه يعني بالإبطال قولَ من فرق بين الآل والسراب باختلاف الخصائص ، وأما أن يخص الآل بالسراب الذي في أول النهار ، ويكون السراب أعم ، فذلك هو الوجه القوي ، وهو قول يونس بن حبيب ، وهو الذي درجنا عليه في تفسير البيت ١٤ من ورقة ١٩ وفي ٦ من ٢٠٤ ، وقد رأيت السراب في الصحراء قرب توزر من بلاد الجريد عند شروق الشمس فكان على صورة البحر على الأرض ، وهذا هو الذي جرى عليه بشار في شعره فيما تقدم ، إذ عبر بالآل في ثلاثة مواضع مما لدينا من شعره ، وذكَرَ السراب هنا وهو للذي جرى عليه المعري لأنه أراد تشبيه لمعان السيف بالسراب . وشبه بشار السراب بالملاء (وهي جمع مُلاءة ، بضم الميم ، ومد اللام ، وهي الريطة وهي ثوب رقيق لين أبيض) إذا كانت بأيدي النساء النواسل يحركْنها فيضطرب بياضها ، ولذلك شبه بها السراب ؛ وسبَقَه إلى ذلك العديل بن الفرخ في قوله :

مَهامِهُ أشباهٌ كأنَّ سرابَها   مُلاءٌ بأيدي النَّاسِجاتِ رَحِيضُ

وسبقهما علي بن الرِّقاع في قوله يصف غباراً أثاره حمار وأتانه أو أثاره بَقَرُ وحش بالجَرْي :

يتعاوَرَانِ من الغُبارِ مُلاءةً   غَبْراءَ مُحْكَمَةً هما نَسجاها

واعلم أن بين قافية هذا البيت وقافية الذي قبله عيب السناد ، فإن البيت الثاني فيه ألف التأسيس والبيت الأول خلٍ عنها ، فإن كانت القصيدة التي بقي منها هذان البيتان جارية قوافيها على نحو البيت الأول ، فالعيب في البيت الثاني ، وإن كانت قوافي القصيدة كلها مؤسسة فالعيب في البيت الأول .

(١) المتعة : بضم الميم وكسرها ، اسم لما يتمتع به ، أي ينتفع به مدة ثم يزول .

وإنى لآتى الأمرَ أعرِفُ غيَّه ... سِراراً وحِلمى فى الرِّجال أصِيلُ (١)

ولما رأيت الدار وحشاً بها المها ... تَرودُ وخِيطانُ النَّعام تَجُولُ (٢)

ذَكَرْتُ بها عيشاً فقلتُ لصاحبى ... كأن لم يكن ما كان حِينَ يزُولُ

وما حاجتى لو ساعد الدهرُ بالمُنى ... كَعابٌ عليها لؤلؤٌ وشُكُول (٣)

بَدَا لىَ أنَّ الدهر يَقدَحُ فى الصفا ... وأنّ بقائى إن حَيِيتُ قليل (٤)

---

(١) يريد أنه يأتى اللذات التى هى من الغى عن علم لا عن جهل ، لأنه يريد التمتع قبل المات ، وهذا الكلام يشبه التناقض لأنه لو كان أصيل الحلم لترك الغى .

(٢) الخيطان ، بكسر الخاء : جمع خيط ، بفتح الخاء وكسرها : جماعةُ النعام . وجملة : بها المها ترود ، فى موضع الحال من وحشاً . وترود : تذهب وتجىء راعية ، والمها : جمع مهاة وهى البقرة الوحشية . وأراد بالدار داراً معهودة وهى دار الحبيبة .

(٣) هكذا ثبت البيت فى زهر الآداب بدون ألف فى آخر كعاب ، فتكون ما تميمية وحاجتى مبتدأ وكعاب خبر ، فإذا أردت لغة أهل الحجاز فاجعل كعابا منصوبا ، والمعنى أنه ليست حاجته جارية كعابا . والكعاب بفتح الكاف الجارية التى فى مبدأ شبابها . سميت كعابا لأنها قد كعب ثدياها ، وتقدم فى ٢٢ من ٢٢٤ ، يريد أنه أقلع عن الكواعب ، وهذا معنى قديم ، قال زهير « صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله » وقال عبد بنى الحسحاس :

عُمَيرةَ وَدِّعْ إنْ تجهَّزْتَ غادِيا ... كفَى الشَّيْبُ والإسلامُ للمرء نَاهِيَا

وشَكول الأظهر أنه بفتح الشين ، أى ذات الشَّكَل ، وهو الغَنَج والدَّلال ، وفعله كفرح ، ولم يذكر له فى كتب اللغة صفة على زنة فَعول ، فالوجه أنه صيغة مبالغة أى كثيرةُ الشَّكَل ، وإن كان صوغ أصل زنة فاعل من فعل المكسور العين اللازم قليلا فى الكلام ، ويشار واسع الاطلاع ، وعليه يكون شكول معطوفا على كعاب عطف الصفة على الصفة . ويجوز أن يكون شكول بضم الشين جمع شَكْل بكسر الشين وفتحها وهو غَنَج المرأة ، وهو جمع مطرد فى فَعْل باختلاف حركات الفاء مع سكون العين ، ومعنى جمعه باعتبار تكرره ، ويجوز أن يكون شكول جمع شَكْل ويعطف على لؤلؤ ، أى عليها لؤلؤ ، وما هو مثله ومشابهه ؛ قال تعالى : وآخر من شكله أزواج . وتقول ما هذا من شَكْلِى ، أى مماثل .

(٤) وقع فى المختار وفى زهر الآداب : يقدح بقاف ، والظاهر أنه تحريف وأن صوابه يَكْدَح بالكاف أى يخدش ويترك فيه أثراً ، قال تأبط شرا :

تخالط سهل الأرض لم يَكْدَحِ الصَّفا ... به كَدْحَةً والموتُ خَزْيانُ يَنظُر

ويجوز أن يكون استعار قدح الذى هو بمعنى خرق فى القدح ، وهو عود السهم ، خرقة —

فعِش خائفاً للموت أو غيرَ خائف   عَلَى كل نفس للحِمام دليل(١)
خليلُك ما قدّمْتَ من عمل التقى   وليس لأيام المَنُونِ خَلِيل(٢)
أقولُ لقلبى وهْو يَرْنُو إلى الصِّبا   علامَ التصابى والحوادِثُ غُول(٣)
لعلّك ترجو أن تعيشَ مخلّدا   أَبَى ذاكَ شُبّانٌ لنا وكُهُول(٤)

= ليضع فيها أصل النصل استعارة لبقاء أثره فى الصفا . والصفا ، جمع صفاة : وهى الحجارة الصلبة . والمعنى أن طول الزمان ينقص من الحجر فكيف لا يفنى الإنسان . والمصراع الثانى رواه فى المختار « وأن بقائى حين شبت قليل » والمعنى واحد .

(١) هذا البيت والذى بعده مذكوران فى زهر الآداب فى جملة الأبيات ، وهما فى المختار منفردان عن البقية ، وفى رواية المختار : فبِتْ خائفا . والأمر على الروايتين مستعمل فى التسوية كقوله تعالى : اصبروا أو لا تصبروا .

(٢) كأنه راجع نفسه وعاود رشده بعد أن أوغل فى الغواية بحسب البيتين الأول والثانى ، فاستيقظ من سنة الغفلة ، وعلم أن الخلائل اللاء كُنّ فى منازل أنسه وصباه قد فارقته فراقَ غيرِ رَاجع ، كما قال عبدة بن الطبيب :

إن التى ضربتْ بيتاً مُهَاجِرَةً   بكوفةِ الجُنْدِ غالَتْ ودّها غُول

فلم تبق فى الحياة لذة بعدهن ، وتذكر أنه لا حقّ بهن ، فعمل على أن يتخذ التقى خليلا عوضهن . ومعنى وليس لأيام المنون خليل : أراد بأيام المنون أيام الدنيا ، فأضافها إلى المنون لأن لذّات الدنيا اشتهرت بين الناس بأن آخرها الموت ؛ فالمعنى ليس للدنيا حبيب وهى جديرة بأن تكون مكروهة .

(٣) أخذَ قوله : والحوادث غول ، من قول أُحَيْحَةَ بن الجلاح :

صحوتُ عن الصِّبا والدّهرُ غُول   ونفْسُ المرء آونَةً قَتُول

(٤) هذا مقول القول فى البيت قبله ، والخطاب لقلبه على طريقة التجريد . استعار الإباء للدلالة على امتناع الأمر المرجو أى دل وجود الشبان والكهول على إبطال رجاء الخلود . لو خلد الناس فى الدنيا لما جعل الله النسل خلفاً للأصل ، ولأبقى الله الخلق الأولين . قال أبو الطيب :

ولو دامت الدولات كانوا كغيرهم   رعايا ولكن ما لهن دوام

وأبى مستعار لمعنى منع ، كقول النابغة على لسان الحية :

أبى لىَ قبر لا يزال مقابلى   وضربةُ فأس فوق رأسىَ فاقره

أى منع من تحالفنا . وعبر بقوله شبان لنا دون إضافة لأنه أراد التنصيص على الجنس للاحتراز عن قولهم شبان وكهول معينين ، فلما نكره صرّح باللام التى تنوب مع الإضافة ، كقوله تعالى : بعثنا عليكم عباداً لنا أولى بأس شديد . أى عباداً لا تعلمونهم .

● وأنشد له فى البيان صفحة ١١٨ جزء ٣ ، وفى كتاب الشعراء لابن قتيبة :

كيف يَبْكِى لِمِحْبَسٍ فى طُلُول … من سَيُفضى لِحَبْسِ يوم طويل[1]
إنَّ فى الحشر والحسابِ لَشُغْلاً … عن وُقوفٍ بكل رَسْمٍ مُحِيل

● وأنشد له فى الأمالى صفحة ١٧ جزء ٣ :

وإذا للطى سَبَحْنَ فى أعطافه … فاتَ المَطِىَّ بكاهل وتَلِيلِ[2]
فكأنه والنَّاعِجَاتُ يُرِدْنَه … قِدْحٌ يُطَاعُ من قداحٍ مُجِيل[3]

---

(١) ضبط فى نسخة البيان طبع الرحمانية كلمة لمحبس بضمة على الميم وفتحة على الباء ، ولا وجه له لفظاً إذ لا يقال احبس حتى يجىء منه مُحْبَس ، ولا معنى له إذ لا يحبس شىء فى الطلول . والظاهر أن يكون بكسر الميم وفتح الباء بوزن اسم الآلة ، أى آلة الحبس ، وأنه يعنى به الحِبْس بكسر الحاء وسكون الباء ، وهو حجر يوضع فى فوهة مجرى الماء يمنع طغيان الماء أو ليقر الماء فيشرب القوم ويسقوا ، فعبر بشار باسم الآلة لأنه آلة لحبس الماء . وهذا الحبس من علائق منازل القوم ، فإذا ارتحلوا عنها تركوا تلك الآثار كما يتركون الأثافى ، ولم أر من ذكر المحبس عند ذكر آثار الديار ، وإنما المعروف ذكر الأثافى والوتد والنؤى والأوارى . فلعل بشاراً ذكر ذلك لأنه مع القبائل النازلة على نهر الفرات حول البصرة ، فهم يستعدون لرد فيض الماء عنهم إذا طغى الماء . والطلول جمع طلل ، وهو آثار ديار القوم . والمعنى إنكار الاشتغال باللهو والتصابى الذى منه بكاء الأطلال ، وخص بكاء الأطلال هنا لمناسبة مقابلته بهول الموقف الذى يحق فيه البكاء والأسف ، أى فالأجدر أن يشتغل بما يخفف عنه موقف يوم الحشر ، وحَبْسُ ذلك اليوم هو الوقوف للحساب واليوم الطويل يوم الحشر . قال تعالى : « فى يوم كان مقداره خمسين ألف سنة » . وقد سلك الجناس بين محبس وحبس وبين طلول وطويل . والرسم أثر ديار القوم . ومُحيل بضم الميم غاب عنه أهله منذ أحوال ، من قولهم : أحال عليه الحول ، أى حال . وكل هنا بمعنى كثير .

(٢) التليل : العنق ، والكاهل : ما بين العنق إلى الظهر . والسَّبح مستعار للجرى ، قال امرؤ القيس :

مِسَحٌّ إذا ما السابحات على الونَى … أثَرْنَ الغبار بالكديد المركل

(٣) يدل على أنه يصف بعيراً يسير بين مطى ، ويُشَبِّه خروجه من بينهن . والناعجات : النوق السريعات لأنها يصاد عليهن نعاج الرمل . قال العديل بن الفرخ :

ودون يد الحَجَّاج من أن تنالنى … بساط بأيدى الناعجات عريض

وتقدم فى صفحة ٢٩٩ من الجزء الأول . والمجيل : مجيل قداح الميسر ، والإجالة تحريك القداح فى الربابة ، والمجيل يسمى أيضاً الحُرُضَة بضم الحاء المهملة وفتح الراء .

• وأنشد له في نهاية الأرب صفحة ٣٩ جزء ٢ في سوداء[1] :

يكونُ الخالُ في خَدٍّ نقي ... فيُكْسِبُه المَلاحَةَ والجَمالا[2]

ويُوْنقه لِأعْـيُنِ مُبصريه ... فكيفَ إذا رأيتَ اللونَ خالا

• وأنشد له في محاضرات الراغب صفحة ٤٢ جزء ٢ :

وللدهر أيام قِصار إذا سرت ... بخير ويومُ الحزن منه طويل

• وأنشد له في معاهد التنصيص صفحة ٢٠١ :

لمَرْوَانَ مَوَاعِدُ كاذباتٌ ... كما بَرَقَ الحياء وما استهلا[3]

وأنشد له الدكتور شاكر الخوري في كتاب صحة الدين صفحة ٢٩٢ وهو غريب ؛ وقد أثبتُّه والعهدة عليه :

---

(١) لعل هذه السوداء هي الجارية التي يجيء ذكرها في قافية النون في قوله :

وغَادةٍ سَوْدَاءَ بَرَّاقَةٍ ... كالماء في طِيبٍ وفي لِينِ

كأنها صِيغَتْ لِمَنْ نالَها ... من عَنبَرٍ بالمِسْك معجون

(٢) يقال كسبه وأكسبه بمعنى وهبه مالا ، ثم شاع في كل إعطاء . وهذا المعنى أحسبه من مبتكرات بشار في حسن الاعتذار عن سواد اللون ، وقد تبعه فيه كثير من الشعراء . والملاحة : الحسن ، وعطف الجمال عليها لأن الملاحة غلبت على حسن الوجه . قال البحتري :

والذي صير الملاحة في خد ... يه وقفا والسحر في أجفانه

فبق الجمال للأعم . ووقع في مقدمة فقه اللغة لأبي منصور الثعالبي عن ثعلب وابن الأعرابي وغيرهما : الملاحة في الفم والصباحة في الوجه والجمال في الأنف والحلاوة في العينين والرشاقة في القد والوضاءة في البشرة والظرف في اللسان واللباقة في الشمائل . فلعل مراده إذا أريد توصيف جميع ما في أحد من المحاسن أن توزع هذه الصفات على هذا النحو ، وليس المراد أنه يختص كل لفظ منها بما ذكر معه ، لأن الاستعمال يخالف ذلك .

(٣) الظاهر أنه يعني مروان بن محمد خاتم خلفاء بني أمية . ولعل الصواب : كما برق السحاب ، إذ لفظ الحياء لا يحسن هنا ، لأن الحيا هو المطر ، فلا يناسب قوله برق ، ولا قوله وما استهلا ، ولأن الحيا مقصور فلا حاجة إلى مده للضرورة . والظاهر أنه هجا مروان حين صار أمره في إدبار . وتهيأ بشار لموالاة العباسيين .

يا من بِرَائق ريقه يُحيي الورى   وبسحر عينيه النواعِس يَقْتُلُ(١)
مِن سحر عينيك المَهاةُ تعلمتْ   وكذلك الغِزلان منها تَغْزَلُ(٢)

* وأنشد له فى الظرائف صفحة ٢١ :

قل لشهر الصيام أنحلتَ جسمى   إنّ ميقاتَنا طلوعُ الهـــلال
اجْهَد الآنَ كُلَّ جَهْدِك فينا   سَــتَرى ما يكون فى شوال(٣)

* وأنشد له فى بهجة المجالس :

كَفَى حَزَنًا أنَّ الجواد مُقَتَّرٌ   عليه ولا معروفَ عند بخيل

* وأنشد له فى المختار صفحة ٢٧٢ :

قل للأمـــير إذا نزَلْتَ به   إن المَباخِلَ ذَمُّها عَجِـــلُ(٤)
بِئسَ المروءةُ من ذوى حسب   جَاعَتْ قَرابَتُهم وقد ثَمِلُوا(٥)

---

(١) الرائق : الماء الصافى ، راق يروق : صفا . والنواعس تشبيه لما فى العينين من ذبول حسن يعنى من أثناء النعاس .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية ، وهى حسنة العين والنظر ، وقوله : وكذلك الغزلان الخ ، يقال غزل كفرح ، إذا تحدث مع النساء فى التحبب إليهن واستنزالهن . والغزلان ، بكسر الغين : جمع غزال يصدق على الذكر والأنثى ، وليس فى المصراع الثانى معنى جديد ، ولا أحسب صحة نسبته إلى بشار .

(٣) يقال اجهد جَهْدك ، بهمزة وصل فى الأول وفتح الجيم فى الثانى ، والجهد : التعب والعناء ، وتقدم فى ١٣ من ٢١٥ . جعل شهر الصيام كالذى أعنت الناس بالصوم الذى هو ظرفه ، فتوعده هو بأنه سوف يأخذ منه الثأر بفطر خارج عن المألوف من سُكر وشبع ، والأمر فى قوله اجهد للإنذار . كقوله تعالى : « اعملوا ما شئتم » . ولذلك فقوله سترى الخ تهديد .

(٤) لم يُعرف هذا الأمير الذى خاطبه بشار . والمباخل ، جمع مَبخلة ، بفتح الميم وفتح الخاء : ما يحمل الإنسان على البخل من التفكير فى نفاد ماله ، وأن تكون عاقبته الفقر . وفى الحديث « الوَلدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ » أى يحمل الوالد على البخل خشية افتقار أبنائه بعده ، وعلى الجُبن خشية هلاكه أن يترك ولده بحالة ضيعة .

(٥) المروءة اسم يشمل مجموع فضائل الخلق التى يكون بها المرء مرءاً ، أى كاملا بين الناس —

شِبَعُ الأمير وجوعُ صاحبه عارُ الحياة فأطعِموا وكُلُوا

— فى صفات الكمال، وهى مصدر بوزن الفُعُولة مشتق من الاسم الجامد وهو المَرْء لقصد الدلالة على صفات الرُّجلة التى يُتمدح بها. وذكر التجيبى فى شرح المختار عن الخليل أن المروءة لا فعل له، ولم أر من عزا هذا إلى الخليل غيره، وكلام القاموس واللسان صريح فى أنه يقال مَرُؤَ ككَرُم وهو مَرِىء أى ذو مروءة، وأحسب أن فعل مرؤ فهو مَرِىء قليل الاستعمال. وأحسن ما يقال فى تحديد معنى المروءة أنها التخلق بالفضائل الدينية والإنسانية وتجنب المذام فى هذين النوعين وما فيه غضاضة على صاحبه، وشروطها كثيرة منها شروط صاحبها فى نفسه وملاكها العفة والنزاهة والصيانة وكمال العقل. ومنها شروط فى غيره، أى فى معاملة غيره، وهى المعاونة والمياسرة والإفضال، والكلام فيها مفصل فى كتب الأخلاق. ومعظم خصال المروءة من المحاسن العقلية، وقد يدخل فيها ما هو معدود من الكمال عند أهل عرف خاص، فالعرب يعدون من خصال المروءة ما قد يعده العجم نقيصة، وقد يعد كثير من الأمم من خصال المروءة ما لا يحسن فى نظر أهل الحكمة والعقول السليمة مثل شرب الخمر، وقد قال الأعشى:

وكأسٍ شربتُ على لذة ... وأخرى تداويتُ منها بها
ليعلم كلُّ الورى أننى ... أتيتُ المروءة من بابها

والمروءة مما يكتسب بالتخلق، قال القريعى:

إذا المرء أعيته المروءةُ ناشئا ... فمَطْلَبُها كَهْلاً عليه شديد

ومن أمثال العرب «نعم العون على المروءة الجِدَة» وقيل لبعض الحكماء: ما الفرق بين العقل والمروءة؟ فقال: «العقل يأمرك بالأنفع، والمروءة تأمرك بالأجمل». وقال محمد بن عمران التيمى «المروءة أن لا تفعل فى السر عملا تستحى منه فى العلانية» وتقدم فى حرف العين قول بشار «ولا بد من شكوى إلى ذى مروءة». وقال زياد الأعجم:

إن السماحة والمروءة والندى ... فى قبة ضربت على ابن الحشرج

ولبعض الشعراء:

مررت على المروءة وهى تبكى ... فقلتُ علامَ تنتحب الفتاة
فقالت كيف لا أبكى وأهلى ... جميعاً دونَ خلق الله ماتوا

وقول بشار: يئس المروءة. هكذا ثبت فى طبعة مختار المختار، وإذ قد كانت المروءة من خصال الكمال فإن ذمها بإسناد يئس إليها منافٍ لماهيتها، وكان الأجدر أن يقول كما قال أبو نواس:

ما فى المروءة أنها ... تُحيى النفوسَ وتَقْتُلَها

ولعله تحريف تَيْئَسُ المروءة من ذوى حسب الخ، أى إذا فعلوا ذلك يئست منهم المروءة بعد أن كانوا مرجوِّين لها، كقوله تعالى: «قالوا يا صالح قد كنت فينا مَرْجُوًّا قبل هذا». ووجود «مِنْ» يرجح هذا التصحيح. وقوله: ثملوا، أى اشتد بهم السكر، وفعله كفرح. يريد أن قرابتهم فى خصاصة وهم فى نعيمٍ المبالغة فى السكر.

قافيـــة الميم

* أنشد له فى الأغانى صفحة ٢١ وصفحة ٣٢ وصفحة ٤٦ جزء ٣ . وفى زهر الآداب صفحة ٢٢ جزء ٢ . وفى نقد الشعر صفحة ٢٨ . وفى عيون الأخبار صفحة ١٤٦ وصفحة ١٦٧ جزء ٣ . وفى ديوان المعانى صفحة ٥٩ جزء ١ . وفى نهاية الأرب صفحة ١٨٩ جزء ٣ . وفى محاضرات الراغب صفحة ٧٢ جزء ٢ . وفى المختار صفحة ٧٧ . وفى ثمار القلوب صفحة ٢٦٤ . وفى المجموعة الأدبية ورقة ٤٥ . وفى شرح المعرى على ديوان المتنبى المسمى مُعْجِز أحمد . وبعض هذه يزيد على بعض ، وحصل مما فى الأغانى وفى المختار وفى زهر الآداب وفى عيون الأخبار أنها قصيدة واحدة . وأنا رتبتها ترتيباً بحسب ما تناسب من معانى الأبيات ، مع الجزم بأن طالع القصيدة قد فاتهم (١) :

وَنُبِّئْتُ قَوْماً بهم جِـــنَّةٌ ... يقولون من ذَا وكُنتُ العَـلَمْ (٢)
ألا أيها السائل جاهِـــدا ... ليَعْرِفَـنى أنا أنفُ الـكَرَمْ (٣)

---

(١) وهذه القصيدة فى مدح الأمير عُمر بن العلاء ، وتأتى ترجمته قريبا فى شرح البيت السابع عشر من هذه الأبيات .

(٢) جعلهم كالمجانين لأنهم جهلوه وسألوا عنه سؤال استخفاف به وهو معروف معظم عند الناس ، فكان ذلك السؤال دليلا على اختلال عقولهم .

(٣) حذف متعلق السائل لدلالة البيت الذى قبله عليه ، أى السائل عن نفسى . وقوله أنا أنف الكرم ، أى منتهى الكرم . فإنهم أطلقوا الأنف على الرفعة ، لأن الأنف هو أظهر شىء فى الرأس ، وجعلوا شم الأنف تمثيلا لإباء الضيم ، لأن الذى يكره شيئاً يرفع أنفه ، فقال حسان فى آل جفنة :

بِيضُ الوجوه كريمةٌ أحسابهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأوَّل

ويدعون فى الشتم بجدع الأنف . وفى الحديث « جدَّع الله بالحلال أنفَ الغَيْرة » فجعل للغيرة أنفا على وجه التخييلية المكنية . قال الثعالبى فى ثمار القلوب : أحسب أن بشاراً أول من قال أنفُ الكرم . وأقول مثل سال الكرم بحال ذى وجه وأثبت له أنفاً لأن أبرز عضو فى —

نَمَتْ فى الكرامِ بنى عامرٍ فُروعى وأصلى قُرَيْشُ العجَمْ(١)

فإنّى لأُغنِى مَقامَ الفَــتَى وأُصْبِى الفتاةَ فما تَعْتَصِمْ(٢)

وجارية خُلقت وَحْــدَها كأنّ النساء لها خَدَمْ

دَوَّارُ العَذَارَى إذا زُرْنَها أطَفْنَ بحَوْراءَ مثلِ الصَّنَمْ(٣)

يَظَلْنَ يُمَسِّحْنَ أركانَها كما يُمْسَحُ الحجَرُ المُسْــتَلَمْ

= الوجه هو الأنف ، فجاءت تمثيلية مكنية ، فكأنه يقول أنا مَظْهَرُ الكرم والعلوّ فيه ، كقول النبى صلى الله عليه وسلم « إن المرأة خلقت من ضِلَعٍ وإنّ أعوَجَ شىءٍ فى الضِّلَعِ أعلاه فإن ذهبتَ تُقِيمُه كَسَرْتَه » يعنى أن أشد النساء لا تخلو من عوَجٍ لأن المرأة خلقت من ضِلَعٍ أعْوَجَ . ومن هذا الاستعمال أخذ جرير قوله فى بنى أنف الناقة ، وكان هذا اللقبُ لزم جدَّهم من بنى قُرَيع لأنه رئى حاملا رأسَ ناقة مُمْسِكَه من أنفها ، فدحهم جرير مدحا قلب به المقصود فصاروا يفتخرون به إذ قال فيهم :

قومٌ هم الأنفُ والأذنابُ غيرُهم ومن يسوّى بأنف الناقة الذَّنَبَا

وفى زهر الآداب : ألف الكرم باللام وهو تحريف لا محالة ، وسيأتى قول بشار أنت أنف الوجود ، فى قافية الميم . وقوله جاهدا ، أى حريصا من الجهد ، ورواه فى زهر الآداب جاهلا .

(١) أراد بقريش العجم أهلَ خراسان ، لأن بُرْدًا أبا بشار منها ، فقد سبق فى المقدمة أنه من طخارستان ، وهى من ولايات خراسان ، وأطلق عليهم لقب قريش لأنهم أشبهوا قريشا فى أنهم لم يؤدّوا إتاوةً ولا خراجاً فهم لَقَاح كما نبّه عليه ابن قتيبة الدينورى فى كتاب الرد على الشعوبية وذكرناه فى المقدمة . وقد روى ابن وهب عن ابن لهيعة أنه قال : يقال : « فارس والروم قريش العجم » فهذا مأخذ بشار فى هذا البيت .

(٢) معنى أغنى مقام الفتى أنه وإن كان شيخا ففيه خصال الفتى فهو يقوم مقامه . وإصباء الفتاة جعلها ذات صَبْأةٍ أى شدة حب . ومعنى ما تعتصم ما تتعفف . والاعتصام مطاوعة العصم وهو الامتناع وغلب إطلاقه على الامتناع عما يضر ، ومنه العصمة من الذنوب ، قال تعالى : « ولقد راودته عن نفسه فاستعصم » .

(٣) رواه فى زهر الآداب : مثل الصنم ، ووقع فى الأغانى والمطبوعة والمخطوطة القسم ، ولا يظهر له معنى هنا .

والدوار تقدم شرحه صفحة ٣٢٦ من الجزء الأول ، وفى صفحة ٨٩ من الجزء الثانى .

وَبيضَاء يَضْحَكُ مَاء الشَّبَا ... بِ فى وجهها لك إذ تبتسم (١)
ظَمِئتُ إليها فلم تَسقِنِي ... بِرِيِّ ولَم تشفنى من سَقَمْ
وقالت هَوِيتَ فَمُتْ راشداً ... كما مات عروةُ غَمَّا بغَم (٢)
فلما رأيتُ الهوى قاتلى ... ولستُ بجارٍ ولا بابنِ عَم (٣)
دَسَسْتُ إليها أبا مِجْلَزٍ ... وأىُّ فتى إن أصاب اعتزَم (٤)
فما زال حتى أنابَتْ له ... فراحَ وحَلَّ لنا ما حَرُم (٥)

---

(١) ماء الشباب تخييل يتخيلونه لحسن الشيء ويقولون ماء الوجه للحياة وماء الشباب وماء السيف ؛ وقالوا رَيِّق الشباب ورَقراق الشباب . وقال ابن سهل :

جَمَدَتْ له فى الخَدِّ نُقطةُ عَنبَرٍ ... فأذابَ ماء الخدِّ خاء الخَالِ

وقال أبو تمام :

لا تَسقِنِي ماء الملام فإننى ... صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائى

واستعار الضحك لحسن المرأة والإقبال .

(٢) هو عروة بن حِزَام العُذرى صاحب عفراء بنت عِقال العُذْرية . انظر التعليق فى صفحة ٢٢٨ من الجزء ٣ .

(٣) جملة « ولست بجار ولا بابن عم » معترضة ، ومعناه : لست من عشيرتها ولا ساكنا بقربها فأكلمها سرا .

(٤) مجلز ، كنبر ، يوجد فى الأسماء اسم فرس ، ويوجد فى الكنى أبو مجلز ، لاحق من التابعين . والدس : وضع شيء فى مكان خفى . قال تعالى : « أم يدسه فى التراب » . وقول بشار : وأى فتى ، جملة حالية من أبا مجلز ، والتقدير : وأى فتى هو ، فحذف الخبر . وأى هذه فى الأصل استفهامية ، ويستعمل الاستفهام بها كثيراً فى معنى التعجب من المستفهم عنه فى الصفة التى يدل عليها اسم تضاف إليه ، أى كقول مهلهل :

فلو نبش المقابر عن كليب ... فيُخبَرَ بالذنائب أىُّ زير

أى أىّ زير أنا . فيقال فى أى فى هذا الاستعمال إنها دالة على معنى الكمال . وأصاب : بمعنى أدرك طلبه . واعتزم : مبالغة فى العزيمة . وجملة إن أصاب اعتزم ، مستأنفة استئنافاً بيانيا جواباً لسؤال يجيش فى نفس من يسمع قوله : وأى فتى ، ولعل فى قوله إن أصاب اعتزم قلبا ، وأصله إن اعتزم أصاب ، أى لم يرجع عن عزمه حتى يدرك طلبه كقول [سعد بن ناشب] :

إذا همَّ ألقَى بين عينيه عَزْمَه ... ونَكَّبَ عن ذكر العواقبِ جانبا

(٥) أنابت : رجعت وامتثلت وأباحت ما كانت تمنعه .

أصفراءُ ليس الفتى صَخْــرَةً ولـكنه نُصُبُ هَمٍّ وغَمّ (١)
صَبَبْتِ هَوَاكِ على قلبـــه فضاقَ وأعْلَنَ ما قد كَتَم
أقولُ لها حين قَلَّ الثَّراء وضَاقَ المَرادُ وأوْدَى النَّعَم (٢)
إذا ما افتقرْتِ فأَحْيِي السُّرى إلى ابن العَلاء طَبيبِ العَدَم (٣)
دعاني إلى عُمَر جُــودُهُ وقولُ العشيرة بَحْرٌ خِضَم
ولولا الذى زعموا لم أكُنْ لأَمْدَحَ رَيْحَانَةً قبل شَمّ (٤)

---

(١) صفراء : اسم إحدى حبائبه ، كما دل عليه قوله : إذا ذكرت صفراء أذريت عبرة ، وكرر اسمها فى الأبيات السبعة من قصيدة له . والنصب : الشىء المنصوب ، أى هو معرض للهم والغم ، والهم : الحزن ، والغم : الكرب .

(٢) ظاهر الكلام أن ضمير لها يعود إلى صفراء أو بيضاء فى قوله : وبيضاء يضحك ماء الشباب الخ ، أو إلى جارية ، ولكنه لا يناسب خطاب المرأة ، إذ ليس من المعهود أن النساء يرحلن فى طلب الرزق ، فالأظهر أن الضمير عائد إلى النفس المعلوم من المقام أو الذى سقط فى بيت من الأبيات . والمراد ، بفتح الميم : مصدر ميمى للارتياد ، وهو الطلب ، أو اسم مكانه الرَّوْد ، وهو الأنسب بقوله ضاق .

(٣) هو عُمَر بن العلاء . قال ياقوت فى معجم البلدان : هو من أهل الرى ، كان جزاراً فجمع جمعاً وقاتل الديلم فأبلى بلاء حسنا ، فأوفده جهور بن مرار العجلى إلى المنصور فقَوَّده وجعل له منزلة ، وترقت به الأمور حتى ولى طبرستان . وذكر ابن الأثير فى الكامل أن المنصور وجّه فى سنة ١٤١ عمر بن العلاء إلى طبرستان وكان عارفا بها ، فأخذ الجنود وفتحها ، وهو الذى يقول فيه بشار : إذا أيقظتك حروب العدا ... البيت ، وقد كان فى سنة ١٦٢ من قواد الفتوح فى جهات طبرستان وعاملها يومئذ سعيد بن دعلج ، ووُلّى عمر بن العلاء على طبرستان سنة ١٦٧ . قال ياقوت : استشهد فى خلافة المهدى . وذكر فى الأغانى أنه كان جوادا شجاعاً ، وذكر له قصة ، وأنه مدحه بشار وأبو العتاهية . وقال فيه المهدى : من اجتمعت ألسن الناس على مدحه كان حقيقا أن يصدقها بفعله . والتاء فى قوله : إذا ما افتقرت ، يتعين أن تكون مضمومة ولا يناسب جعلها مكسورة كما ضبطت فى طبعة مختار المختار ، لأن المرأة لا تفتقر إلا إذا افتقر زوجها أو وليها . ولذلك يكون فأحيى مضموم الهمزة . والعدم ، بفتحتين : فقدان المال ، مرادف العُدْم بالضم والسكون . وقرن جواب إذا بالفاء الزائدة .

(٤) هذان البيتان يقتضيان أنه لم يكن مدحه من قبل ؛ والمعنى أن الممدوح قد شاع صيت جوده ، ولولا علمى بجوده لم أمدح غير مجرب خشية الخيبة بعد تجشم الأسفار . والخضم ، بكسر الخاء وفتح الضاد وتشديد الميم : من أوصاف البحر لكثرة مائه ، وذكر الخضم مع التشبيه ترشيح التشبيه .

ألا أيها الطالبُ المبتغى   نُجُومَ السماء بتقوى أَمَمْ[1]
سمِعْتَ بمَكْرُمَةِ ابن العلا   فأنشأتَ تطلبها لستَ ثَمّ[2]
إذا عرض اللهوُ فى صدره   لَهَا بالعطاء وضرب البُهَمْ[3]
يَلَذُّ العطاء وسفكَ الدما   ءِ ويغدو على نِعَمٍ أو نِقَمْ
فقل للخليفة إن جئته   نَصوحًا ولا خيرَ فى مُتَّهَمْ
إذا أيقظتْكَ حروبُ العِدا   فنبِّهْ لها عُمَراً ثُمّ نَمْ[4]

---

(١) رواه فى نقد الشعر : ألا أيها الحاسد ، وعلى رواية الطالب ، فالمراد طالب اللحاق به فى التوجد ، فمفعول الطالب محذوف ونجوم السماء مفعول المبتغى ، ولذلك يكون نجوم السماء تشبيهاً بليغاً لا استعارة .

(٢) قال المعرى فى شرح ديوان أبى الطيب : إن هذا البيت هو مثل قول المتنبى :

كذا فتنحَّوْا عن علىّ وطُرْقِهِ   بنى اللؤْمِ حتى يَعْبُرَ المِلكُ الجَعْدُ

والأظهر أن يكون بيت بشار مأخوذاً من قول محمد بن بشير الخارجى فى مدح عروة بن زيد الخيل :

يأيها المتمنى أنْ يكون فتًى   مثلَ ابنِ زَيْدٍ لقد أَخْلَى لكَ السُّبُلا
إنْ تنفِقِ المالَ أو تَكَلَّفْ مساعِيَه   تَشْقُقْ عليكَ وتَفْعَلْ دونَ ما فَعَلا

وأنشأ من أفعال الشروع ، ولستَ ثَمّ : تركيب يستعمل فى معنى التقصير عن بلوغ أمر مهم ، ومثله : لست هناك ونحوه . وفى حديث الشفاعة : يأتون آدم فيقول لستُ هناكم ، وذكر كلُّ نبى يقول ذلك يوم الحشر ، أى لا أتقدم على هذا الأمر العظيم .

(٣) رواه فى ديوان المعانى : إذا عرض الهمّ ، والمعنى على الرواية الأخرى أنه إن كان له لهو فلهوه الجد ، وهذا كناية عن مجانبته اللهو . والمعنى على رواية ديوان المعانى أنه إذا عرض له فى نفسه بعض الهموم ورام التدلى والتناسى لها مما شأنُ الناس أن يتسلوا به من اللهو ، فإن سلو الممدوح بالعطاء وقتال الأبطال . والبُهَم ، بضم ففتح : جمع بُهْمة بضم فسكون وهو الشجاع .

(٤) قال الصفدى فى شرح لامية الطغرائى : أخذ المتنبى هذا المعنى فى قوله :

لا أستزيدكَ فيما فيكَ من كَرَمٍ .   أنا الذى نامَ إن نَبَّهْتُ يقظانا

قلت : قد غفل عنه شراح ديوانه الواحدى والمعرى والعكبرى .

فتًى لا ينامُ على ثأرِهِ ولا يَشرَبُ الماءَ إلا بِدَمْ (١)
إذا ما غزَا بَشَّرَتْ طيرُهُ بفتحٍ وبَشَّرَنا بالنَّعَمْ (٢)
إذا قال تَمَّ على قوله ومات العِداة بلاَ أوْ نَعَمْ
وبعضُ الرجالِ بموعوده قريبٌ وبالفعل تحتَ الرَّجَمْ (٣)
كجَارِي السرابِ تَرَى لَمْعَهُ ولستَ بواجِدِه عندَ كَمْ (٤)

---

(١) أى إذا كان له ثأر على قوم ، أى إذا غلبه أحد ترك النوم حتى يأخذ بالثأر ، فقوله : لا ينام ، كناية عن شدة الاشتغال بالشيء والاهتمام بحصوله ، كما قال إبراهيم الصولى على ما فى أمالى الشريف المرتضى . أو عبد الله بن الزُّبير (بفتح الزاى وكسر الموحدة) ، وقيل محمد بن سعيد الكاتب فى مدح عمرو بن سعيد الأشدق :

رأى خَلَّتِي من حيثُ يَخفَى مكانُها فكانَتْ قَذَى عينيه حتى تجلَّتِ

ويحتمل أنه أراد الكناية عن كونه لا يرجع إلا غالباً لأعدائه فلا يكون له ثأر ، فكنى بانتفاء النوم على ثأر عن انتفاء الثأر من أصله ، لأن النوم لا يفارق الإنسان فيلزم من نفيه فى حالة نفيُ تلك الحالة . ويحتمل هذين المعنيين قول بشار : أعاذل لا أنام على اقتسار ... البيت السابق فى قافية الراء . وقد أغفلنا شرحه هناك فارجع إليه . ورواه فى المختار وفى نهاية الأرب : على دِمْنَةٍ ، والدمنة ، بكسر الدال : الحقد ، أى يشفى غليله سريعاً قبل أن ينام ، فلا ينام وهو حاقد ، فكنى بهذا عن عدم التردد فى الأخذ بالثأر . ووقع فى ديوان المعانى « على رمقه » ولم يظهر له معنى ، فلعله تحريف دمنة التى فى رواية نهاية الأرب والمختار لقرب التحريف فى لفظه .

(٢) بشرت ، بفتح الباء وفتح الشين . وأراد بالطير هنا البخت واليمن على عادة العرب فى الزجر والعيافة ، والملك يقولون للمسافر : على الطائر الميمون ، وللمعرِّس : باليُمن والبركة ، وعلى خير طائر — كما فى حديث زفاف عائشة رضى الله عنها .

(٣) الرجم ، بفتح الجيم : القبر .

(٤) السراب ، تقدم بيانه فى تعاليق أواخر قافية اللام . وقوله : عند كم ، هذا البيت انفرد به كتاب عيون الأخبار ووضع مصحح دار الكتب على الميم علامة الشد ، ولم يظهر له معنى ، فلعله تحريف وصوابه : عند لَمّ ، باللام وتشديد الميم ، أى عند نزول به ، يقال : لم بالمكان ، مثل ألمّ .

* وأنشد له فى المحاضرات صفحة ٢٨٠ جزء ١ ولعله من أبيات القصيدة التى قبله :

يَطُوفُ العُـــفَاةُ بأبوابه   كطَوْف الحجيج ببيتِ الحرَم

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٥ جزء ٣ وهو طالع قصيدة(١) :

أَبَى طَلَلٌ بالجِزْعِ أنْ يتكلما   ومَاذَا عَلَيْه لو أَجَابَ مُتَيَّمَا(٢)

وبالفَرْعِ آثارٌ بَقِينَ وباللِّوَى   مَلَاعِبُ لا يُعْرَفْنَ إلا تَوَهُّمَا(٣)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣١ جزء ٣ وفى العمدة صفحة ١١٥ جزء ٢

---

(١) ذكرها فى الأغانى فى ترجمة القطامى . وهذان البيتان طالع قصيدة . قال فى الأغانى عن على بن يحيى المنجم : سمعت من لا أحصى من الرواة يقولون : أحسنُ الناس ابتداءً قصيدٍ فى الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول : « ألا عِمْ صباحا أيها الطلل البالى » ، وحيث يقول : « قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل » . وفى الإسلاميين القطامى حيث يقول : « إنَّا محيوك فاسْلَمْ أيها الطلل » . وفى المُحدثين بشار حيث يقول : « أبَى طلل بالجزع . البيتين » وقال ابن رشيق فى العمدة : هو عندهم أفضل ابتداء صنعة محدث ، وقد تقدم ذلك فى المقدمة لشرح الديوان .

(٢) الجزع ، بكسر الجيم : منقطع الوادى ، وأطلق على محلة القوم لأنهم يختارون البقاع التى تنتابها المياه ، قال أبو عبيدة : هو بالكسر وحقه الفتح ، وكأنه يعنى أن أصله مصدر جزع إذا قطع . قال زهير : « ظهرن من السوبان ثم جَزَعْنَهُ » البيت . أى قطعنه . وقال النابغة : « فأمل الجِزع للحى المُبِينِ » . وهذا المعنى إعراب عن الوله والتحير فى الشوق إلى الأحبة حتى يطمع أن تتكلم آثارهم ، وهو معنى قديم فى الشعر العربى . قال لبيد :

فوقفتُ أسألها وكيفَ سؤالنا   صُمًّا خَوَالِدَ ما يُبِينُ كَلَامُهَا

(٣) الفرع : مجرى الماء إلى الشعب ، وهو المناسب للجزع . والآثار : آثار القوم حول الماء من خَلَق الأثنان أو محابس السيول . واللوى ، بكسر اللام : مستدق الرمل . والملاعب : جمع ملعب ، وهو ساحة حول الحِلَّة يلعب فيها الصبيان والشبان ويمرحون فيكون رملها معبداً من كثرة ما تدوسه الأرجل . والتوهم : الظن المشوب بتأمل . وقوله : آثار بقين ، فى رواية : آثارٌ لهند ، ولعل كلمة لهند تحريف يقيين ، أو هو من سهو بعض من أنشدَه .

وفى المختار صفحة ١٦٣ ، ولعلها من القصيدة التى أولها « أبى طلل بالجزع أن يتكلما » للذكور بيتاها الأولان قبلها :

إذَا ما غَضِبْنَا غَضْبَةً مُضَرِيَّةً ... هَتَكْنَا حِجَابَ الشمسِ أوْ تُمْطِرَ الدَّمَا (١)

إذَا ما أعَرْنَا سَيِّدًا من قَبِيلَةٍ ... ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى علَيْنا وسَلَّمَا (٢)

وإنَّا لَقَوْمٌ ما تَزَالُ جِيَادُنَا ... تُسَاوِرُ مَلْكًا أو تُنَاهِبُ مَغْنَمَا (٣)

(١) قصد الفخر بمضر لأنه مولى عقيل وهم من المضرية ، وقد أبعد فى الفخر لأنه لم يخرج عن هذه المفخرة إلا القبائل الراجعة إلى ربيعة وأنمار وإياد والقبائل القحطانية ، وهذا كقوله الآتى فى حرف النون :

أمِثْــلُ بنى مضر وائِلٌ ... فَقَــدْتُكَ من فَاخِرٍ ما أجَنّْ

قيل هذا أفخر بيت قاله العرب ، وقد مر ذلك فى المقدمة . وهتك الحجاب ، استعارة مكنية ، شبه الشمس بمخدَّرة ، وهتكُ الحجاب سيبَاؤها على عادة غارات العرب فى الجاهلية إذ يَسْبُون ويَغْنَمون ، أى بلغْنا فى طلب من نغضب عليه مبالغةً لا يبلغها غيرنا ، فلو كان أعداؤنا فى الشمس أغرنا عليهم وسبينا الشمس منهم ، وهذه مبالغة قوية . وذكر ابن مكرم فى لسان العرب فى مادة ح ج ب عن الأزهرى نسبة هذا البيت للمتنبى ، وهو غريب إذ قد أجمع أئمة الأدب على أنه لبشار . وذكر فى العمدة أنه يروى « هتكنا سماء الله » وهو سمج . وقوله : أو تمطر ، فى رواية أو تقطر ، والدما : يجوز فتح داله على الإفراد وكسرها على أنه جمع دم ، وقصير للضرورة .

(٢) يريد أن مضر قرابة الرسول صلى الله عليه وسلم . فإذا خطب الخطيب فى الإسلام وصلى على الرسول وعلى آله كانوا من جملة آله ، أى لأنهم تجمعهم بالنبى قرابة الجد الأعلى وهو مضر . وهذا مبالغة من بشار ، وإلا فإن الحق أن آل النبى المعنيين بالصلاة عليهم مع الصلاة عليه هم أزواجه وذريته ، كما دل عليه حديث أبى حميد الساعدى ، أنهم قالوا : يارسول الله ، كيف نصلى عليك ؟ قال : قولوا : اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم . . . الحديث . وهو يبين الإجمال الذى فى حديث كعب بن عجرة أن النبى قال : قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد . وقيل إن آل النبى من تحرم عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم خاصة عند مالك وأبى حنيفة . أو بنو هاشم وبنو المطلب عند الشافعى . والذرى ، بضم الذال : جمع ذروة ، وأصلها سنام البعير ، ثم أطلقت على أعلا الشىء . والإعارة أراد بها ولاية الإمارة ، وجعلها إعارة لأن الولاة والأمراء نواب الخليفة ، والخليفة شرطه أن يكون قرشيا ، وقريش من مضر . وأسند الإعارة إلى ضمير قومه افتخاراً بمفاخر قريش الذين هم من شعب مضر .

(٣) هذا البيت انفرد به المختار . والمساورة : المواثبة . ويجوز فى قوله : ملكا ، ضم الميم ، أى أهل ملك ، ويجوز فتح الميم على أن يكون إسكان اللام إسكان تخفيف ، أى تنازع وتعلو على الملوك .

خَلَقْنَا سَمَاءً فَوْقَنَا بِنُجُـــومِهَا   سُيوفًا ونَقْعًا يَقْبِضُ الطَّرْفَ أَقْتَمَا(١)

ولعل هذا البيت أيضاً من تلك القصيدة .

• وأنشد له فى المجموعة ورقة ٤١ :

ومَحْبِسِ يومٍ جَرَّتِ الحربُ ضَنْكَهُ   دَنَا ظِلُّـــهُ واحْمَرَّ حتى تَحَمَّمَا(٢)

ولعل هذا البيت من تلك القصيدة .

• وأنشد له فى المختار صفحة ٣٦ :

تَفَوَّقْتُ أخلاقَ الصِّبا وتَقَدَّمَتْ   هُمُومِىَ حتَّى لم أجِدْ مُتَقَدَّمَا(٣)

---

(١) التعبير بالخلق بمعنى الإيجاد ، مجاز من فعل السبب وهو ركض الخيل ضرب السيوف . والتعبير بالخلق سوء أدب فى الإسلام لأن الخَلْق بمعنى الإيجاد ، يختص بفعل الله تعالى فى عرف الإسلام . قال تعالى : الله خالق كل شىء . وذلك معروف حتى من عصر الجاهلية . قال تعالى : ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون . وأما قوله تعالى : وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذنى – فإنما روعى أنه خَلْقٌ الله جرى على يد عيسى بقرينة قوله بإذنى . وأما خلق الكلام فهو الكذب يسند إلى الكاذب . قال تعالى : وتخلقون إفكا . ومنه اشتق الاختلاق . وقوله : سيوفا ونقعا ، تفصيل لقوله : سماء بنجومها ، على طريقة اللف والنشر المعكوس لظهور المقصود . ومعنى خلقنا : أوجدنا ، واستعماله فى كلام بشار من تساهله ، ولكل أمة آداب دينها . وأشار الواحدى إلى أن هذا المعنى أخذه المتنبى فى قوله :

يَزُورُ الأعادى فى سماءِ عَجاجةٍ   أسِنَّتُهُ فى جانِبَيْها الكَواكِبُ

قلت : وابتكار هذا المعنى لبشار فى قوله :

كأنَّ مُثَارَ النقعِ فوقَ رؤوسنا   وأسيافَنَا ليلٌ تَهَاوَى كَوَاكِبُه

(٢) المحبس ، بفتح الميم وكسر الموحدة : اسم مكان الحبس ، والمحبس الضيق ، أى مضيق كما دل عليه قوله : ضنكه ، من مضايق أيام الحرب ، كما سموا مكان الحرب مَأْقِطاً ، بمعنى المَضِيق لشدة الحرب ، وإطلاق المحبس هنا مجاز فى الشدة . والمراد باليوم يوم الحرب . قال السموأل : « وأيامُنا مشهورة فى عدونا » . وقال عمرو بن كُلْثُوم « وأيامٌ لنا غُرٌّ طِوَالٌ » . وأراد بالظل ظل الغبار ، أى تكاثف غباره حتى دنا من الناس وابتدأ أحمر ، ثم تلاحق بعضه ببعض حتى تحمم ، أى صار أحَمّ ، والأحم ، الموصوف بالحمة بضم الحاء وتشديد الميم وهاء تأنيث : السوادُ .

(٣) التفرق حقيقته شرب الفصيل لبَنَ أمه فَوَاقًا بعد فَوَاق ، والفواق بفتح الفاء –

* وأنشد ٤ فى شرح المختار صفحة ١٨٦ :

هذا أوَانَ اسْتَحْيَيْتُ النفسُ وأرعوى ... لِدَاتِي وراجعتُ الذى كان أقوَمَا(١)

— وتخفيف الواو : ما بين الحَلْبَتين ؛ فالتفوق أن يرضع الفصيل أمه فيما بين حلبتها ، أى ألا يحبس عنه ضرع أمه ، وبذلك يكون ريّان من اللبن . فمثّل بشار حالته فى أمور الصِّبا بحال الفصيل المتفوق فى أنه لم يُحَلْ عن الصبا . وكتب فى طبعة مختار المختار أخلاق ، بقاف فى آخره ، ولا معنى للأخلاق مع التفوق ، فالظاهر أنه تحريف أخلاف ، بفاء فى آخره . والأخلاف : جمع خِلْفَة بكسر الخاء ، وهى حَلَمَة ضرع الناقة . والصبا : العشق ، بكسر الصاد ، فإنه لما جعل تناوله لذات الصبا تفوقا أتبعه بأن أثبت لصبا أخلافا ، وليس المعنى على تشبيه الصبا بناقة دارّة . ومعنى تقدم الهموم ، زيادتها لأن الشيء الذى يتقدم يزيد فى خطاه إلى الأمام ، وضده يتأخر ، فإذا لم يزد ولم ينقص يقال وَقَفَ ؛ وقد جمعها أبو الشيص فى قوله :

وقَفَ الهوى بى حيثُ أنتِ فليس لى ... مُتَأَخَّرٌ عنه ولا مُتَقَدَّمُ

يعنى أنه بلغ غاية ما يبلغه ذو الهوى ، فكأنَّ الهوى كان سائراً به فوقف إذ ليس بعد مبلغه نقصان ولا زيادة . وبيت بشار أرشق معنى إذ قال « حتى لم أجد متقدماً » أى ولو كان مُتَقَدَّمٌ لتقدمتُ . وقد ذكر هذا المعنى بشار فى قوله :

ولقد جَرَيْتُ مع الصِّبا طَلَقَ الصبا ... ثم ارعَوَيْتُ فلم أجد لى مَرْكَضَا

والمراد بالهموم هموم الغرام ، وهى للذة لأهل الغرام . قال أبو الطيب :

والعشق كالمعشوق يعذُبُ قربه ... للمبتلَى وينال من حَوْبائه

لو قلتَ للدنف الحزين فَدَيْتُه ... مما به لأغرْتَه بفدائه

والمُتَقَدَّم : مكان التقدم ، لأن اسم المكان مازاد على الثلاثى يكون على صيغة اسم المفعول .

(١) أوانَ : خبر عن اسم الإشارة ، وهو مبنى على الفتح لإضافته إلى جملة ماضوية . والاستحياء ، مثل الحياء : مصدر استحيى ، مبالغة فى حَيِيَ إذا اعتراه الحياء ، وأراد أنه استحيى من الصبا لأجل الشيب لقوله « وارعوى لداتى » . ومثله قول عدى بن الرقاع :

لولا الحياء وأن رأسى قد عسا ... فيه المشيبُ لزرتُ أم القاسم

واللدات ، بكسر اللام وتخفيف الدال المهملة : جمع لِدَة ، وهو التِّرْب ، أى المقارب فى السن ، وتقدم تفصيله فى ٥ من ٤٥ صفحة ٢٢٤ جزء ١ . ومعنى الذى كان أقوما : الذى هو أكثر قياما ، من قام الأمر إذا اعتدل ، أى راجعت الحال التى هو أقوم ، أى أقرب العدل ، وكان الدلالة على أن قيامه متقرر ثابت .

ولعل هذا البيت والذى قبله من جملة الأبيات السابقة .

* وأنشد له فى زهر الآداب صفحة ٦ جزء ٢ ، ولعلهما من القصيدة التى أولها « أبى طلل بالجزع أن يتكلما » :

وبوم كتنُّور الإماء سَجَرْنَه ... وأوقدْنَ فيه الجزْل حتى تضرَّما (١)
رميت بنفسى فى أجيج سَمُومِه ... وبالعيس حتى بَضَّ مَنْخَرُها دَمَا (٢)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٦ جزء ٣ :

لم يَطُلْ ليــلى ولـكن لم أَنَمْ ... ونَفَى عنى الـكَرى طيفٌ أَلَمّ
وإذا قلتُ لها جُــودى لنَا ... خَرَجَتْ بالصَّمْتِ عن لا ونعم (٣)
نَفِّسى يا عَبْدَ عَــنِّى واعلَمِى ... أننى يا عَبْدَ من لَحْمٍ وَدَمْ
إنَّ فى بُرْدَىَّ جسمًا نَاحِلاً ... لو تَوَكَّأْتِ عليه لانْهَــدم
خَــتَمَ الحبُّ لها فى عُنُقِى ... مَوْضِــعَ الخاتَمِ من أهل الذِّمَمْ (٤)

---

(١) الجزل : الحطب الغليظ .

(٢) الأجيج : التهاب النار ، استعاره لحرارة السَّموم . وقوله : وبالعيس ، عطف على بنفسى . وبض : سال سيلانا قليلا . ودما : تمييز ، والأصل بض دمها . والسَّموم بفتح السين : الريح الشديدة الحرارة ووهج النار . قال تعالى : فمنَّ الله علينا ووقانا عذاب السموم . يعنى جهنم .

(٣) الصَّمْت ، بفتح الصاد : السكوت . أراد لزمت الصمت فلم تنطق بلا ولا بنعم ، وعدى خرجت بعن ، لأنه ضمن خرجت معنى تجاوزت ، أى خرجت من ضيق الجواب مجاوِزَةً قولَ لا وقولَ نعم ، فتركت لنفسها سعة فى الإجابة المطلوب وفى المنع منه . وقد أخذ هذا من قول جميل (الاقتضاب ص ٤٦٩) :

بُثَيْنَ الزَمى لا إنَّ لا إنْ لزمته ... على كثرة الواشين أىُّ مَعُونِ

وتصرف فيه بشار تصرفاً جميلا .

(٤) أراد أن الحب جعله دائباً على حبها لا يفارقه ، أو جعل له علامة على محبتها ، وهى ما يلوح عليه من دلائل الحب وشواهده من نحول وذبول طرف واصفرار وجه وغيره من —

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٩ وصفحة ٥٦ جزء ٣ فى أبى مسلم الخراسانى(١) :

— سيما أهل الغرام ، ومن شوق وحنين عند ابتعادها ، ومن خفقان قلب وتغير سحنة عند رؤيتها . وقد انفرد بشار من بين الشعراء بتشبيه هذه الحالة بحالة ملازمة الخواتيم لأهل الذمة ، وأشار إلى ما كان يجعل لأهل الذمة من خواتيم ليعرف بها أنهم من أهل الذمة فى أداء الجزية عند إبانها وفيما يؤدونه على تجارتهم فى بلاد الإسلام غير بلادهم من عشر أثمان ما يبيعونه من السلع ، وفى أداء ما على كل واحد من خراج الأرض إذا كان من أهل الخراج ، وهذه الخواتيم أحدثها عمر بن الخطاب رضى الله عنه على أهل سواد العراق . قال أبو عبيد القاسم بن سلام فى كتاب الأموال والقاضى أبو يوسف صاحب أبى حنيفة فى كتاب الخراج : أرسل عمر حذيفة بن اليمان وعثمان بن حُنيف فقلجا الأرض على أهل السواد بالجزية وأمرّ أمراء الأجناد أن يختموا رقاب أهل الذمة على كل بالغ ، فختم على خمسمائة ألف علج على ثلاث طبقات : ثمانية وأربعين ، وأربعة وعشرين ، واثنى عشر . أى دراهم .

وتختم رقابهم فى وقت الجباية حتى يفرغ من عرضهم . ثم حسب حذيفة وعثمان بن حنيف أهل كل قرية وما عليهم وقال لدهقان كل قرية : « على قريتك كذا وكذا فاذهبوا فتوزّعوها بينكم » . وقال من لم يأتنا فنختم على رقبته فقد برئت منه الذمة ، أى لم يكن له الحق فى الذب عنه فيصير كالحربى (وكانوا أول ما افتُضحوا خائفين ، أى من القتل والاعتداء) ، فحُشدوا وختمت أعناقهم . وبعد ذلك من سأل كَسْر خاتمه كُسر ، أى بعد أداء ما عليهم أو بعد تقبل كل دهقان يتعهد أداء ما على أهل قريته من جزية أو خراج . هذا حاصل أقوال أهل العلم فى ذلك . ويظهر أن أهل الذمة كانوا يرغبون فى إبقاء تلك الخواتيم على رقابهم لتكون شاهداً على ما يترتب لهم من حقوق على الخلافة من واجبات الذمة التى أوصى بها النبى صلى الله عليه وسلم ، فلذلك كانت لا تفارقهم ، ومن ثم صح التشبيه بحالتها فى لزوم الشىء لمن يلزمه . وكانوا فى بعض الأزمان يجعلون هذه الخواتيم فى الأيدى ، فقد قال ابن الأثير فى الكامل عند ذكر دخول الحجاج المدينة بعد مقتل ابن الزبير : « وختم على أيدى جماعة من الصحابة بالرصاص استخفافاً بهم كما يفعل بأهل الذمة » اهـ . وقول بشار موضع الخاتم منصوب على ظرف المكان ، ومفعول ختم محذوف دل عليه فعله ، أى ختم لها ختماً فى موضع الخاتم . والتشبيه تمثيل . شبه حالة الحب المعقولة بحالة الأسير المحسوسة على طريق الاستعارة التمثيلية . والحاصل أن هذه الخواتيم جعلت علامة لفائدة أهل الذمة كيلا يتهموا فى دعوام أنهم من أهل الذمة ولفائدة بيت المال ليتميز من هو برىء من الجزية ومن لم يدفع ما عليه . وفى حديث الشفاعة « فيُخرج الله أقواماً من النار فيجعل فى رقابهم الخواتيم ، فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الرحمن » . فلعل العتقاء كانوا يجعلون لهم خواتم فى رقابهم . وقد ذكر الفقهاء الختم فى أعناق العبيد خشية الإباق ، وصورته أن يجعل فى عنق العبد شراك ويفرغ على موضع يجمع طرفيه برصاص أو نحاس ثم يختم عليه بختم القاضى .

(١) ذكر أبو الفرج فى كتاب الأغانى أن بشاراً دخل على إبراهيم بن عبد الله بن حسن —

= فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور ويشير على إبراهيم برأى يستعمله فى أمره ، فلما قتل إبراهيم خاف بشار فقلب الكنية وأظهر أنه كان قالها فى أبى مسلم الخراسانى وحذف منها أبياتا ا هـ .

أشار أبو الفرج إلى قضية خروج محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن بن حسن بن على ابن أبى طالب ، وكان سببها أن المنصور كان بمكة أيام اضطراب أمر مروان بن الحكم ، وكان يظهر لآل على أنه إنما يطلب الخلافة لهم وزعم محمد بن عبد الله بن الحسن أن المنصور بايعه فى محضر من بنى هاشم ليلة تشاوروا بمكة فيمن يعقدون له الخلافة ، ثم إنه لما تم الأمر لدعاة بنى العباس ، وبايعوا السفاح حج المنصور بالناس فى خلافة السفاح سنة ١٣٦ ، فلما كان بمكة حضر عنده جميع الهاشميين ولم يتخلف إلا محمد وإبراهيم ابنا عبد الله بن حسن فسأل عنهما فلم يعرف مقرهما ، فتوجس خيفة منهما لأنه يعلم أنه خاس بعهدهما . ثم استخلف المنصور آخر سنة ١٣٦ فلم يزل همه فى محمد وإبراهيم ، فألح على عبد الله بن الحسن فى إحضار ابنه محمد فجحده فبعث المنصور للبحث عن محمد فى ظاهر المدينة ، ثم حج المنصور سنة ١٤٠ وكان محمد وإبراهيم حينئذ متغيبين عن المدينة ، ثم بعث رياح بن عثمان أميراً على المدينة سنة ١٤٤ ليظفر بهما . وفى سنة ١٤٥ ظهر محمد بن عبد الله بالمدينة وأعلن الثورة على المنصور ، وكسر باب سجن المدينة فأخرج من به من الطالبيين وأنصارهم ، وأسروا عامل المدينة رياح بن عثمان ، وخطب محمد ابن عبد الله بالمسجد النبوى ، ويقال إن مالكا بن أنس كان من أنصار محمد ، وأنه أفتى الناس بأن لا تلزمهم بيعة أبى جعفر لأنهم بايعوا مكرهين . ودعا أهل مكة إلى طاعته ، وظهر أخوه إبراهيم بن محمد بالبصرة ، وكانت نهاية أمر محمد أن قتل فى رمضان سنة ١٤٥ بعد أن دام أمره نحواً من أربعة أشهر ، ثم قُتل أخوه إبراهيم فى ذى القعدة سنة ١٤٥ ، فكان نظم بشار هذه القصيدة فى مدة ظهور إبراهيم بن عبد الله بالبصرة بلد بشار وهو يحسب أن الأمر تم له ويغرى إبراهيم بأبى جعفر ويثبته على مقاومته ، وكان إبراهيم فى أمر عسير ، فلذلك أشار بشار عليه بالشورى وكان طالع القصيدة « أبا جعفر ما طول عيش بدائم » الخ ، ويخوفه بانقلاب الأعاجم عليه كما فتكوا بكسرى . وكان البيت الثانى عشر منها « فرم وزراً ينجيك يا ابن سلامة » ، وكان البيت الخامس عشر منها « من الفاطميين الدعاة... إلى قوله مثل ابن فاطم » ، فغير ذلك كله بما يصلح أن يقال لأبى مسلم . ولم يكن قتل أبى مسلم الخراسانى متأخراً عن ثورة محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم ، فإن أبا مسلم قتل سنة ١٣٧ ، فكان بشار يتظاهر بالطاعة للمنصور فى الغيبة من أوائل خلافته ، وغيَّر ما غيَّر فى هذه القصيدة قبل أن تشتهر روايتها . وكان الشعراء فيما أحسب قد يقولون الشعر ويُخفونه ، أو يقولونه بعد انقضاء الحوادث ويزعمون أنهم قالوه فى حين وقوعها ، وما أرى ميمية الفرزدق فى هشام بن عبد الملك وعلى زين العابدين إلا من هذا القبيل . وأبو مسلم الخراسانى هو إبراهيم ، ويلقب بحيَّكان بن عثمان بن يسار ، ينتسب إلى « بُزُرْجَمهر » ، ولد بأصبهان واتصل بالإمام إبراهيم بن محمد أخى السفاح والمنصور ، فسماه عبد الرحمان بن مسلم وكناه أبا مسلم ، وقيل كان عبداً لبعض أهل هراة فقدم مولاه على الإمام إبراهيم وهو معه ، فأعجب إبراهيمَ عقلُه فابتاعه من مولاه وأعتقه فهو من بطانة الإمام إبراهيم . ولما قوى أمره ادعى أنه من ولد سليط الذى هو ولد جارية =

أبا مُسلم ما طُولُ عَيْشٍ بِدَائِمٍ ولاَ سَالِمٌ عما قليلٍ بسالِمِ (١)
على الملِكِ الجبَّارِ يَقتحِمُ الرَّدَى ويَصْرَعُه فى المأزق المُتلاحمِ (٢)
كأنَّكَ لم تَسْمَع بقتل مُتَوَّجٍ عظيمٍ ولم تَسْمَع بفَتْكِ الأعَاجِمِ (٣)
تَقَسَّمَ كسرى رَهطُه بسيُوفهم وأمسَى أبو العباس أحلامَ نَائِمِ (٤)

= عبد الله بن عباس كان وقع عليها عبد من عبيد أهل المدينة ، فحملت بغلام استعبده عبد الله بن عباس وسماه سَليطا ، فلما شب وكان له اتصال بالوليد بن عبد الملك ادعى أنه ابن لعبد الله بن عباس ، وكان أبو مسلم من أكبر دعاة بنى العباس ، وقتله المنصور سنة ١٣٧ ، قال الجاحظ : «كان أبو مسلم جيد الألفاظ جيد المعانى ، وكانت له لثغة ، فكان يحول القاف كافاً » . وهذا يدل على أن بشاراً لم يتصل بالمنصور إلا بعد موت إبراهيم بن عبد الله بن الحسن القائم بالبصرة . وذكر أبو هلال العسكرى عن أبى عبيدة أنه قال : « ميمية بشار خير من ميمية الفرزدق وميمية جرير » . قلت للفرزدق ميميات كثيرة فى هذا البحر والقافية ، ولعله عنى بها الميمية التى فى هجاء جرير أولها :

يرد جريرٌ اللؤم لو كان عانيا ولم يدن من زأْر الأسود الضراغم

ولجرير ميميتان إحداهما التى أولها : « لا خير فى مستعجلات الملاوم » والأخرى أولها « ألا حىِّ ربع المنزل المتقادم » وكلتاهما جواب للفرزدق .

(١) قالوا كان أول القصيدة « أبا جعفر ما طول عيش » الخ .

(٢) المأزق : المضيق ، وغلب إطلاقه على الموضع الذى تشتد فيه الحرب ، فإطلاق المأزق عليه مجاز . والمتلاحم مشتق من تلاحم الجيشين وهو شدة القتل فيهما . والوقعة حينئذ تسمى الملحمة .

(٣) الظاهر أنه يريد فتك العرب بالعجم ، فيكون المصدر مضافاً إلى مفعوله ، وهذا هو المناسب لكونه يخاطب أبا مسلم . فأما حين كان جعلها لخطاب أبى جعفر ، فالمناسب إضافة المصدر إلى فاعله ، أى لا نميز بالعجم فإنهم أهل فتك .

(٤) أبو العباس : قال فى الأغانى هو الوليد بن يزيد ، يعنى ابن عبد الملك بن مروان أحد خلفاء بنى أمية ، كان يكنى أبا العباس ، ولد سنة ٩١ وبويع بالخلافة فى ربيع الثانى سنة ١٢٥ ، وقتل فى جمادى الآخرة سنة ١٢٦ ، كان من فتيان بنى أمية وظرفائهم وشجعانهم وأجوادهم ، شاعراً رقيقاً ، وكان منهمكا فى اللهو والشراب ، وأخباره فى ذلك كثيرة ، والمظنون أن فيها مبالغات واختلاقات ، وأن مثارها ما نشأ له من عداوة مع آل بيته سليمان بن هشام ، وعثمان ابن الوليد ، ويزيد بن هشام الأفقم ، وروح بن الوليد ، وأخذ البيعة لابنيه الحكم وعثمان وهما صغيران ، فحنق عليه بنو أمية فأرجفوا عليه بالكفر والفسق حتى ثوّروا عليه قواد مملكته فاغتالوه فى داره .

وقد كان لا يَخشى انقلابَ مَكيدَةٍ عليه ولا جَرْىَ النُّحُوس الأشائم(١)

---

(١) انقلاب المكيدة : إصابتها لمن يكاد بها ، لأن المكيدة عمل له ظاهر يغُرّ وباطن يَضُرّ ، فإذا انخدع لها المكاد فكأن باطنها أصابه . والمعنى أنه كان يغره حسن ظاهر أعدائه ولا يتوقى سوء باطنهم بعد أن كان يبدو له ظاهرُها ، فشبهت تلك الحالة بحالة قلب الترس ونحوه ظَهْراً لبَطْن . ومنه قولهم « قلّبَ له ظَهْرَ المِجَنّ » ، وقوله : ولا جرى النحوس ، إشارة إلى أن أهل الزجر والعيافة يتشاءمون بمرور الطير والوحش عن يسار المسافر ، ويتفاءلون بمرورها عن يمينه . قال المرقش :

ولقد غدوتُ وكنتُ لا أغدو على وَاقٍ وحاتِمْ

فإذا الأشائم كالأيا مِن والأيامن كالأشائم

(الواق من أسماء الصرد ، والحاتم من أعلام جنس الغراب) ، والأشائم : جمع : شائمة اسم فاعل من شأم ، مخفف أشأم ، أى واردة من جهة اليسار وهى جهة الشام ، لأن الركن الأيسر للكعبة هو الركن الشامى ، وعكسها الأيامن ، جمع يامنة ، وأصلهما مُشْئِمة ومُؤْمنة فصيغ لهما اسم فاعل الثلاثى تخفيفاً ، مثل حَكيم بمعنى مُحْكَم . وفى قوله : جرْى ، تورية ، لأن الجرى يطلق على حدوث الحوادث . يقولون مجارى الأمور . وتقدم ذكر المواقع فى جزء ٣ . والمعنى أن الوليدَ لا يخشى صروف الدهر ، والنحوس جمع نحس بفتح النون ، وسكون الحاء ، وهو مصادفة المرء أحوالا شديدة السوء ومضرة على خلاف ما كان استعد له وما يجرى فى معتاده ، قال تعالى : « فأرسلنا عليهم ريحاً صرصرا فى أيام نحسات » . ولغلبة خفاء أسباب النحس أو لكونها أسباباً كونية علوية توهم العرب النَّحْس قوة خفية تعترض المرء ولا تزال تكيد له حتى توقعه ، ويسمونه أيضاً شُؤْماً ، وضد تلك الحالة فى الخير تسمى سَعْداً وبخْتاً وحَظّا ويُمنا ، فكانوا يتوهمون أن أحدهما إذا اتصل بالمرء تعطلت أسباب سعيه ولم تغن حيله فى التخلص من النحس ، ولا حِيَلُ أضداده ومنافسيه فى سلب السعد والحظ عنه ، وقد فند الإسلام ذلك ، ولكن المسلمين لم يُقلع ذلك الاعتقاد من نفوسهم ، وطالما كان سبباً فى نكباتهم وانحطاطهم ، ومن أعجب ما لهم فيه قول القاضى الفاضل مع علمه ورجاحة عقله فى غير ذلك فقال :

وإذا السعادةُ لاحظَتْكَ عيونها نَمْ فالمخاوف كلّهن أمانُ

واصطد بها العَنْقاء فهى حبائل واقْتَدْ بها الجوزاء فهى عنانُ

وأعجب منه قول المعرى على علمه وشكه :

لا تَطْلُبَنّ بآلةٍ لكَ رُتْبَةً قَلَمُ البليغ بغَيْرِ حَظٍّ مِغْزَلُ

سَكَنَ السِّماكان السَّماءَ كلاهما هذا له رُمْحٌ وهذا أعْزَلُ —

مُقيما على اللذات حــتى بَدَتْ له ‏ وجوهُ المنايا حَاسِرَاتِ العَمَائِم (١)

وقَد تَرِد الأيامُ غُــرّا وربمـا ‏ ورَدْنَ كُلُوحاً باديَاتِ الشّـكائم (٢)

ومَرْوانُ قد دارت على رأسه الرّحَى ‏ وكان لِما أجْرَمْتَ نَزْرَ الجرائِمِ (٣)

فأصبحتَ تجرى سادِراً فى طريقهم ‏ ولا تتقى أشـباه تلك النّقائِمِ (٤)

تَجردتَ للإسلام تَعفُو سَـبيله ‏ وتُعْرِى مَطَاهُ لِلّيُوثِ الضّرَاغِمِ (٥)

فما زلتَ حتى استنصر الدينُ أهلَه ‏ عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم

فرم وزَرًا يُنجيك يا ابن وَشِيكَةٍ ‏ فلَسْتَ بناجٍ من مُضِيمٍ وضائِمِ (٦)

لَحَى اللهُ قَوْما رَأّسوك عليهمُ ‏ وما زِلْتَ مَرْؤوساً خَبيثَ المَطَاعِمِ (٧)

= وعلى ذلك بنى بشار قوله :

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة ‏ عليه ولا جَــرْىَ النحوس الأشائم

يريد أن أبا العباس كان مغروراً بأوهام السعد والبخت .

(١) حَسَــرَ العمامة : كشفها ، وهو كناية عن لبس شكة الحرب . قال سحيم « متى أضع العمامة تعرفونى » أى بدت له وجوه المنايا قاتلات .

(٢) شَبّه أيام الإقبال والسرور بأفراس غر الوجوه ، أى فيها غرر ، وهى من محاسن الخيل ، وأيام البؤس بأفراس كوالحَ شاسات . وباديات معناه بعيدات الشكائم ، أى نازعات شكائمها ، والشكائم : جمع شكيمة ، وهى الحديدة التى تجعل فى فم الفرس ، وكلوح : جمع كالح ، مثل قعود .

(٣) أراد بالرحى : رحى الحرب ، ومعنى دارت على رأسه أنه انهزم ، فكانت الدائرة عليه ، يقال دارت عليه الدوائر .

(٤) السادر : الذى لا يهتم بما صنع .

(٥) المطا : الظهر ، شبه الإسلام بدابة أهلها صاحبها ، فأكل الأسود ظهرها .

(٦) وشيكة : أم أبى مسلم فيما زعموا ، وكان أصل البيت يا ابن سلامة ، وسلامة أم أبى جعفر المنصور ، وهى أم ولد من سبى المغرب . قيل هى نفزية وقيل صنهاجية ، قاله ابن حزم فى جمهرة الأنساب .

(٧) أى سيء الفعال ، وعبر عنها بالمطاعم من حيث إنها يختبر بها صاحبها ويجرب .

أقولُ لبَسَّامٍ عليه جَــــلالَةٌ غدَا أرْيَحِيًّا عَاشِقًا لِلمَكَارِمِ (١)
من الهاشميينَ الدُّعَاةِ إلى الهُدى جِهاراً ومن يَهْدِيكَ مثلُ ابنِ هَاشِمِ (٢)
سِرَاجٌ لِعَيْنِ المُسْتَضِيءِ وتارةً يكون ظَلاما للعَدُوِّ المُزاحِمِ
إذا بلغَ الرَّأْيُ المشورة فاسْتَعِن بِرَأْيِ نَصِيحٍ أو نَصِيحَةِ حَازِمِ (٣)

---

(١) أريحى يهتز للمعروف . وتقدم فى ٤ من ١١٠ .

(٢) كان أصل هذا البيت « من الفاطميين » و« مثل ابن فاطم » فغيرهما بشار حين صيرها فى مدح أبى جعفر إلى الهاشميين وابن هاشم . وقوله ابن فاطم : أراد ابن فاطمة رضى الله عنها ، وفى هذا التعبير نكتة شيعية لأن طائفة من الشيعة الملقبة بالخمسة يقولون إن النبى وابنته وعليًّا والحسن والحسين كالذات الواحدة والروح المجزأة ، فلهم روح واحدة ، وإن فاطمة امرأة فى الظاهر وهى رجل فى نفس الأمر ، ويسمونها فاطما بدون هاء تأنيث . قال شاعرهم :

توليت بعـد الله فى الدين خمسةً نبيًّا وسبطيْه وشـيخاً وفاطمـا

ذكر ذلك البلوى فى كتاب ألف باء ، عن ابن السيد ، ويحتمل أن يكون بشار أراد ترخيم فاطمة فى غير النداء للضرورة . وقال فى الأغانى إن هذا البيت حذفه بشار .

(٣) هذا مقول القول الذى فى البيت السابق . ذكر ابن عبد البر فى بهجة المجالس أن قوله : إذا بلغ الرأى المشورة ، والبيتين بعده ، تنسب إلى عنترة وإلى العجاج الأسدى اهـ . ولعل من نسبها إلى أحد هذين قد توهم ، إذْ قد أجمع الأدباء أنها لبشار . وفى الأغانى قال الأصمعى : قلت لبشار إن الناس يعجبون لأبياتك فى المَشُورَة ، فقال لى : « يا أبا سعيد إن المُشَاوِرَ بين صوابٍ يفوزُ بثَمَرَتِه أو خطَأٍ يُشَارَكُ فى مَكْرُوهِه » . فقلت له : أنتَ والله فى قولك هذا أشعرُ منك فى شِعْرِك . ومعنى بلغ الرأى المشورة : عرض له من الأشكال ما يدعو إلى المشورة ، فهذا كلام فى غاية الإيجاز ، حيث تضمن الأمر عند المعضلات بالمشورة فى سياق بيان شروطها . والمشورة بفتح الميم وضم الشين ، وأما إسكان الشين وفتح الواو فلحن ، ولعل بشارا يشير إلى مشاورة المنصور إسحاق بن مسلم العقيلى ، فإن الجاحظ ذكر فى البيان أن المنصور لما هم بقتل أبى مسلم سَقَطَ بين الاستبداد برأيه والمشاورَة فيه ، فأَرِقَ فى ذلك ليله ، فلما أصبح دعا بإسحاق فقال له : حدثنى حديث الملك الذى أخبرتنى عنه بِحَرَّانَ إلى آخر القصة ، وهى قصة قَتْلِ سابور ملكِ الفُرْسِ وزيراً من وزرائه حَذَراً من شَرِّه . وهى قصة تشبه صفة قتل أبى مسلم ، وأن المنصور استدعى أبا مسلم عقب ذلك وأمر بقتله ، قال : فكان إسحاق إذا رأى المنصور قال :

وما ضَرَبُوا لك الأمثال إلا لتَحْذُرَ إنْ حَذِرْتَ على مِثَالِ —

ولا تجعلِ الشُّورى عليكَ غضاضةً ... مكانُ الخَوافي قوَّةٌ للقوادمِ (١)

وما خيرُ كفٍّ أمسكَ الغُلّ أختَها ... وما خيرُ سيفٍ لم يؤيَّدْ بقائمِ (٢)

وخَلِّ الهُوَيْنا للضعيفِ ولا تكنْ ... نَؤوماً فإنَّ الحزمَ ليس بنائمِ (٣)

وحارِبْ إذا لم تُعطَ إلّا ظُلامةً ... شَبا الحربِ خيرٌ من قبولِ المظالمِ (٤)

وأدْنِ على القُربى المُقرِّبَ نفسَه ... ولا تُشهِدِ الشُّورى امرءاً غيرَ كاتمِ (٥)

فإنّكَ لا تَستطرِدُ الهمَّ بالمُنى ... ولا تَبلُغُ العَلْيا بغيرِ المكارمِ (٦)

إذا كنتَ فَرْداً هرَّكَ القومُ مُقبِلاً ... وإن كنتَ أدنى لم تفُزْ بالعزائمِ (٧)

= وكان المنصور إذا رآه قال :

وخلَّفَها سابورُ للناسِ يُحتذَى ... بأمثالها في المُعضِلاتِ العظائمِ

ولعل المنصور نظم هذا البيت على مثال أبيات بشار .

(١) في الأغاني « فإن الخوافي » ولا يصح ، لأنه يقتضي ترك فتحة الإعراب وهو لحن . ورواه في المختار « قَريشُ الخوافي » . وروى في نهاية الأرب « ولا تَحسِبِ الشورى » .

(٢) قائم السيف : ما تشد عليه اليد ، وهو المقبض الذي تضم عليه الأصابع . والغُلّ ، بضم الغين : القيد .

(٣) لما أشار عليه بترك الهوينا ، وهي التهاون بالأمور المهمة ، جعلها من شأن الضعيف ، آ الضعيف الرأي ، وكأنّ حاصل ذلك أنه يأمره بالحزم ، فلذلك فرع عليه قوله : فإن الحزم ليس بنائم ، فشبه الحزم بشخص يقظان على طريقة المكنية ، وأثبت للحزم ما هو من لوازم الإنسان ، وهو نفي النوم .

(٤) الظاهر أن هذا البيت قد غفل بشار عن حذفه ، وهو من مناسبة تحريض محمد وإبراهيم على حرب المنصور . وأراد بالظلامة منع المنصور إياهما من الخلافة بعد أن كان عهد بها أخوه السفاح إليهما بمكة . والظلامة ، بضم الظاء : ما يظلم به ، وهي فعلة مبنية من الظلم . والشبا ، بالفتح جمع شباة ، وهي طرف السيف .

(٥) في المختار « وأدنِ إلى الشورى الكَتُومَ لسِرِّه » .

(٦) العليا : بفتح العين وبالمد اسم للعلو وقَصَره للضرورة .

(٧) هرك : نبحك ، شبههم بكلاب يستضعفون المنفرد ، وهذا تحريض على اتخاذ البطانة وأهل العصبية .

وما قَرَعَ الأقْوامَ مِثْلُ مُشَيَّعٍ ... أريبٍ ولا جَلَّى العَمَى مثلُ عَالِمِ (١)

وأنشد له فى الأغانى فى هجاء رَوْح بن حاتم صفحة ٥٧ جزء ٣ :

تَوَعَّدَنى أبو خَلَفٍ ... وعن أوْتاره نَامَا (٢)

بسَيْفٍ لأبى صُفْرَ ... ةَ لا يقطع إبْهاما (٣)

كأنَّ الوَرْسَ يَعْلُوه ... إذا ما صَدْرُه قَامَا (٤)

---

(١) المشيع ، بفتح التحتية : الشجاع المقدام ، تقدم فى صفحة ٢١١ جزء ١ وفى صفحة ١٤٩ جزء ٢ .

(٢) أبو خلف كنية روح ، وكان قد توعد بشاراً حين بلغه أنه يهجوه فقال : كل مالى صدقة إن وقعتْ عينى على بشار لأضربنه بالسيف ولو أنه بين يدى الخليفة ؛ فبلغ ذلك بشاراً فقام من فوره حتى دخل على المهدى فقال له : ما جاء بك فى هذا الوقت ؟ فأخبره بقصة روح وعاذ به منه ، فقال المهدى : يا نصير ، وجِّهْ إلى روح من يُحْضِره الساعةَ . فأرسل إليه ، فقال : ياروح إنى بعثتُ إليك فى حاجة ، فقال روح : أنا عبدك يا أمير المؤمنين ، فقل ما شئتَ سوى بشار ، فإنى حلفت فى أمره يمينَ غموسٍ ، قال : قد علمتُ وإياه أردتُ . قال روح : فاحْتَلْ ليمينى يا أمير المؤمنين ، فأحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعُرْض السيف ، وكان بشار وراء الخَيْش (الخيش بخاء معجمة مفتوحة وتحتية ساكنة : ثوب من أغلظ العصْبِ ، أراد به الستار) فأخرج وأقعد وضربه روْح ضربةً بعُرْض سيفه . وقوله : وعن أوتاره ناما : كناية عن كون توعده إياه بدون جرم اجترمه ، وزاد بأنه نام ، أى غفل عن أوتاره ، أى من الذين أصابوا دماء أهله ووتروه أو أصابوا اعتداء عليه .

(٣) روح من ذرية أبى صفرة كما تقدم فى صفحة ٣٣٢ من الجزء الأول ، فهو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة . وأبو صفرة ، بضم الصاد وسكون الفاء ، هو ظالم ابن سرَّاق الأزدى ، يكنى أبا صُفرة وهو من أزْد دَبَا من بلاد عُمان ، كان قد أسلم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم ولم يره ، وكان قومه ارتدوا عامَ الردة ، وقاتلهم أبو بكر وهزمهم جيش المسلمين ، وبعث قائدُ الجيش بسبى منهم إلى أبى بكر فيهم أبو صفرة وهو غلام . قاله الواقدى . فأعتقهم أبو بكر وقال : اذهبوا حيث شئتم ، فكان أبو صفرة ممن نزل البصرة . وقال ابن قتيبة إنه إنما وفد على عُمر ، وكان شيخاً أبيض الرأس واللحية . والمهلب بن أبى صفرة هو أصغر أولاده ، ولد قبل وفاة النبى ببضع سنين ، ولم نقف على زمن وفاته .

(٤) شبه الصدأ الذى على حديدة السيف بالورس ، وهو بفتح الواو : نبت ينبت فى بلاد اليمن ، حب كالسمسم ، يُطلى به ، لونه كالزعفران ، شبه به صدأ السيف لعدم استعماله .

وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٦ جزء ٣ فى رثاء خمسة أصدقاء له هلكوا وفى سآمة العيش بعدهم[1] :

يابنَ موسى ماذا يقول الإمام فى فتاةٍ فى القلب منها أُوام[2]
بتُّ من حبها أُوقّر بالكا س ويَهْفو على فؤادى الهُيام[3]
وَيْحَها كاعباً تَدِلُّ بجَهْمٍ كَعْثَبِىٍّ كأنه حَمّام[4]
لم يَكُنْ بينَها وبينىَ إلا كُتُبُ العاشقين والأحْلام
يابنَ موسى اسقِنى ودَعْ عنكَ سَلْمى إنَّ سلمى حِمًى وفىَّ احتِشام[5]

---

(١) قال كان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة وبقى واحد يقال له البراء ، فركب فى زورق ليعبر دجلة العوراء فغرق ، فقال بشار : ما خير فى الدنيا بعدهم .

(٢) ماذا يقول الإمام يعنى المهدى ، إذكان قد نهاه عن التشبيب ، وابن موسى لعله كان مصاحبا له أو ساقياً يسقيه . والأوام بضم الهمزة : العطش .

(٣) أوقر : أى أهدأ من الاضطراب الحاصل من حبها ، حتى جعلوا شرب الخمر ترزيناً له لأنه ينسيه هم الغرام .

(٤) ويح : كلمة تعجب أصلها وَىْ ، وهو اسم فعل بمعنى العجب ، ثم يصلون تارة بوى حاء ، فيقولون وَيْحَ ، وتارة لاما ، فيقولون ويل ، وتارة سينا فيقولون ويس ، وتابعتها كلها ضمائر مناسبة من تكلم وخطاب وغيبة وتذكير وتأنيث . وانتصب كاعباً على التمييز لجهة التعجب كقولهم : لله دره فارسا ؛ وفى الحديث : ويله ، أو ويحه مِسْعَرَ حربٍ ، أى أتعجب من حسنها فى سن الكاعب . وتدل بفتح التاء وكسر الدال تبدى الدلال والدل ، وهو جرأة واستخفاف فى المعاملة اعتماداً على الحب . وتقدم فى ١٣ من ٦٦ . وفى ١ من الملحقات . والجهم : الغليظ الضخم . وكَعْثبى : بفتح الكاف ، بالغة فى كَعْثَب ، والكعثب بفتح الكاف وسكون العين المهملة وفتح المثلثة الثانى البارز ، وياء النسب تأتى للمبالغة فى الوصف . انظر البيت (س ٦٢ جزء ٢) وهذا كقول النابغة فى المتجردة امرأة النعمان بن المنذر :

وإذا لمست لمست أجثم جاثما متحيزاً بمكانه ملء اليد

والتشبيه بالحمّام فى شدة الحرارة . قال النابغة فى ذلك :

وَيَكاد يَنْزِع جِلْدَهُ من مَلّةٍ بلوافحٍ مثل السعير المُوقد

(٥) الاحتشام افتعال حَشَمه إذا أغضبه ، فالاحتشام الخجل والحياء ، والحِشمة بكسر الحاء : الحياء . نقله الجوهرى عن ابن الأعرابى ، وأنشد ابن برى لكُثَيِّر فى الاحتشام بمعنى الاستحياء :

—

رُبَّ كأسٍ كالسلسبيل تعللـــتُ بها والأنامُ عـنى نيام

حُبِسَتْ للشُّرَاةِ فى بيتِ رأسٍ عُتِّقَتْ فانْيًا عليها الخِتَام(١)

نفحتْ نفحةً فهزَّتْ نديمى بنسيمٍ وانشَقَّ عنها الزُّكَام(٢)

وكأنَّ للمَـــطُولَ منها إذا رَا حَ شَـــجٍ فى لسانه بِرْسَام(٣)

- إن متى لم يكن عطاؤهما عندى بما قد فعلت أحتشم

وقال الأصمعى : إنما الحشمة الغضب لا الاستحياء ، وتبعه ابن قتيبة فى أدب الكاتب . وفى الاقتضاب لابن السيد عن كتاب العين : الحشمة الانقباض عن أخيك فى المطعم وطلب الحاجة ، وأنشد لعنترة :

وأرى مغانم لو أشاء حويتها فيصدنى عنها كثيرُ تحشمى

وقد استعمله أبو الطيب فى قوله : « ضيفٌ ألمَّ برأسى غير محتشم » . وقول بشار : « إن سلمى حمى » أى شىء ممنوع ، وأنا ذو حياء لا أقدم عليها إقدام داعر ، فالأولى لى تركها . والحمى : ما يمنع من الأرض بما فيه من الكلأ .

(١) أى تركت زمانا طويلا حتى صارت معتقة وذلك للذين يشترونها ، وبيتُ رأسٍ : قريةٌ بالشام قرب حلب تجلب منها الخمرة الجيدة .

وانظر البيت ٣ من ١٣٦ صفحة ١٤٦ جزء ٢ . والشراة : جمع شار ، بمعنى مشتر ، وهو من استعمال فعل شَرَى ، قيل ومنــه قوله تعالى : « وشَرَوْه بثمن بخس » على أحد التفسيرين ، أى اشتروه ، أراد شراة الخمر ، أى شاربيها أو المتجرين فيها ، يجلبونها من بيت رأس ، وأراد بعانس أنها مرت عليها سنون ولم يفتح ختامها ، فهى عذراء مسنة .

(٢) النفحة ما يفوح من رائحة الطيب . والهزة : تحريك الساكن ، وأراد أنها أنشطته . والزُّكام بضم الزاى انتفاخ فى داخل الأنف من أثر البرودة يمنع الشم ويعسر معه التنفس ، فإذا استنشق المصاب به رائحة قوية انقبضت حلمة الأنف فاستراح صاحبه ، شبه بشار زوال الانتفاخ بشق شىء ملتئم ، وهذا كناية عن شدة رائحة هذه الخمر وإن لم يكن زُكام .

(٣) المطول الذى أعطى العلل بالتحريك ، وهو الشربة الثانية بعد شربة أولى . وراح وجد ريحها ، يقال راح يراح بفتح ياء المضارعة ، ويريح أيضا ، أى من شدة تخمرها إن شم رائحتها عند الشربة الثانية ، يسبق أثرُ وصولها إلى باطن الشارب فيغلبه السكر قبل أن يشربها ، وهذا من المبالغة ، ومنه أخذ الشاعر من شواهد البديع قوله :

أسكر بالأمس إن عزمت على الشرب غدا إن ذا من العجب

والشجى الذى أصابه الشجى بالقصر ، وهو من أسماء الأضداد للحزن والطرب ، والمراد هنا الثانى . والبرسام ، بكسر الموحدة : علة فى العقل يصحبها هذيان .

صَدَمَتْــه الشَّمول حتى بمينيـــه انكسارٌ وفى للَفَاصِل خَام(١)
وهو باقى الإطْرافِ حَيَّتْ به الكأْ سُ وماتَتْ أَوْصَاله والكَلَام(٢)
وفتًى يشرَب المدامةَ بالمـا ل ويمشِى يَرومُ مالا يُرام(٣)
أَنفَدَتْ كأسُــه الدنانيرَ حتى ذهبَ العَيْن واستمر السُّوَام(٤)
تَرَكتْــه الصَّهْبَاء يرنو بعين نامَ إنسانُها وليْسَتْ تَنَام(٥)
حَنَّ مِنْ شَرْبَةٍ تُعَلُّ بأُخرَى وبكَى حينَ سار فيـــه المُدام(٦)

---

(١) صدمته : ضربته ضرباً قوياً ، وهو مجاز . والشمول : الخمر . وخام ، هكذا ثبت فى نسخ الأغانى ، والظاهر أنه أراد به الجلد الذى لم يدبغ ، فهو يبقى مسترخياً ، فشبه عظام المفاصل من أثر السكر بالخام تشبيهاً بليغاً ، وأتى بفى للدلالة على عظام المفاصل الكائنة داخلها .

(٢) كتب فى المطبوعة الإطراق ، بقاف أخت القاف ، فيكون بكسر الهمزة مصدر أطرق ، إذا طابق بين جفنيه ، يعنى أنه يغمض جفنيه كمن يريد أن ينام ، وهو فى معنى قوله فى البيت الثالث بعده « تركته الصهباء » البيت . وكتب فى المخطوطة بموحدة فى آخره ، فهو بكسر الهمزة أيضاً ، والإطراب : الطرب والتغنى ، أى لم تبق منه إلا أصوات يرددها ملحنة ليس فيها ألفاظ لثقل لسانه عن الكلام . وهذا كقول حميد بن ثور فى هجاء رجل أكل كثيراً حتى ثقل لسانه :

فما زال عنه اللقم حتى كأنه من العى لما أن تكلم باقل

وحيت : أصله حييت فأدغم المثلين ، وهو مما يجوز فيه الإدغام والفك . والباء فى به مزيدة لتأكيد اللصوق ، أى بقى شرب الكأس علامة على أنه حى . وبين قوله حيت وماتت حسن الطباق .

(٣) فى المطبوعة يمشى بشين معجمة ، وفى المخطوطة بسين مهملة ، والمعنى صحيح على كليهما .

(٤) السوام ، بضم السين المهملة وفتح الواو مخففة : اسم مصدر ساومه ، والمعنى أنه أنفق جميع ماله فى الخمر ولم يزل يساوم فيها ليشتريها بالنسيئة .

(٥) أراد بإنسانها صاحبها ، فهو نائم فاتح عينيه . ويرنو : ينظر نظراً فاتراً ، ومصدره الرنو ، بضمتين .

(٦) كتب قوله حن ، بالحاء المهملة ، أى كان ابتداء أمره حنيناً ثم صار بكاء من فرط السكر وتذكر الحبيب . وفى رواية جن ، بالجيم مبنياً للمجهول ، وليس بمعنى شعرى ولا بمناسب لما بعده .

كانَ لى صَاحِباً فأوْدَى به الدهْـــر وفارقْتُه عليـــه السَّلَامُ(١)

بَقِىَ الناسُ بعدَ هُلْكِ نَدَامَا ىَ وُقُوعاً لم يَشْعُروا ما الـكلامُ(٢)

كجَزُورِ الأيْسَارِ لَا كَبِدٌ فيـــها لباغٍ ولا عليهـــا سَنَامُ(٣)

يابنَ مُوسَى فَقْدُ الحبيبِ عَلَى العَيْـــنِ قَذاةٌ وفى الفُؤادِ سَقَامُ(٤)

كيفَ يصفُو لىَ النعيم وَحِيـدًا والأخِـــلَّاء فى المقابرِ هَامُ(٥)

نَفِسَتْهم علىَّ أمُّ المَنَايَا فأنَامَتْهُمْ بعُنْفٍ فنَامُوا(٦)

---

(١) عليه السلام : تحية الموتى ، كما قال النبى صلى الله عليه وسلم للذى قال له عليك السلام : « ألم تعلم أن عليك السلام تحية الموتى ؟ فقل السلام عليكم » . وقد تقدم فى ص ١٠٥ من الجزء ١ من الشرح .

(٢) أى لم يستطيعوا الكلام كأنهم لا يحسنونه ولا يشعرون ما حقيقته . قال صاحب عاد فيما يزعم القُصَّاص :

فهىَ أرضٌ عاد إن عادا لأضحَوْا لا يُبِينون الكلامَا

ووقوعاً : جمع واقع ، أى ساقط ، قال : « عليه الطير ترقبه وقوعاً » ، والمعنى أنهم أدهشوا وأغمى عليهم لهذا الحادث العظيم .

(٣) جزور الأيسار : الناقة التى تجزر ليقطع لحمها بين أصحاب الميسر . والأيسار : جمع يَسَرٍ بفتحتين وهو المقامر ، انظر شرح البيت ١٠ من ورقة ٩٢ (ص ٣٦٨ جزء١٠) . شبه وقوع الناس فى دهشتهم لحدث موت أصدقائه بجزور الأيسار ساقطة على الأرض لا كبد لها ولا سنام ، وكانوا يشوون الكبد والسنام للشرب ، لأنهم يجمعون بين الميسر وشرب الخمر . وقد ورد فى خبر حمزة حين غنته قينة « ألا يا حمز للشرب النواء » فبقر بطنَىْ شارفَىْ على بن أبى طالب وأخذ كبديهما هو وشَرْبه قبل تحريم الخمر .

(٤) القذاة : دقيقة التبار وما يتطاير من مثل التبن فيقع فى العين فيؤلم صاحبها . والسقام ، بفتح السين : المرض ، ولعل أصل الكلمة فى هذا البيت « سهام » فتلك أحسن .

(٥) هام ، جمع هامة : وهى طائر خيالى من خرافات العرب يزعمونه تتقمص فيه روح القتيل ؛ وتقدمت فى صفحة ١٧٨ من الجزء الثالث . والعرب تقول لمن دنا أجله : هو هامة اليوم أو غد ، لأن غالب ريّاتهم رية القتل . وهذا إشارة من بشار إلى أن أصحابه قتلوا تقتيلا .

(٦) يقال « نَفِسَ عليه الشىءَ » من باب بَخِيل ومعناه ، وهو يتعدى إلى المبخول عليه والمبخول به ، بحرف الجر ، فإذا ضمنوه معنى منع عدوه إلى المبخول به كالمفعول كما فى هذا —

لَا يَغِيضُ انْسِجَامُ عينِي عليْهِمْ   إنما غايةُ الحزنِ السِّجَامُ(١)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٢ :

سَتَرى حَوْلَ سَرِيرِى   حُسَّرًا يَنْدُبْنَ لَطْمَا

= البيت . وأم المنايا : تخييل ، تخيل المنية أمًّا هى التى تولت إماتة أصحابه ، كما تخيل تأبط شرا النجوم أمًّا فى قوله :

يرى الوحشةَ الأنْسَ الأنيسَ ويهتدى   بحيث اهتدتْ أمُّ النجوم الشوابك

على أقْوَم التفاسير المرضية للتحارير ، لأنه شبه النجوم فى سيرها بأسراب الوحش وهى تمشى بهدى أمها ، وهى التى يسمونها هاديات ، قال امرؤ القيس « فألحقنا بالهاديات » وقريب منه أو هو إطلاقه قوله تعالى : « وعنده أم الكتاب » وتقدم فى صفحة ١٣٨ من الجزء الثالث . وأما قول أبى تمام وقد أهدى إلى الحسن بن وهب دواة من آبنوس :

قد بعثنا إليك أم المنايا   والمطايا زَنْجِيَّةَ الأحساب

فأراد أنها تصدر منها التواقيع بالقتل أو بالعطية ، فيجعل ذلك كالولادة وهو من غريب استعاراته . وقد أراد بشار أن الموت الذى أصاب أصدقائه فى غير إبانه لأن الموت رغب فيهم فحرمه من صحبتهم فأخذهم لنفسه بقوة ، أى بموت عاجل سريع ، والناس يتخيلون الموت يختار النفائس . ويقولون إنما يعجل الله بخياركم . وقال ابن النبيه :

والموتُ نَقَّادٌ على كَفّه   دَرَاهِم يختار منها الجياد

ومن قبلُ قال طرَفة :

أرى الموتَ يعتام الكرام ويصطفى   عقيلةَ مالِ الفاحش المُتَشَدِّدِ

(١) لا يغيض ، أى لا ينقص ، يقال : غاض الماء قاصراً بمعنى نقص ، ويقال متعدياً : غاضه إذا نقصه . ومنه قوله تعالى : وغيضَ الماء . والانسجام : انفعال لسجمت العين الدمع ، إذا أسالته فانسجم الدمع ، وإضافته إلى العين على تقدير مضاف دل عليه انسجام ، والتقدير دمع عينى . والسجام ، بكسر السين : مصدر ساجم مبالغة فى سجم ، وقد رأيت فى الكشاف فى سورة فاطر عند قوله تعالى : فلا تذهب نفسك عليهم حسرات — بيتا وهو :

فعلى إثرهم تساقط نفسى   حسرات وذكرهم لى سقام

غير منسوب فيما رأيت من حواشى الكشاف ، فلم أعثر على قائله ، وأحسب أنه لبشار من هذه القصيدة وأنه آخرها ، فحققه .

يَا قُتَيـــــلاً قَتَلَتْه عَبْـــدَةُ الحَوْرَاءُ ظُلْمًا(١)

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣٧ جزء ٣ وفيه قصة(٢) :

ما قَامَ أَيْرُ حمارٍ فامتَلاَ شَبَقًا إلا تَحَرَّكَ عِرْقٌ فى اُستِ تَسْنِيمِ

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥١ جزء ٦ :

يا عَبْدَ قد طال المِطَالُ فأنعِمِى وأشْفِى فُؤادَ فَتًى بِهِيمُ مُتَيَّمِ

• وأنشد له فيه صفحة ٥٣ :

عَبْـــدَ يا هَمِّى عليكِ السَّلام فِيمَ يُجْفَى حبيبُكِ المُسْتَهام(٣)

---

(١) جملة : يا قتيلا ، البيت ... مبينة لجملة يهذين مثل بيت المفتاح :

أقول له ارحلْ لا تُقِيمَنَّ عندنا وإلا فكُنْ فى الجهر والسرِّ مُسْلِما

وقوله تعالى : ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا ... الآية .

(٢) نهق حمار ذات يوم بقرب بشار فخطر بباله أن يجعل منه هجواً فقال : « ما قام أير حمار ... الخ » فلما بلغ إلى قوله فى است ، قال : فى است من ؟ فإذا تسنيم بن الحوارى مرَّ به ، وكان من أصدقائه ، فسلم عليه ، فقال من أنت ؟ قال تسنيم ، فقال بشار : تسنيم علم الله ، فقال تسنيم : إيش ويحك ! فأخبره ، فقــال تسنيم : عليك لعنة الله ، فما عندك فرق بين صديقك وعدوك ، ألا قلتَ فى است حماد الذى هجاك وفضحك ، وابيت قافيتك على ميم فأعذرك ! قال : صدقت فى هذا كله ، ولكن ما زلت أقول فى است مَن ولا يخطر ببالى أحد حتى مررت .

(٣) خالف فى قوله عليك السلام التفرقةَ الدقيقة بين السَّلام على الحى والسلام على الميت ، فعليك السلام صيغة تسليم على الميت ، كما تقدم آنفا فى قوله : رفارقته عليه السلام ، وتقدم قبله فى قوله على المنزل سلام الله منى . صفحة ١٠٥ من الجزء الأول ، فلعل الذى ألجأ بشارا إلى ذلك الضرورة ، ولو شاء لقال إليك السلام ، والتحقيق أن الضرورة هى ما وقع فى الشعر لا ما ليس الشاعر عنه مندوحة . ونظيره قول الأحوص :

سلام الله يا مطر عليها وليس عليك يا مطر السلام

فقدم عليك على السلام للضرورة . وتقدم فى صفحة ١٠٥ من الجزء الأول . والمستهام ، بصيغة المفعول : الهائم الذى أصابه الهيام ، وهو شدة العشق ؛ والسين والتاء للمبالغة . وفى التعليل .

نَزَلَ الحُبُّ مَنزِلاً فى فؤادى ... وله فيـــه مَجْلِسٌ ومُقَام(١)

* وأنشد له فى كتاب الصناعتين صفحة ٣١٨ بيتاً ثم رأيت ذلك البيتَ فى أبيات ثلاثة فى كتاب البيان للجاحظ صفحة ٢٥٣ جزء ١ غير منسوبة لمعين فأثبت جميعها هنا :

وصافيةٍ تعشى العيون رقيقة ... رهينة عام فى الدنان وعامِ(٢)

أدَرْنَا بِها الـكأسَ الرَّوِيَّةَ بيْنَنَا ... من الليل حتى انجابَ كل ظلام(٣)

(١) تنكير منزلا للتعظيم ، وكذلك تنكير مجلس ومقام : والمعنى أن الحب على بقلبه ثم استقر استقرار الجالس ثم أقام فلم يبرح .

(٢) الواو واو رب ، وهى للتكثير ، أى كثرت إدارتنا الكأس بها . وصافية ، صفة لموصوف يعلم من المقام ، أى ورب خمر صافية ، أى خالصة من أن يبقى فيها شىء من عجم العنب الذى اعتصرت منه ، أو من قشره ، وذلك من عناية عاصريها بها . ومعنى تعشى العيون ، أنها تجعل فى عين الناظر إليها مثل العَشَى ، وهو ضعف البصر ، أى من شدة شعاعها ، كمن ينظر إلى الشمس ، وكثرت فى كلامهم المبالغة فى وصف الخمر بالإشعاع والضياء . ووصفها بالرقة لجودة عنبها بحيث يكون عصيره فى جودة الماء لا خثورة فيه . والرهينة : المحبوسة وكل نفس بما كسبت رهينة ، ومنه سمى الرهن للشىء الذى يحبسه الراهن عنده لخلاص دينه منه إذا عجز الغريم . وقوله : عام وعام ، يريد أعواما كثيرة لا عامين كقول أبى الطيب :

فيوماً بخيلٍ تطرد الروم عنهم ... ويوماً بمال تدفع الفقر والجدبا

أى أياما كذا وأياما كذا . ومنه قوله تعالى : « يحلونه عاما ويحرمونه عاما » .

(٣) الباء فى قوله أدرنا بها ، للمصاحبة . والروية : صفة للكأس ، وهى فعيلة بمعنى فاعلة ، ولذلك لحقتها هاء التأنيث ، وقد صيغت زنة فعيل من الرباعى ، فإن فعله أروت على غير قياس ، كما صيغ السَّميع من أسْمَعَ فى قول عَمْرو بن معديكرب :

أمِنْ رَيْحَانَةَ الداعى السميعُ ... يؤرِّقُنى وأصحابى هُجُوعُ

أى شديدة الإرواء لشارب فيها ، وإسناد الإرواء إلى الكأس مجاز عقلى ، وإنما المُروى ما فيها ، وأسند إلى الكأس ليكون كناية عن سعتها وعظمها ، وهو كناية عن شدة شرب الشارب منها . ومن الليل ، ابتداء وقت الشرب . وانجاب : انقشع وزال . وكل ظلام ، أى كل أجزائه بمعنى لم يبق من أثر الظلام شىء إلى أن تبلج الصباح ، ولذلك قال بعده : « فما ذرَّ قرن الشمس .. البيت » .

فما ذرَّ قَرْنُ الشمس حتى كأننا　　من العِيِّ نحكى أحمدَ بنَ هشام[1]

* وأنشد له في الأغاني صفحة ٤٠ جزء ٣ ، وفى العقد الفريد صفحة ٩١ جزء ١ يخاطب عقبة :

ما زال ما مَنَّيْتَنِي من هَمِّى　　الوعدُ غَمٌّ فاسـتَرِحْ من غَمِّى

إنْ لَمْ تُرِدْ مَدْحِى فرَاقِبْ ذَمِّى[2]

---

(١) ذرَّ : طلع ، ومن كلمهم المشهورة « ما ذرَّ شارِقٌ » . وقرن الشمس : أول ما يظهر من قرصها عند طلوعها ، شبه بقرن ذات القرن ، لأنه يبدو منها أول نظرة . وحتى ، ابتدائية ، وهى غاية للنفى ، أى ما طلع قرن إلا عِنْدَ هذه الغاية وهى أنهم بعد الشرب صاروا لا يبينون الكلام من شدة السكر ، فأشبهوا أحمد بن هشام . وهذا من الإدماج ، أى إدماج غرض فى غرض ، أدمج هجو أحمد بن هشام فى غرض صفة سكرهم ، وليس أحمد بن هشام واحدا منهم ، ولكن بشارا تمكك بهجائه على طريقة أبى العَنْبَس الصَّيْمَرِى فى إدماج هجو البحترى أثناء رثاء المتوكل إذ مات قتيلا إذ يقول :

والله ربِّ البيت والمَشعر　　والله أنْ لَوْ قُتِل البُحترى

لثَارَ بالشـام له ثائر　　فى ألف نغل من بنى عضخر

يَقْدُمُهم كلُّ أخيى ذِلة　　على حمارٍ دابرٍ أعـور

والمعنى الذى سلكه بشار أخذه من قول حميد بن ثور يهجو من كان كثير الأكل ، وكان من الفصحاء (انظر البيان للجاحظ صفحة ٢٤ جزء ١) :

أتانا ولم يَعْدِلْهُ سَحْبَانُ وائلٍ　　بيانا وعِلْما بالذى هو قائل

فما زال عنه اللَّقْمُ حتى كأنه　　من العِىِّ لمّا أنْ تكلّم باقِلُ

وأحمد بن هشام الذى عناه بشار لم أقف على ترجمته .

(٢) هذا المصراع مأخوذ من قول كعب بن زهير أنشده السهيلى فى الروض الأنف فى فصول غزوة حنين :

إن كنت لا ترهب ذمى لما　　تعرف من صفحى عن الجاهل

فاخش سكوتى إذ أنا منصت　　فيك لمسموع خنا القائل

* وأنشد له فى العقد الفريد صفحة ١٨٤ جزء ٣ ، والجاحظ فى البيان صفحة ١٨٨ جزء ١ :

وبِكْرٍ كنُوّارِ الرَّبِيعِ حَدِيثُها تَرُوقُ بوَجْهٍ واضحٍ وقَوَامِ (١)

* وأنشد له فى ثمار القلوب صفحة ٢٦٤ فى مدح عمر بن العلاء ، وفى كتاب ما يعول عليه :

أنتَ أنفُ الجُودِ إنْ زَايَلْتَهُ عَطَسَ الجُودُ بأنفٍ مُصْطَلَمْ (٢)

---

(١) النوار ، بضم النون وتشديد الواو : الزهر ، شبه انتظام حديثها وبهجته للنفس بالزهر فى حسن التنسيق وإبهاج النفس ، وهذا كما شبه بشار فى قوله : «وشعر كنَوْرِ الروضِ لاءمتُ بينه» فى قافية اللام المتقدمة ، وتقدم أيضاً قوله «وحديث كالوشى وشى البرود» فى صفحة ٢٧٢ جزء ٢ من الشرح ، وكقوله فى المنمقات «حديث له وشى كوشى المطارف» ، وكما شبه أحد الأعراب مما رواه القالى فى أماليه :

وحديثُها كالقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِى سِنِينَ تتابَعَتْ جَدْبا

ووجه الشبه فى ذلك كله ارتياح النفس للشىء ، وهو تشبيه معقول بمحسوس . وشاع تشبيه الكلام المأنوس بالدر فى الانتظام والبهجة ، ومن أحسن ذلك قول الحريرى فى المقامة الثانية :

سألتُها حينَ زارتْ نَضْوَ بُرقعها الـ قَانى وإيداعَ سمْعى أطيَبَ الخَبَرِ

فزَحزَحَتْ شَفَقاً غَشَّى سَنَا قَمَرٍ وساقَطَتْ لؤلؤاً من خاتَمٍ عَطِرِ

وطريقة ذلك كله واحدة . والقوام ، بفتح القاف : القامة والقد ؛ تقدم فى صفحة ٣٥٠ من الجزء الأول .

(٢) تقدم عنه قول بشار :

ألا أيها السائل جاهداً ليعرفنى أنا أنفُ الكَرَمْ

بيان معنى تمثيل الأنف للكرم ، وأنه تمثيلية مكنية ، وكذلك هنا تمثيلية للجود ، والجود هو الكرم ، فقد جعل عمر بن العلاء أنف الجود . وزايل : مبالغة فى زال ، أى فارق ، وأراد بشار أنه إذا فقد أى مات فقد اصطلم أنف الجود . وقد بنى كلامه على طريقة العرب مثل قول النابغة :

فإنْ يَهْلِكْ أبُو قابُوسَ يَهْلِكْ ربيعُ الناسِ والبَلَدُ الحَرَامُ

والمولدون يكرهون مثل هذا لضعْفِ نفوسهم . ولعل لفظ زايله صوابه إن زايلتنا ، —

* وأنشد له فى خزانة الأدب صفحة ٥٤ جزء ٣ وفى الأغانى صفحة ٢٦ جزء ٣ :

رأيتُ السُّهَيْلَيْنِ استوى الجودُ فيهما   على بُعْدِ ذا من ذاكَ فى حُكْمِ حاكمِ
سُهَيْلُ بنُ عثمانَ يجودُ بمالِهِ   كما جادَ بالوَجْعَا سُهَيلُ بنُ سالمِ[1]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٣ جزء ١٧ :

رَضِيتُ الهَوَى إذ حَلَّ بى مُتَخَيِّرًا   نَدِيمًا وما غَيرِى له من يُنادمه
أُعَاطِيه كأسَ الصَّبرِ بينى وبينه   يقاسِمُنيها مَرَّةً وأُقَاسِمُـــــه[2]

— أو يكون ضميراً لغائب فى زايله ، عائداً على مذكور فى بيت آخر مفقود ، مثل بلد أو قوم . والمصطلَم ، بفتح اللام : اسم مفعول من اصطلمه إذا قطعه من أصله . وقد بنى على تمثيل الجود بذى أنف أنْ تخيل أيضاً لأنف الجود عُطَاساً وأنه بدون عمر بن العلاء يصير الجود لا أنف له فلا عُطاس له ، وهذا كناية عن انعدام آثار لأنف لأن انعطاس من لوازم الأنف ، حتى سمى الأنف معطسا ، وبهذا اللزوم تمت الكناية عن العدم ، من باب قول امرئ القيس : « على لاحِبٍ لا يُهْتَدَى بمناره » أى لا منار له فيهتدى به .

(١) السهيلان : أحدهما سهيل بن سالم الذى تقدمت ترجمته فى شرح البيت ١٢ من صفحة ٣٥٩ من الجزء الأول ، وهو المذكور فى قافية التاء من هذه الملحقات بقوله : « عُمركم يا سهيل ، البيت . . » . والوجعاء ممدود : الدبر ، وقصره ضرورة ، وقد ذكره ممدودا فى البيت ١١ من ٢١٥ ولم يفسر هناك . وقال البحترى يهجو عليا بن الجهم صفحة ٩٩ :

أما لكَ فى استِكَ الوجعاء شُغل   يكفك عن أذى أهل القبور

ووقع فى خزانة الأدب لفظ بالفعل عوض بالوجعا ، وهو من التكنى عن اللفظ المستقبح بلفظ ميزانه التصريفى . وأما سهيل بن عثمان فلم أعرف المراد به وهو ممدوح .

(٢) النديم : الجليس على شرب الخمر ، وجمعه ندامى . مَثَّل حالته فى التناهى بالحب وملازمته بحال نديمين لا يجد أحدهما نديما غير الآخر ، فلا جرم أنه لا يبرح عنه ، تمثيل معقول بمحسوس ، وأنهما يتقاسمان كأس الصبر كما يتقاسم الندمان كأس الشراب ، وهو مجرد تخييل للتمثيلية لا تقابله استعارة إذ ليس للهوى صبر .

* وأنشد له فى شرح المقامات فى المقامة ٣١ (١) :

مَتَى يَبْلُغُ البنيانُ يوماً تمامَه   إذا كنتَ تبنيه وغيرُكَ يَهْدِم

* وأنشد له الراغب فى المحاضرات صفحة ٥٩ جزء ١ بيتاً ، وأنشده صاحب لباب الآداب غير منسوب وزاد عليه بيتين :

تبوحُ بسِرِّكَ ضَيْقاً بِهِ   وتبغى لسِرِّكَ من يَكتُمُ (٢)

وكتمانُك السِّرَّ ممن تخا   فُ ومن لا تَخَوَّفُهُ أحزَمُ

إذا ضاعَ سِرُّكَ من مُخْبَرٍ   فأنتَ إذا لُمْتَــــهُ ألوَمُ (٣)

* وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ٢٠ جزء ٣ :

إنْ كُنتَ حاولتَ هَوَاناً فما   هُنْتُ وما فى الهُونِ لى من مُقَامْ

فى الناس أبْدَالٌ ولى مَرْحَلٌ   عن مَنْزِلٍ ناه ومرعًى وَخَامْ (٤)

لا نائِلٌ منكَ ولا مَوْعِــدٌ   ولا رَسُـولٌ فَعَلَيْكَ السَّلامْ (٥)

* وأنشد له فى عيون الأخبار صفحة ٨٤ جزء ٤ :

على النفسِ مِنْ عَيْنِها شَاهِدٌ   فــكاتِمْ حـــديثَكَ أو نَمِّـهُ

---

(١) فى البيان للجاحظ صفحة ٢٤٩ جزء ٣ أن هذا البيت لعمرو بن شأس ، وفى المنابه من أبيات الآداب أنه لصالح بن عبد القدوس فى ستة أبيات . انظر محول ورقة ٤٤ مخطوط ، فالظاهر أن الشريشى سها فى نسبته إلى بشار .

(٢) الواو فى قوله وتبغى : واو الحال ، والمقصود التعجب من جمعه بين الحالتين .

(٣) ومخبر بفتح الموحدة

(٤) المرحل : مكان الرحل ، وهو الزوال عن مكان آخر ؛ فالمرحل مكان يحله الراحل . ووخام ، بفتح الواو : صفة لمرعى — يقال أرض وَخَام إذا كان كلؤها لا ينجع .

(٥) حياه تحية الأموات إشارة إلى أن حياته عنده كموته . وانظر البيت ٣ ورقة ٣ .

• وأنشد له الأصفهانى فى شرح مشكل المتنبى صفحة ٤٣ مخطوط عندى :

تَتَابَعُ نحوَ داعِيها سِرَاعاً كما نُثِرَ الفَرِيدُ من النِّظَامِ[(١)]

وأنشد له العكبرى فى شرح المتنبى صفحة ٤٣٨ جزء ١ :

بدا لك ضَوْءُه ما احتَجَبَتْ عليه بُدُوَّ الشمسِ من خِلَلِ الغَمامِ[(٢)]

• وأنشد له فى الصبح المُنبى صفحة ١٥٤ :

والجَدُّ ليس بزائدٍ فى رزق مَنْ يَشقَى وليس بنائمٍ عن نائمِ

ويموتُ راعى الضَّأنِ عند ثُمامِهِ مَوْتَ الطبيبِ الفيلسوفِ العالِمِ[(٣)]

• وأنشد له فى الصبح المنبى صفحة ١٢٢ :

وسَهِرْتُمُ فى المكرمات وكَسْبِها سَهَرًا بغير هَوًى وغيرِ سَقامِ

وأنشد له فى المختار صفحة ٥٩ :

طَرَقَتْنا ذاتُ البَنَانِ الأَحَمِّ حبَّذا النَّومُ للخَيالِ المُلِمِّ[(٤)]

---

(١) تتابع أصله : تتتابع ، فحذفت التاء الثانية وهى تاء الفعل ، وأبقيت تاء المضارعة ، أما التاء الثالثة فهى من أصل الفعل . والمعنى يحتمل أنه وصف فرساناً دُعوا لنجدةٍ مسرعين متسابقين ، كقول المتنبى « ثِقال إذا لاقَوْا خِفافٌ إذا دُعُوا » وهذا هو المناسب لحسن التشبيه ، ويحتمل أنه فى الرثاء لأموات تلاحقوا ، وأراد بالداعى داعى الموت ؛ كقول الشاعر : « الناس للموت كخيل الطراد » ومعنى كما نثر الفريد من النظام معنى مطروق ، والفريد اللؤلؤ ؛ قال المتنبى :

بوادٍ به ما بالقلوب كأنه وقد رحلوا جِيدٌ تناثَرَ عِقْدُهُ

(٢) أراد ضوءَه وجهها .

(٣) الثمام ، بضم الثاء وتخفيف الميم : نبت قصير ، وفى المثل : « هو على طرف الثُّمام » ، أى سهل . أخذ المتنبى خلاصة هذا البيت فقال :

يموتُ راعى الضأنِ فى جهله مِيتَةَ جالينوسَ فى طِبِّهِ

(٤) الأحمّ : الأسود . أى من شدة دكنة الحناء ، وأراد طروق طيفها ، واللام فى الخيال : لام التعليل . وقد أخذ هذا المعنى إبراهيم بن سهل الاشبيلى فى مخمسه فقال :

وبذلت جفناً فيه ما قد غُمِّضا إلاّ لكى يَحْظَى بطيف خيال

وحَــــديثٍ نمى إليها فلم تَرْ ۔ قَبْ بيانًا وباطِلُ القول يَنْمِى[1]
لو سَقَتْنِي سُمًّا لقُلْتُ دَعُوها ۔ لا يَضُرُّ الحُوارَ وَطْأَةُ أُمٍّ[2]

* وأنشد له فى المختار صفحة ١٠٠ :

وقَوْمٍ ينظرون إلىَّ شَزْرًا ۔ كأَنَّ كُلُومَهم مِــــنى دَوَامِ
سَيُجْدِي حِلْمُهم أو يَنْــكَرُونِي ۔ فإنَّ تَقَــدُّمِي قَبْلَ انتقامِي[3]

* وأنشد له فى المختار صفحة ١٠٢ والبيت الثالث فقط فى كتاب الحيوان صفحة ٦٢ جزء ٥ وفى بهجة المجالس :

نَهانى أميرُ المؤمنين عن الصِّبا ۔ فَدُونَ الغوانى عَوْمَةٌ لا أعُومُها[4]
وأَغْيَدَ مِطْرَابِ العَشِيَّاتِ مُرْعَشٌ ۔ من الخَمْرِ لا يَلْقَاكَ إلَّا نَدِيمُها[5]

---

(١) قوله : فلم ترقب بيانا ، أى لم تتريث فى صحته ولم تتبين . قال تعالى : «يأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا» . وينمى : يزيد ، وهو يائى . قال الحارث بن وعلة الذهلى : «والشىء تحقِره وقدْ يَنْمِي» . قال أبو عبيد والكسائى : لم يسمع مضارعه بالواو ينمو ، وزعم أبو عبيدة وابن السكيت وقوعه ، وتبعهما الفيروزبادى ، فإن كان مسموعا فهو نادر جداً .

(٢) الحوار ، بضم المهملة وتخفيف الواو : ولد الناقة حين تضعه . والمراد التشبيه بجامع المحبة .

(٣) يجدى : ينفع ، وحلمهم مضاف إلى مفعوله بعد نزع الخافض ، أى حلمى عليهم ، أى ينفع فيهم ذلك فيقلعوا عن العداوة . وينكرون بفتح التحتية والكاف ، مضارع نكِره ، إذا كرهه . قال تعالى : فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نَكِرَهم . أى إن لم ينفع فيهم حلمى يجدوا منى ما يكرهون ، أى من الهجاء . والتقدم : هو الإمهال والإنذار .

(٤) العَوْمة : المرة من العوم ، وهو السبح فى الماء ، استعار العومة للعمل فى الشىء ، كما تستعار الغمرة والخوض والانغماس ونحو ذلك من تمثيل إحاطة الظرف بالمظروف .

(٥) الأغيد : اللين المفاصل المتثنى ، وتقدم فى صفحة ٢٧ من الجزء ٣ من الشرح . والمطراب : شديد الطرب ، والطرب : خفة فى النفس من السرور ، وهو غالب إطلاقه ، وقد يكون من الحزن كما نبه عليه ابن قتيبة فى أدب الكتاب . وتقدم فى قوله : وقد يبكى من الشوق الجليد ، من هذه الملحقات . والمرعش بضم الميم وفتح العين اسم مفعول من أرعشته الخمر ، =

كَرَّرْنا أحاديثَ الزَّمانِ الذى مضى ... فَلَذَّ لنا مَحْمُودُهَا وذَمِيمُها(١)

فوا للهِ ما أدرى أقَضَّى لُبَانَةً ... من الصَّحْوِ أمْ وَلَّى بنَفْسٍ يَلُومُها(٢)

وإنى لَفَيَّاضُ اليدين على الغِنى ... وفى الفقر عَفُّ النفس عما يَذِيمُها

وإنى لَمَخْشِىُّ العُرَام وربما ... صَفَحْتُ عن العوراء بادٍ شَكِيمُها(٣)

إذا ما وَلِىُّ العهد قَضَّى لُبانتى ... وقَفْتُ بأخرى عنده أستديمُها(٤)

— أى صيرته مضطرب الأعضاء . وقوله : لا يلقاك إلا نديمها ، كذا كتب ، ولا وجه لرفع نديم . ووقع فى شرح المختار تفسير الحميم فى هذا الموضع ، فلعل كلمة القافية هكذا « لا يلقاه إلا حميمها » أى لا يلق ذلك الأغيد إلا محب الخمر ، يعنى بشار بذلك نفسه ، أو تكون كلمة نديمها محرفة عن يديمها ، بتحتية فى أوله ، أى لا تجده حين تلقاه إلا وهو يديم شرب الخمر ؛ وقد سميت الخمر مدامة لأن شاربها يطلب دوام شربها .

(١) قوله : فلذ لنا ، وقع فى كتاب الحيوان ، وفى البهجة . فلذ لنا وهو المتعين ، ووقع فى المختار بلذاتنا ، وهو تحريف ، وإنما أراد أنهم تحدثوا فيما حدث لهم فيما مضى من خير وشر ، فلذهم محمود تلك الأحاديث وذميمها ، ورفع محمودها وذميمها يعضد رواية فلذ لنا ليكون فاعلا ، وإلا فلا وجه للرفع على رواية بلذاتنا ، بل ينبغى أن يكون منصوبا أو مجروراً لأنه بدل من أحاديث أو من لذاتنا ، ولا يكون البدل مقطوعا .

(٢) قضّى : مبالغة فى قضى . واللُّبانة ، بضم اللام وتخفيف الموحدة : المطلوب من غير فاقة ، والجمع لُبَان ، بضم اللام ، ولُبانات . وتقدم فى ٥ من ٢ . وقوله : « أم ولى بنفس يلومها » ، أى بق ثملا فى خُمَارٍ يلوم نفسه على السكر . والباء فى : بنفس ، باء المصاحبة .

(٣) العرام ، بضم العين وتخفيف الراء ، اسم لشدة الناس وحدتهم ، وهو مشتق من عرم ، وقد تقدم فى ١٤ من ٨٨ (انظر صفحة ٣٥٩ جزء ١ مطبوع) أى يخشون بأس هجائه . والعوراء : الكلمة السيئة يواجه بها الشخص . قال حاتم الطائى :

وأغْفِرُ عوراءَ الكريم ادِّخارَه ... وأُصْفِحُ عن شَتْمِ اللئيمِ تكرُّما

وتقدم فى صفحة ١٩٨ الجزء ٣ . وقوله : باد ، صفة للعوراء ، لأنها فى حكم النكرة . وشكيمها فاعل لباد ، والجملة نعت سببى . والشكيم : الشرامة ، أى ظاهر من تلك العوراء قصد التطاول عليه .

(٤) أراد بولى العهد موسى الهادى . فهو ولى عهد المهدى الذى كان ينهى بشاراً من التصابى . واللبانة ، تقدم آنفاً .

فِدًى لك ما أَلْقَتْ إليكَ مَطيّتى إذا فتنةٌ قامت وقام زعيمها[1]
تَقَلَّبْتَ فى بيت النبوءة يافِعا وخِرْقًا ومَعْقُودًا عليك تَمِيمُها[2]

* وأنشد له فى المختار صفحة ١٣٨ ماعدا البيت الأول ، والبيت الأخير موجود فى المحاضرات صفحة ١٤٤ :

ووَطِئْتُ أَرْدِيَةَ الفُتُوَّةِ كُلَّها وفضضت خاتَمَ طِينها المَخْتُوما[3]
وصَحَوْت إلَّا مِنْ لقاء مُحَدِّثٍ حَسَنِ الحديثِ يَزيدنى تَعْليما[4]

---

(١) أراد بما ألقت إليك مطيّتى : نفسه ، لأن المطية إذا بلغت المقصود بالسفر نزل عنها راكبها ، فقد ألقته ، وأراد بالتفدية التعجب ، مثل : لله دره . فقوله : إذا فتنة قامت ، ظرف للمصدر الذى هو فى معنى أفدى ، المراد به التعجب ، والمعنى أن ولى العهد يطفئ الفتن إطفاء سريعا حتى يقول : أفديه بنفسى .

(٢) تميمها ، اسم جمع تميمة ، وهى العوذة ، أراد : وفى زمن الصبا ، فكنى عنه بلوازمه العُرفية . واليافع : الغلام الذى يفع ، أى أخذ فى الظهور ، قال أبو فراس « تنازعنى الآمال كهْلا ويافعا » . والخِرْق ، بالكسر : الفتى ؛ قالت مَيْسُون بنت بَحْدَل الكلبية :

وخِرق من بنى عمى نَحيف أحبُّ إلىّ من علج عنيف

(٣) الوطء : إيقاع الرجل على الأرض أو غيرها . والأردية ، جمع رداء : وهو شقة من ثوب يوضع على الكتفين ، ولا مناسبة بين الرداء والوطء ، فلعله تحريف أودية بواو عوض الراء ، والأودية مستعارة لأصناف الأعمال ، كقوله تعالى : ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون . والفتوة : اسم لسن كمال الرجولة ، وأراد بها ما تقتضيه طبيعة استكمال القوة من جد ولهو ، كقول الأعشى : « من كلّ ذلك يومٌ قد لهوتُ به » ، وهذا هو المناسب لقوله : وفضضت ... الخ . والفض : القطع والمزق . والخاتَم ، بفتح المثناة الفوقية : ما يختم به على الإناء أو الكتاب لكى لا يفتح إلا عند الاقتضاء ، وهو يتخذ من طين مخصوص ييبس إذا جف ولا يتحتت وهو طين الخواتم . ووصف الخاتم بالمختوم مبالغة ، كما يقال : ليلٌ أَلْيَلُ ، وسَيْلٌ مُفْعَمٌ ، وداء دَوِىٌّ . وقد مثل تناوله عزيز الأفعال التى يعزُّ تناولها بفض الخاتم المختوم : ولعله أراد بهذا ضربا من التورية لفض خواتيم دنان الخمر ، أو لفض الأبكار . كما قال الفرزدق : « وبتُّ أفُضُّ أغْلاق الختام » .

(٤) استعار الصحو للإقلاع عن أمر لذيذ لأن حقيقة الصحو هى انكشاف آثار السكر عن العقل ، كما فى قول زهير : « صحا القلب عن سلمى وأقْصَرَ باطِلُهُ » وعنى أنه لم يبق عنده من اللذات إلا محادثة العقلاء .

إن الوَقَارَ وما ترَى بمَفَارِقى صَرَفَ الغَوَايَةَ فانصَرَفْتُ كَرِيمًا[١]

وحَلُمْتُ بعدَ جَهَالَةٍ فهَجَرْتَنى غَضَبًا عَلَىَّ بأَنْ رَجَعْتُ حَلِيمًا[٢]

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٧ جزء ١٣ يخاطب الربيع الحاجب[٣] :

يَا أبا الفَضْـــلِ لا تَنَمْ وقَعَ الذِّئْبُ فى الغَـــنَمْ

إن حَمَّـــادَ عَجْرَدٍ إنْ رأى غَفْـــلَةً هَجَمْ[٤]

بَيْنَ فَخْـــذَيْهِ حَرْبَةٌ فى غِلَافٍ من الأَدَمْ

---

(١) الوقار : الرصانة والحلم ، وهو يحمل الناس على مهابة صاحبه وتوقيره ، وهو من مقتضيات الشيب ، كما أن الشيب من مكملاته . وورد فى الحديث أن إبراهيم عليه السلام لما رأى الشيب فى شعره ناجَى ربه فقال : ما هذا يارب ؟ فأوحى الله أنه وقار ، فقال : يارب زدنى منه . وقد راعى بشار هذا المعنى فعطف عليه قوله « وما ترَى بمفارق » يعنى شيبَ مفارق رأسه . وأدمج كلمة مفارق لأنهم يزعمون أن الشيب فى المفارق علامةٌ على كرم المحتد . قال الشاعر :

وشيبَ مَشِيبَ العبدِ فى نُقْرَةِ القفا وشيبُ كرامِ الناسِ وَسْطَ المَفَارِقِ

وأراد أن وقاره وشيبه صرفا عنه الغواية ، كما قال عبد بنى الحسحاس : « كفى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهيًا » ، والغَواية بفتح الغين ، ضد الهداية ، ويلزم من صَرف الغواية أنه اتصف بالهداية « فماذا بعد الحق إلا الضلال » .

(٢) خطاب لمن لامه فى الكف عن الصبا وهجره لذلك . وحلم ، بضم اللام : صار الحلم له سجية ، والحلم رجاحة العقل ووضع الأشياء مواضعها ، والصفح عن المساوئ . والجهالةُ : ضد الحلم ، وهى تجمع خشونة المعاملة والجفاءَ والحماقةَ . ومن أحسن ما قيل فيه قول الشاعر :

بحلمٍ كحلمِ السيفِ والسيفُ مُغْمَدٌ وجَهْلٍ كجهلِ السيفِ والسيفُ مُصْلَتُ

وهو ما أخذه أخذاً بديعا صاحبنا الأستاذ الأكبر العلامة المجيد الشيخ محمد الخضر حسين فى قوله :

فالسيفُ فى حدِّهِ مَضَاءٌ يَفْرِى وفى جَنْبِهِ مَلَاسَةْ

(٣) قال أبو الفرج : اتصل حمادٌ بالرَّبيع (صاحبِ أبى جعفر المنصور) ليؤدبَ ولدَه ، فكتب بشارٌ رقعة أوصلت إلى الربيع فيها مكتوب هذه الأبيات ، فلما وصلت إلى الربيع قال : صيَّرنى حمادٌ دريئةً للشعراء ، أخرجوا عنى حمادا .

(٤) قوله : حماد عجردٍ ، بالإضافة إضافة المُسَمَّى إلى اللقب ، وهى إضافة متعينة عند نحاة البصرة خلافا للكوفيين .

إنْ خَلَا البيتُ ســـاعَةً   مَجْمَجَ الميمَ بالقَـــلَمْ[1]

• وأنشد له فى المختار صفحة ٢٠١[2] :

وصَاحِبٍ نَافِعٍ لى طولُ صُحْبَتِهِ   لا يَنفَعُ الدَّهْرَ إلا وهو مَحْمُومُ
تَأْتِيكَ فى نَاقِضِ الحُمَّى مَكَارِمُه   وإنْ أَفَاقَ بَدَا فى وَجْهِه اللُّوم

• وأنشد له فى البيان صفحة ٢٢ جزء ١ :

وعِىٌّ الفَعَالِ كعِىِّ المَقَـــال   وَفى الصَّمْتِ عِىٌّ كعِىِّ الكَلِمْ[3]

---

(١) مجمج بجيمين : بمعنى طَمَّسَ ، لأن حرف الميم فارغ الاستدارة ، والكلام تورية مبنية على تشبيه الصورة ورشاقتها واضحة بالنظر إلى أن صناعة حماد تعليم الكتابة والتأديب . قال الثعالبى إذا كان الرجل يميل إلى الغلمان دون النساء قيل فى الكناية : فلان يحب الميم ويبغض الصاد ؛ وللحريرى فى المقامة العاشرة فى ذكر اليمين التى استحلف بها أبو زيد لغلام حين اختصما « ودَوَّاتى بالأقلام » . وأنشد المبرد فى كتاب الروضة لخلف الأحمر يهجو رجلا :

أتترك فى الحلال مَشَقَّ صاد   وتأتى فى الحرام مِدَادَ ميم

ومن جيد ابن الوردى :

رأيتُ مليكه المُقَرْطَقَ فى   خيمته قائماً فقلتُ لِمَا
قال لحَمْلِ الدَّوَاةِ قلت له   ما ذاك إلا لِيَحْمِلَ القَلَما

(٢) قال صاحب مختار المختار : « إنه فى هذين البيتين يصف هنه أى بطريقة الألغاز والإغراب . واللوم أصله مهموز فخفف همزته .

(٣) العى ، بكسر العين وتشديد الياء : هو صعوبة أداء المقصود بالكلام بحيث يتخلله تنحنح وعبث بالأصابع وكثرة تحريك اليدين وإطراق وتفتيش عن الألفاظ المؤدية للمقصود ، وإضراب عن بعضها وإدخال كلمات لا فائدة لها فى الغرض ، مثل الاستعانة بنحو : يا هذا ، واسمع منى ، وافهم ، وأفهمت ؟ رأيتَ تعقل ؟ . وتكلم بعض الثرثارين فأطال وكرر وكان بعض الأعراب حاضرا ، فلما انتهى أقبل على الاعرابى فقال له : ما تعدون العى فيكم ؟ فقال : ما كنت فيه منذ الساعة . وقد أحسن بشار التعبير عن العى بقوله :

فى القول يأتيك بيان الفتى   والعِىُّ ما أغناك عنه السكوت

انظر صفحة ٢١ جزء ٢ من شرح الديوان .

والصمت ، بفتح الصاد : السكوت . وأثبت بشار هنا عيا للفعال ، وللصمت على وجه الاستعارة لاتحاد الوجه فى الشبه وهو العَجْز ، كما قال أبو الخطاب البهدلى :

• تَضَجُّرا منى وعِيًّا بالحِيَل •

وكما أطلق العجاج الحصَرَ على التردد فى قوله :

وقُوَّلٍ لا تَهْلِكَنْ وقُوَّلٍ   جَلِّحْ ولا تَحصَرْ ومَنْ لا يَحْتَلِ
يَضْعُفْ ويُقْتَلْ بالبَلاءِ القُتَّلِ

* وأنشد له فى البيان صفحة ١٨٧ جزء ١ :

أُنسٌ غَرائرُ ما هَمَمْنَ بِرِيبَةٍ كظباءِ مكّةَ صَيدُهُنَّ حَرامُ[1]
يُحْسَبْنَ من لِينِ الحَدِيثِ زَوَانِيا ويَصُدُّهُنَّ عن الخَنَا الإسْلَامُ

* وأنشد له فى المحاضرات صفحة ٢٤٢ جزء ١ :

يَزْدَحِمُ النَّاسُ على بَابِهِ والمَوْرِدُ العَذْبُ كَثِيرُ الزِّحَامْ

* وأنشد له فى الصبح المنبى صفحة ١٢٨ :

إذا ابتَسَمَتْ جادَتْ جُفُونى بِوَابِلٍ من الغَيْثِ أجْرَتْهُ بُرُوقُ المَبَاسِمِ[2]

* وأنشد له الصُّولى فى أخبار أبى تمام يهجو أبا هشام الباهلى :

أَيَشْتُمُ عِرضى الباهلىّ بِعِرْضِه لعَمْرُكَ إنّى بَعْدَها لَمُشَتَّمُ
أَلَيْسَ من أشراطِ القيامةِ أنْ يُرَى كَرِيمٌ يُلاحِيه لَئِيمٌ مُذَمَّمُ[3]

— وقال أبو دواد بن جرير (ص ٥١ بيان جزء ١) فى ذكر الخطابة : «النظر فى عيون الناس عِيّ» . والفِعال ، بكسر الفاء : جمع فعل ، وأما الفَعَال ، بفتح الفاء : فهو أعمال المجد ، وهو المتقدم فى صفحة ٢١٦ من الجزء الأول من الديوان .

(١) أُنْس بضم الهمزة وسكون النون مخفف أُنُس بضم النون الذى هو جمع أَنُوس ، بفتح فضم ، وهى الجارية المؤنسة الطيبة الحديث .

وقوله : صيدهن حرام — جملة فى موضع الحال من ظباء مكة وهى تصريح بوجه الشبه لخفائه ، وهو مع ذلك كناية عن منع تناولهن ، وليس المراد كون تناولهن حراما فى الشرع لأن ذلك يعم كل النساء غير الأزواج والسرارى .

(٢) أخذه المتنبى فقال :

تَبُلُّ خدىّ كلَّما ابتسمتْ من مطرٍ برقُهُ ثناياها

وأخذه أيضا الخُبْزَأرُّزى فقال

فواعجبا حتّامَ يُمطِرُ ناظرى إذا هو أبدى من ثناياه لى برقا

(٣) ادعاء ذلك من أشراط القيامة مأخوذ من قول النبى صلى الله عليه وسلم : لا تقوم الساعة حتى يكون أسعد الناس بالدنيا لُكَعَ بن لكع . رواه الترمذى . واللكع : اللئيم . وذلك أن من لوازم سعادته فى الدنيا أن يترفع على أضداده . أو من قوله : وكان زعيم القوم أرذلهم . رواه الترمذى أيضا لأن الزعامة تقتضى الملاحاة ، والملاحاة المخاصمة والسب .

* وأنشد له فى نهاية الأرب صفحة ٨٠ جزء ٣ مصراعا مفردا :

ولن تَبْلُغَ العَلْيَا بغير الهوام(١)

وذكر فى ديوان المعانى صفحة ٥٦ جزء ٢ أن لبشار قصيدة أولها :

أفيمَا دمًا أنّ الرزايَا لها قِيَم(٢)

* وأنشد له فى كتاب الحيوان صفحة ١٢١ جزء ١ ولم يجزم بأنها لبشار :

أتذكُرُ إذ ترعَى علَى الحَىِّ شاءَهُم وأنتَ شريكُ الكلْبِ فى كُلِّ مَطْعَم
وتَلْحَسُ ما فى القَعْب من فضلِ سُؤْرِهِ وقد عَاثَ فيه باليَدَيْن وبالفَمِ

* وأنشد له فيه صفحة ٢١٤ :

وأفسَى من الظَّرْبَانِ فى ليلةِ الكَرَى وأخْلَفُ من صَقْرٍ وأن كان قدْ طَعِمْ(٣)

قافية النون

* أنشد له فى الأغانى صفحة ٣٣ جزء ٣ فى قَيْنَةٍ مُغَنِّيَة(٤) :

---

(١) هو نظير قوله فى قصيدة أبى مسلم : ولا تَبْلُغُ العليا بغير المكارم .

(٢) لم يظهر المخاطب بقوله أفيما ولا المراد بهذا الكلام . وقوله : إن الرزايا الخ ، يجرى مجرى المثل ، والمعنى أن الرزايا وإن كانت ضارة ففيها منافع ذات أهمية كما قال الشاعر :

جزى الله المصائب كل خير عرفت بها عدوى من صديق

(٣) الظَّرِبان ، بوزن قَطِران ، أى بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء ، وسكن بشار حركة الراء للضرورة : دابة من ذوات الأربع فى حجم السنور ، أسود اللون ، عدا بطنه فأبيض ، له فى ظهره شوك كأنابيب القصب ملونة بسواد وبياض ، فإذا رأى الكلب انتفض انتفاضة فاندفعت من ظهره واحدة من ذلك الشوك ، فإذا أصابت الكلب جرحته ؛ ويقال إن فساءه منتن ، فإذا لم ينصرف عنه الكلب انطلق بفساء فيُغْشى على الكلب من نتنه ، ولذلك يقال : أفسى من الظربان . وأخلف هنا ، من الخُلوف بضم الخاء ، وهو تغير رائحة الفم إلى كراهة . ويضرب المثل بخلوف الصقر ، فيقال : أخلف من صقر . وقوله : وإن كان قد طعم عائد إلى المهجو ، أى إن خلوف فمه من خِلقته لا من الجوع ، ولعله يشير إلى الحديث : لخُلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك . والصَّقْر ، بفتح الصاد المهملة وسكون القاف : طائر من جوارح الطير .

(٤) قال فى الأغانى : كانت قينة بارعة حسنة لبعض ولد سليمان بن على بن عبد الله —

وذاتِ دَل كأنّ البدر صورتها ... باتت تغنّى عميدَ القلب سكرانا[1]

(إنّ العيونَ التى فى طرْفِها حَوَرٌ ... قتلْنَنا ثمّ لم يُحْيِينَ قتلانا)[2]

فقلتُ أحسنْتِ يا سُؤْلى ويا أملى ... فأسمِعِينى جزاكِ اللهُ إحسانا

(يا حبذا جبلُ الرّيّان من جَبَل ... وحبذا ساكن الريان مَنْ كانا)[3]

قالت فَهلاّ فدَتْكَ النفسُ أحْسَنَ مِنْ ... هذا لِمَنْ كان صَبَّ القلبِ حيرانا[4]

(يا قومِ أذْنِى لِبَعْضِ الحَىِّ عاشقةٌ ... والأذْنُ تَعْشَقُ قبل العَيْنِ أحْيانا)[5]

= ابن عباس ، وكان بشار صديقا لسيدها ، فحضر مجلسه والقينة تغنى ، فسر بحضوره ، فقالت الجارية : يا أبا معاذ ! أحب أن تذكر يومنا هذا فى قصيدة ولا تذكر اسمى ولا اسم سيدى ، وتكتب بها إليه ، فانصرف بشار وكتب هذه القصيدة . ا هـ . أقول ضمن بشار فى هذه القصيدة أبياتا من الأصوات التى غنت بها القينة ، وبعضها من شعر بشار وسأبين ذلك . وقد جُعِلَتْ أبيات منها فى النسخة طبع بولاق بين هلالين إشارة إلى أنها أبيات مضمنة تضمينا ، ولم تثبت تلك العلامة فى النسخة المخطوطة .

(١) تقدم الكلام على ذات بمعنى صاحبة فى (٤) من صفحة ١٤ ، وعميد فعيل بمعنى مفعول ، يقال عميد ومعمود ، وهو الذى غلبه العشق . (وتقدم فى صفحة ١٥٥ جزء ٢) قال ربيعة بن مقروم :

بانتْ سعاد فأضحى القلب معمودا ... وأخلفتْكَ ابنةُ الحُرِّ المواعيدا

وقال بشار :

يعلم الله ما ذكرتُكِ إلا ... رِبتُ من لوْعة الهوَى معْمُودا

(صفحة ١٨٥ جزء ٢) .

(٢) هذا البيت من شعر جرير وهو صوت من المائة المختارة .

(٣) ياحبذا جبل الريان ، إلى آخر البيت ... محكى وهو فى موضع نصب على أنه مفعول أسمعينى ، اقترحَ عليها غناءً فى هذا الصوت . وهذا البيتُ لجرير ، ولم يذكره صاحب الأغانى فى الأصوات ، فلعله من مختارات بشار أو مما فات صاحبَ الأغانى . وجبل الريان فى ديار طىْ جبل أسود عظيم ، إذا أوقدت النار عليه أبْصِرَتْ من مسيرة ثلاثة أيام ، وهو أطول جبال أجإ .

(٤) أى فهلا أسمعكَ أحسنَ من هذا الصوت لمن كان محبا لأنه أنسب بمقام الطرب ؛ إذ كان فيه معنى بديع .

(٥) هذا البيت لبشار وسيأتى مع بيتين معه ، وقد اختارت القينة أن تغنى به تزلفاً إلى بشار .

فقلتُ أحسنتِ أنتِ الشمسُ طالعةً   أضرمتِ فى القلب والأحشاء نيرانا
فأسمِعينَ صوتاً مُطرِباً هزجاً   يزيد صبًّا مُحبًّا فيكِ أشجانا(١)
يا ليتنى كنتُ تفاحاً مُفلَّجةً   أو كنتُ من قُضُبِ الرَّيحان رَيحانا(٢)

---

(١) أراد بالهَزَج هنا لحناً من لحون الغناء يسمى الهَزَج ، بفتح الهاء وفتح الزاى ، يذكره أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى المشهور ، وهو لحن خفيف سريع ، وهو من طرائق الإيقاع البسائط فى التلحين الأربع التى ضبطها ابتداءً إبراهيم الموصلى وابنه إسحاق . والهزج : هو أصل الطريقة الرابعة ، ويتفرع إلى ثمانية أنواع : أربعة منها بطيئة ، وأربعة سريعة ، وقد فصَّلها أحمد التيفاشى فى كتابه « متعة الأسماع فى علم السماع » . ولم يُرِد الهزج الذى هو من بحور الشعر : ووزنه مفاعيلن مفاعيلن أربع مرات ، لأن البيت الذى أنشدتْه ليس منه .

(٢) التفاح : اسم جمع تفاحة ، وهى الثمرة المعروفة ، ومفلجة : صفة لتفاح بالإفراد والتأنيث ، كما هو شائع فى صفات الجموع ، لأنها تكون على تأويل الجماعة ، والمفلجة إما من التفليج وهو التقسيم ، أى تفاحاً مقسماً أجزاءً وهى حالةٌ وضعيه تُنقْلاً عند الشُّرَّاب ، وإما من الفلج بفتحتين وهو التباعد القليل بين الأسنان ، أى منقوشاً فيه نقوش كالأسنان المفلجة لتفوح رائحته فى المجلس ، أو يوضع وكذلك على مائدة الشراب . وقد كانت مجالس الضيافة لا تخلو من ثمار تقطع ، وقد ورد ذلك فى صفة مُتَّكأ امرأةِ عزيزِ مصر فى القرآن : « وأعتدتْ لهنَّ مُتَّكأً وآتتْ كلَّ واحدةٍ منهن سِكِّيناً » قيل المتَّكأ الأترج . والتفاح ذكر كثير فى مجالس الحب والتهادى به بين الأحباب ، وفى مجالس الشراب ، قال أبو نواس :

الخمر تفاحٌ جرى ذائباً   كذلك التفاحُ خمرٌ جَمَد
فاشرَبْ عَلَى جامِدِهَا ذَوْبَها   ولا تَدَعْ لذَّةَ يومٍ لِغَد

وفى مصارع العشاق أن أبا نواس جلس فى مجلس طرب عند الأمين الخليفة ، قال أبو نواس : وفى المجلس جارية لم أر أحسن منها ، فحيانى بتفاحة عليها مكتوب بالذهب :

تُفاحةٌ تأكُلُ تُفاحــةً   يا ليتنى كُنتُ التى تُؤكَلُ
فألثَمُ الثغرَ إذا عضَّــنِى   بِعِلَّةِ الأكلِ ولا أوكَل

كانوا فى مجالس اللهو والشراب يرمون التفاح كالتحية ، وأنشد فى الأغانى :

وترمينى حُبَيْبَةُ بالدَّراقِنْ   وتحسبنى حُبيبة لا أراها

الدراقن : صنف من التفاح   والريحانة شجر له قضب لينة خضراء ذات ورق —

حتّى إذا وَجَدَتْ رِيحى فأَعْجَبَها ... ونحنُ فى خَلوةٍ مُثِّلْتُ إنسانا[١]
فحَرَّكتْ عُودَها ثم انثنَتْ طَرَباً ... تَشدو به ثم لا تُخفيه كِتْمانا
(أصبحتُ أطوَعَ خلقِ الله كلِّهمِ ... لِأكثرِ الخلقِ لى فى الحبّ عِصْيانا)[٢]
فقلتُ أطرَبْتِنا يا زَيْنَ مجلسنا ... فهاتِ إنّكِ بالإحسان أَوْلانا
لو كنتُ أعلمُ أنّ الحبَّ يقتلنى ... أعددْتُ لى قبل أن ألقاكِ أكفانا

= بقل أخضر، لقضبه ولورقه رائحة ذكية، وهو مما تزين به مجالس الشراب. قال الأعشى:

نازَعْتُهُمْ قُضُبَ الرَّيحانِ مُتّكِئاً ... وقهوةً مُزّةً راوُوقُها خَضِلُ

وقال الحريرى فى المقامة الثانية عشرة: «وهو تارة يستبزل الدنان. وطَوراً يستنطق العيدان. ودَفْعَةً يستنشق الريحان. وأخرى يُغازل الغِزْلان». وربما جعله الشارب على أذنه لتكون رائحته قريبة من الشم. قال أبونواس (يخاطب مليحا يدق وتدا بحجر):

أحسَنُ عندى من انكبابك بالـ ... فِهْر مُلِحًّا به على وَتِدِ
وُقوفُ رَيحانةٍ على أُذُنٍ ... وسَيْرُ كأسٍ إلى فَمٍ بيدِ

ووَضْعُ الأزهار على الآذان أو رشقها فى العمائم عادة قديمة فى البلاد الشرقية يضعون رامشات الوَرْد والفُل والياسمين وزهر أمّ غَيْلان على الآذان، أو يدخلونها بين الرأس والعمامة أو يَدُسّونها فى طَيّات العمامة. وكانوا فى الجاهلية يحيون الملوكَ بالرَّيحان. قال النابغة: «يُحَيَّوْنَ بالريحان يومَ السباسب».. وقال بشار:

لما رأيت البخل ريحانه ... والجود من مجلسه غائب

وتقدم فى صفحة ٢٢٨ من الجزء الأول.

وقال بعض الشعراء:

كأن احمرار الورد فوق غصونه ... بوقت الضحى فى روضه المتضاحك
خدودُ عَذارى قد خَجِلْنَ من الحيا ... تَهادَيْنَ بالريحان فوقَ الأرائك

وقوله: ريحانا، حال من قضب الريحان، أى موضوعة لتكون ريحانا، أى مشموما طيبا، قال تعالى: «فروح وريحان وجنة نعيم».

(١) هذا البيت والذى قبله اعتراض بين جملة فقلتُ أحسنتِ.. البيتين، وبين جملة فحرّكتْ عودَها. ومعنى مُثِّلتُ إنسانا أصير فى مثال إنسان بعد أن كنت فى صورة تفاحة.

(٢) الظاهر أن هذا البيت لبشار، وقد جُعلت له علامة التضمين فى مطبعة بولاق، لأن الجارية اختارت أن تغنيه بشعره كما تقدم.

فَغَنَّتْ الشَّرْبَ صَوْتاً مُؤْنِقاً رَمَلاً ... يُذْكِي السرورَ ويُبْكِي العَيْنَ أَلْوَانا[١]

(لَا يَقْتُلِ اللهُ من دَامَتْ مَوَدَّتُه ... واللهُ يقتل أهلَ الغدر أحيانا)[٢]

* وأنشـد له فى الأغانى صفحة ٢٧ جزء ٣ يخاطب أبا المنذر جَرِيراً السَّدُوسِي[٣] :

أَمِثْلُ بنى مُضَرٍ وَائِلٌ ... فَقَدْتُكَ من فَاخِرٍ ما أَجَنّ[٤]

أَفِى النـوم هذا أبا مُنْذِرٍ ... نخيراً رأيتَ وخيراً يَكُنْ[٥]

رأيتُك والفَخْرَ فى مِثْلِها ... كَعَاجِنَةٍ غَيْرَ ما تَطْحَنْ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٢٨ جزء ٣ ، والمبردُ فى الـكامل صفحة ٨٠

---

(١) أراد بالرمَل هنا لحناً من لحون الغناء ، ذكره أبو الفرج ، ولم يرد الرمَل الذى هو من بحور الشعر ، فالرمل المراد هنا هو من طرائق الإيقاع البسائط التى تقدم ذكرها فى شرح البيت السابع قبل هذا ، والرمل أصل الطريقة الثالثة وهو أربعة أنواع ثقال ، ولها خفائف مساوية لنَقَراتها . والمؤنق : اسم فاعلِ آنقه ، إذا فرَّحه ، من الأنَق بالتحريك ، وهو الفرح والسرور . ويذكى بضم التحتية مضارع أذكى النار إذا أوقدها ، واستعمل الإذكاء للزيادة مطلقاً على وجه المجاز ، وبين يذكى ويبكى الجناس المحرف . وألوان جمع لونٍ بمعنى نوع ، أى غناؤها له تأثير مختلف يسر ويبكى . فألوانا منصوب على المفعول المطلق المبين للنوع .

(٢) هذا البيت جُعلت له علامة التضمين فى المطبوعة ، والكلام دعاء . وأحياناً نكرة وقعت فى سياق الإثبات ، فحقها أن لا تعم ، لكن قرينة الدعاء تقتضى إرادة العموم ، أى كل حين ، كقول الحريرى : « يا أهل ذا المغنى وُقيتم ضراً » فالمعنى تتلهم الله دوماً .

(٣) قال فى الأغانى : كان جرير السدوسى يفاخر بشارا فقال فيه هذه الأبيات . وبنو سدوس تقدم فى ٢٤ من حرف الراء ملحقات . وأما جرير السدوسى فلم أقف على ترجمته فى تراجم الأدباء ولا فى الوافى للصفدى .

(٤) استفهام للإنكار ، وأراد بشار ببنى مُضَر مَرَّالية ، وهم عُقيل ، فإنهم من العرب المُضَرية . وأما وائل فهم بنو سدوس قوم جرير هذا ، ووائل من بطون ربيعة . وقوله : ما أجن ، أى ما أجنه ، فحذف المتعجب منه لتقدم ذكره ، وفعل التعجب هنا مشتق من قولهم جن إذا أصابه الجنون ، وهو على خلاف القياس لأنه لا يقاس فعل التعجب من فعل مبنى للمجهول .

(٥) جزم فعل يكن لوقوعه فى جواب الاستفهام التهكمى .

جزء ٢ . وابن جنى فى الخصائص صفحة ٢٩ ، وفى أمالى المرتضى صفحة ١٥٠ جزء ٢ :

وَدَعْجَاءِ المَحَاجِرِ من مَعَدٍّ كَأَنَّ حديثَها ثَمَرُ الجِنَانِ(١)
إذا قَامَتْ لِمِشْيَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا من خَيْزُرَانِ(٢)
يُنَسِّيكَ المُنَى نَظَرٌ إِلَيْهـا ويَصْرِفُ وَجْهُهَا وَجْهَ الزَّمَانِ(٣)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٣ جزء ٣ وفى عيون الأخبار صفحة ٣١٠ جزء ١ ، وفى ديوان المعانى صفحة ١٨٤ جزء ١ فى ثقيل يكنى أبا سفيان :

رُبَّمَا يَثْقُلُ الجليسُ وإنْ كا ن خفيفاً فى كِفَّةِ الميزانِ
ولقد قلتُ إذ أطَلَّ على القَوْ مِ ثَقِيلٌ يُرْبِى على ثَهْلَانِ
كَيْفَ لا تَحْمِلُ الأَمَانَةَ أرضٌ حَمَلَتْ فَوْقَهَا أَبَا سُفْيَانِ(٤)

---

(١) الدعج : شدة سواد أسود العين مع سعتها . والمحاجر العيون ، وأصلها ما دار بالعين . وفى رواية الأمالى والخصائص « وحَوْرَاءِ المدامع » ، والمدامع : العيون ، لأنها مواضع الدمع ، وثمر الجنان ثمر البساتين ، والجنان : جمع تكسير لجنة ، وفى الحديث « لَرُبَّ جَنَّةٍ واحد هى إنها لجنانٌ كثيرة » ، والجنة البستان ، ووجه الشبه شدة اللذة فى النفس . والظاهر أنه أراد جنات الخلد ، ولذلك قيد الثمار بها ، لأنه لو أراد ثمار الدنيا لما احتاج إلى لفظ الجنان إذ الثمار لا يكون إلا ثمار جنان ، ألا ترى أنه لو قال كأنه ثمر الجنة لتبادر إلى الذهن أنه أراد جنة الخلد ، وعلى هذا الوجه الراجح يكون وجه الشبه فرط اللذة التى لا تُكَيَّف فيكون ذلك من تشبيه المحسوس بالمعقول كما شبه امرؤ القيس سنانه بأنياب الأغوال إذ قال « ومَسْنُونَةٍ زُرْقٍ كأنيابِ أغْوَالِ » وهذا أبدع . وفى رواية الأمالى « قِطَعُ الجُمَانِ » والجُمان : اللؤلؤ .

(٢) قد علمت ما فى كلمة العظام من الثقل ، فلو قال : كأن قَوَامَهَا . وقوله : لمشيتها ، يضبط بكسر الميم لأن بشاراً يشبه هيئة مشيها .

(٣) هذا البيت مزيد فى أمالى الشريف المرتضى ، وقد ضبط فى النسخة بنصب وجهها ورفع وجه الزمان ، ولا يظهر له معنى ، والظاهر هو رفع وجهها ونصب وجه الزمان ، يعنى إذا نظرت إلى وجهها نسيتَ همومَ الدنيا ؛ وهم يتخيلون للزمان وجها عابسا كالحا ويجعلون ضحكه وبشاشته نادرة . قال الشاعر : « فَضَحِكَ الزمانُ وكانَ قَبْلُ عَبُوسا » .

(٤) فى رواية ديوان المعانى « كيف لم تحمل » ، وأشار إلى قوله تعالى : إنا عرضنا —

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٦ جزء ٣ فى جارية سوداء كانت له وكان جَمع عليها(١) :

وغَادَةٍ سَــــوْدَاءَ بَرَّاقَةٍ   كالمَاء فى طِيبٍ وفى لين
كأنَّهَا صِيغَتْ لِمَنْ نَالَهَا   من عَنْبَرٍ بالمِسْكِ مَعْجُونِ(٢)

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٢ وفى ذيل أمالى القالى صفحة ١٠٧(٣) :

— الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبَيْنَ أنْ يَحمِلْنَها » . ولم أقف على ترجمة لأبى سفيان .

(١) لعل هذه هى التى قال فيها البيتين فى أول حرف الدال من هذه الملحقات ، ولعلها هى التى ذكروا أنه لم تتبع جنازته حين مات إلا أمة سوداء سِنْدِيّة ، كانت له عَجْمَاءَ ما تفصح تَصيح خلفَ جنازته : واسَيِّداهْ ، واسَيِّداهْ ! كما ذكر فى الأغانى . وقد تقدم فى المقدمة .

(٢) لون العنبر أشهب ، فإذا خلط بالمِسْك صار شديد السمرة إلى السواد ، وقد تقدم الكلام على المسك فى ١٨ من ١٢٧ وعلى العنبر فى ٢ ص ٣٩ .

(٣) قال بشار : دعانى عقبةُ بن سلم ودعا بحماد وأعشى باهلة ، فلما اجتمعنا عنده قال لنا إنه خطر ببالى البارحة مثل يتمثله الناس : « ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا أذُنَيْنِ » فأخْرِجُوه من الشعر ، ومن أخْرَجَه فله خمسة آلاف درهم . فقال حماد : أجِّلْنا شهراً ، وقال أعشى باهلة : أجِّلْنا أسبوعين . وبشار ساكت . فقال له عقبة : مالك لا تتكلم ، أعْمَى الله قلبك ! فقال : أصلح الله الأمير ! قد حضرنى شىء ، فإن أمرتَ قلْتُه ، فقال قُلْ . فأنشأ هذه الأبيات ، فانصرف بشار بالجائزة ا هـ . وفى لفظ المثل الذى وقع التلميح إليه روايتان : إحداهما ما ذكره فى الأغانى : « ذهب العَيْر » ، والأخرى : « ذهبت النَّعامة تطلب قرنين فرجعت بلا أذنين » ، ذكر هذه الرواية الجاحظ فى كتاب الحيوان والمرزوقى فى شرح ديوان الحماسة عند قول كَبْشَةَ بِنْتِ معديكرب فى باب الحماسة :

فإنْ أنتُمُ لم تثأرُوا واتَّدَيْتُمُ   فمشُوا بآذان النَّعام المُصَلَّمِ

وهذه الرواية أظهر ، لأن النعامة لا أذنين لها ، فهى التى يحق عليها قول المثل ، فرجعت بلا أذنين ، لأن العرب يضعون هذه الأمثال على تَطلب أسباب ورواية لأحوال خصائص الحيوان ، وعلى اختلاف الروايتين اختلفت رواية البيت . وهذا المثل لا يوجد فى مجمع الأمثال الميدانى ، ولا فى مستقصى الأمثال الزمخشرى ، ولا فى القاموس ، وينبغى أن يلحق بكتب اللغة إذ صار له أثر فى الشعر العربى .

شَطَّ بِسَلْمَى عَاجِلُ البَيْنِ ... وَجَاوَرَتْ أُسْدَ بَنِى القَيْنِ (١)

وَرَنَّتِ النَّفْسُ لهـا رَنَّةً ... كادَتْ لها تَنْشَقُّ نِصْفَيْنِ (٢)

يا ابنةَ مَن لا أشتَهِى ذِكْرَه ... أخْشَى عليهِ عَلَقَ الشَّيْنِ (٣)

واللهِ لَوْ ألقاكِ لا أتَّقِى ... عَيْناً لقَبَّلْتُكِ ألفَيْنِ (٤)

---

(١) أسد بنى القين ، أى شجعانهم الذين هم كالأسد ، وهو كناية عن اليأس من أن يزورها ، لأنهم يمنعونها . قال عنترة :

حَلَّتْ بأرضِ الزَّائرِينَ فأصْبَحَتْ ... عَسِراً علَىَّ طِلابُكِ ابنةَ مَخْرَمِ

الزائرين جمع زائر من الزئير ، وهو صوت الأسد . وبنو القين حى من قضاعة وهم بنو القين ، بفتح القاف وسكون التحتية ، ولقب بالقين وصف صناعة حداد السيوف ، ولم أعرف وجه هذا اللقب ، واسمه النعمان بن جَسْر بن شَيْع الله بن أسد بن وبرة بن ثعلب ابن الحاف بن قضاعة ، كانت منازلهم فى أكناف الشام . وسلمى امرأة مَفْرُوضة يُنِى عليها بشار أبياته . وكذلك بنو القين ما جاء باسمهم إلا لأجل قافية البيت الأخير بأذلين ، وأخذ هذا من قول النابغة :

وحَلَّتْ فى بنى القَيْنِ بن جَسْرٍ ... فقد نَبَحَتْ لنا منهم شُؤُونُ

وهذا البيت قيل إنه سبب تلقيبه بالنابغة .

(٢) رواه القالى « وحنت النفس لها حنة ... كادت لها تنقد . . . الخ » والمعنى على الرواية الأولى ، من شدة الرنة وضغطها كادت تنشق نفسه . ولو قال : كدت لها أنشق ، لكان أحسن . وعلى الرواية الثانية : أن شدة تأثره بالحنين إليها قاربت أن تمزق بها نفسه : فى قوله تنقد ، استعارة مكنية شبه نفسه بأديم أو ثوب تمزق ووجه الشبه هو توقع الهلاك .

(٣) رواه القالى « أخشى عليك » وهى الرواية الظاهرة ، لأنه إنما يخشى عليها لا على أبيها ، يعنى إذا ذكرتُ اسم أبيك عُرِفْتِ . وعلق : ضبط فى طبعة دار الكتب . وفى أمالى القالى بضمة على العين وفتح اللام ، فيكون جمع عُلْقَة ، بضم فسكون ، أو اسم جمع عُلَقَة ، بضم ففتح ، وكلاهما ليس لمعناها ما يصلح هنا ، والأظهر أن يضبط بفتحتين جمع عَلَقة ، بفتحتين وهى الحبل الذى يناط بالبكرة ، أى أخشى أن يناط بك شَيْن . أو يضبط بضمتين ، وهى الدواهى . والشين : العيب . والمعنى : أخشى أن يعيبك الحواسد بما ليس فيك .

(٤) هذا البيت انفرد به الأغانى . والعين : الرقيب ، وألفين : مراد به الكثرة .

طالَبْتُها دَيْني فَرَاغَتْ به وعَلَّقَتْ قلبي مع الدَّيْن[1]
فَصِرْتُ كالمَيْرِ غدَا طالِباً قَرْناً فلم يَرْجِعْ بأُذْنَيْنِ[2]

• وأنشده في الأغاني صفحة ٥٢ جزء ٣ :

دَعَا بفراقِ من تَهْوَى أَبَانُ ففاضَ الدَّمْعُ واحْتَرَقَ الجَنَانُ[3]

---

(١) يريد بالدين وعداً وعدَتْه من وصال أو تقبيل . أخذه من قول رؤبة ابن العجاج :

داينت أروى والديون تقضى فمطلت بعضاً وأدّت بعضا

وقال كُثَيِّر :

قضى كلُّ ذي دَيْنٍ فوفَّى غريمَه وعَزَّةُ مَمطولٌ مُعَنًّى غريمُها

سألت أمُّ البنين عزَّةَ يوما عن هذا الدين فقالت عزَّةُ : وعدتُه قُبْلةً فحرِجْتُ منها . وراغت به : تبثث في المخطوطة والمطبوعة براء مهملة ، ومعناه : فخلصت : واعتلت وماطلت ، أي حادت عن الحق من قضاء الدين . وهذا كقول العتّابي أو بشار : « وبالبيض رَوَّاغٌ كرَوْغ الثعالب » وقد تقدم . ويجوز أن تكون زاغت ، بالزاى المعجمة ، من الزيغ ، وهو العدول عن الحق ، والباء في به للسببية ، أي كانت ظالمة بسبب منعه . وعلقت قلبي : أي ناطته مع الدين ، والمعالق : ما يعلق في رقاب الخيل والإبل .

(٢) في رواية القالي : « فصرت كالمِيقَل » فينبغي أن يكون المثل ذهب العقل . وهذا بمعنى ذهب في الصباح . والمِيقَل ، بكسر الهاء وسكون القاف : الذكر الفتيّ من النعام .

(٣) قال في الأغاني : قال أبان بن عبد الحميد اللاحقي : نزل قوم من الأعراب من قيس في ظاهر البصرة ، وكان فيهم بيان وفصاحة ، فكان بشار يأتيهم وينشدهم أشعاره التي يَتَسمع بها فيها ، فيجلونه لذلك ويعظمونه ، وكان نساؤهم يجلسن إليه ويتحدثن معه . وينشدهن أشعاره في الغزل وكن يُعْجَبْن به ، فأتيتهم يوما فوجدتهم قد ارتحلوا ، فجئت بشاراً فقلت : يا أبا معاذ ، أعلمت أن القوم قد ارتحلوا ؟ قال : لا ، قلت : فاعلَم ، قال : وقد عَلِمْتُ لا عَلِمْتَ ، ومَضَيْتُ ، فلما كان بعد ذلك سمعت الناس ينشدون : « دعا بفراق من تهوى أبان » الأبيات الثلاثة ، فعلمت أنها لبشار ، فأتيته فقلت : يا أبا معاذ : ماذنبي إليك ؟ قال : ذَنْبُ غُرابِ البَيْنِ ، فقلت : هل ذَكَرْتَني بغير هذا ؟ قال : لا ، فقلت : أنشدك الله أن لا تزيد ، فقال : امض لشأنك فقد تركتك له .

أبان هذا ، هو أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن عُفَير البصري ، مولى بني رقاش ، من بكر بن وائل ، كان يشتهر باللاحقي ، نسبة إلى جده ، وكان شاعراً أديباً نشأ بالبصرة —

كأنَّ شرارةً وقعتْ بقلبي لها في مقلتي ودمي اسْتِنانُ(١)

إذا أنشدتُ أو نسمتْ عليها رياحُ الصيفِ هاجَ لها دُخانُ(٢)

* وأنشد له في الأغاني صفحة ٥٨ جزء ٣ وفي الأمالي صفحة ١٥٠ جزء ٢(٣):

= واشتهر بها ، وكان صديق بشار ، وكان يلمز بالإلحاد ظلما ، فقد وثقه الخطيب في تاريخ بغداد . خرج من البصرة إلى بغداد يروم الاتصال بالبرامكة ، فقصد الفضل بن يحيى ، وقد عرض نفسه على الفضل وخاطبه بشعر يقول فيه في وصف نفسه :

كاتبٌ حاسبٌ خطيبٌ أديبٌ ناصحٌ زائدٌ على النُّصّاح

شاعرٌ مُفلقٌ أخفُّ من الرِّيـ ـشَة مما يكون عند الجناح

ونال حظوة عند الفضل وعند أبيه يحيى بن خالد وعند جعفر ، ونال منهم عطايا جمة ، ونظم لهم كتاب كليلة ودمنة نظماً أوله :

هذا كتاب أدب ومحنه وهو الذي يدعى كليلة ودمنه

وهو غير موجود الآن ؛ سوى نيف وسبعين بيتا منه أثبتها الصولي في كتاب الأوراق (طبعته مطبعة الصاوي بالقاهرة طبعة أولى) . وعمل القصيدة ذات الحلل ذكر فيها أمر مبدأ الخلق . ثم اتصل بالخليفة الرشيد ، وكانت بينه وبين المعذل بن غيلان بالبصرة صحبة ومهاجاة ، ووقعت بينه وبين أبي نواس مهاجاة ، ولم أقف على سنة وفاته . وقد عاش بعد نكبة البرامكة . ترجمه الصولي في كتاب الأوراق وذكر فيه رجالا من آل بيته . وترجمه الصفدي في الوافي ، والخطيب في تاريخ بغداد ، وأبو الفرج في الأغاني . وفاض : من أفعال أحوال الماء إذا كثر وغمر ، وفي الجمع بين فاض واحترق محسن الطباق . ودعا استعارة للإخبار بالبين . شبهه بندبة الميت ، يقال : دعت النادبة الميت ، فجعل بعد الحبيب كموته ، والباء الداخلة على فراق قرينة استعارته للخبر ، والخطاب لنفسه على طريقة التجريد .

(١) الاستنان : اضطراب السراب . شبه به اضطراب لهب النار ، أو هو عدو الفرس ، شبه به سرعة لهيب النار إلى الشيء المحترق . أراد أن له حرارة في عينيه من البكاء وفي دمه من الحزن ، كما يقال في لساننا « تحرّق دمّه » .

(٢) لما شبه ما في قلبه من الشوق إلى الحبائب بشرارة نار ، أتبع ذلك بتشبيه ما يذكره الأحبة مما يزيد شرار النار التهابا ، وكنى عن زيادة الالتهاب بالدخان لأن الدخان ينطلق من النار إذا أخذت في الالتهاب . وجعل مثير شوقه أمرين : أحدهما ما ينشده من الشعر في ذكرهم ، والثاني رياح الصيف . وأراد الرياح التي تهب من جهة ديارهم . وأما تخصيصها بالصيف — فالظاهر أنه حكاية الواقع من زمن ارتحالهم إذ لم يظهر وجه لتخصيص الرياح برياح الصيف .

(٣) قال في الأغاني : خرج بشار إلى حرّان لمدح سليمان بن هشام بن عبد الملك =

إنْ أُمسِ مُنقَبِضَ اليدين عن الغِنَى ... وعن العــدُوِّ مُخَيَّسَ الشَّيطان(١)
فلقدْ أَروح على اللِّئامِ مُسلَّطا ... ثَلِجَ المَقيل مُنعَّمَ النُّدمان(٢)
في ظِلِّ عيشٍ عَشيــرةٍ محمُودةٍ ... تَندَى يَدى ويُخافُ فَرْطُ لِساني

— بقصيدته التي طالعها : « نأتك على طول التجارب زينبُ » ، فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم ، وكان سليمان بخيل فلم يرضها بشار وانصرف مُغضَبا ، وقال هذه الأبيات ، فلما رجع إلى العراق بره ابن هبيرة ووصله ، كان يعظم بشارا لمدحه قيسا وافتخاره بهم ، فلما جاءت دولة آل خراسان عظم شأن بشار اهـ .

(١) رواه الشريف المرتضى في الأمالى : « إن أمس منْشنجَ اليدين » ، ورواية الأغانى أصح . والمعنى أنه إن صار غير غنى . وقوله : مخيس ، كذا في رواية الأغانى بالخاء المعجمة والمثناة التحتية ، أى مذلَّل . ورواه في الأمالى مُحبَّس ، بالحاء المهملة والموحدة ، أى مربوط ، وأراد بالشيطان شيطانَ شعره ، جريا على سنة الشعراء في ادعاء أن لهم شياطين تُمل عليهم الشعر ، كما تقدم في قوله : دعانى شنقناق إلى خلف بكرة ، في حرف الدال من الملحقات . والمعنى أنى إن كنت قد تركتُ هجاء علوى وكنت قد زهدت في المال ، فإنى لا أكف عن هجاء اللئام ، على أنى غير محتاج إلى بذلهم .

(٢) هذا قائم مقام جواب الشرط في قوله : إنْ أمس منقبض اليدين . . . البيت ، لأنه دليل الجواب ، والتقدير أن صرت غير محصل على غنى من سليمان ولا أستطيع هجاءه في بلده ، فلا يحزننى ذلك لأنى طالما دخلت على اللئام غير مكترث بهم مسلطا عليهم بهجائى ، وأنا في لذيذ عيش بمقام كريم ونديم مواتٍ . فقوله : فلقد أروح ، دليل الجواب ، كقوله تعالى : « من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً » . وقول الربيع بن زياد :

من كان مسروراً بمقتل مالكٍ ... فلْيأتِ نِسوَتَنا بوَجْهِ نهار
يَجِد النساء حواسراً يندُبْنَه ... بالليل قبل تبلج الأسحار

وثلج المقيل : يجوز أن يكون مأخوذاً من الثلوج والثَّلَج بالتحريك ، وهو الاطمئنان ، يقال : ثلِجتْ نفسى ، أى اطمأنت ، من باب فرح ، أسند الثلوج إلى المقيل إسناداً مجازياً كقولهم : نهارُه صائم ، ويكون المقيل اسم زمان على زنة مَفعِل ، بكسر العين ، أى وقت القيلولة وهى منتصف النهار حين يشتد الحر ، وهو وقت حرج كثير من النفوس ، ويجوز أن يكون مأخوذا من الثَّلْج ، بسكون اللام ، وهو الماء المتصلب من شدة البرودة ؛ يقال ، أثلج النهار إذا كان بارداً ، واشتقاق فَعِل منه على غير قياس أجرى المزيد مُجرى المجرد كقول عمرو بن معديكرب « أمن ريحانة الداعى السميع » ، أى المُسمِع . وأل في المقيل عوض عن المضاف إليه ، أى ثلجا مقيل ، والمقيل اسم مكان ، أى بقيل في محل بارد ، وذلك في الصيف .

أزمانَ جِنِيُّ الشّبابِ مُطاوعٌ ... وإذِ الأميرُ عَلَيَّ مِنْ حَرّانِ (١)
رِيمٌ بأحْوِيَةِ العِراقِ إذا بَدَا ... بَرَقَتْ عليه أكِلّةُ المَرْجانِ (٢)
فاكْحَلْ بعَبْدةَ مُقْلتَيكَ من القَذَى ... وبِوَشْكِ رؤيتِها من الهَمَلانِ (٣)
فَلَقُرْبُ من تَهْوَى وأنتَ مُتيَّمٌ ... أشْفَى لِدائِكَ من بَنِي مَرْوانِ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٩ جزء ٣ :

وقائلٍ هاتِ شَوِّقْنا فقُلتُ له ... أنائِمٌ أنتَ يا عَمْرو بنَ سَمّانِ (٤)

---

(١) جِنِيُّ الشباب : قُوَّتُه وتمامه : شَبَّه شَبابَه بجِنِّي فيما يصدر عنه من المجون والاستهتار ، فإضافة جنى إلى الشباب بيانية وهي قرينة الاستعارة ، هكذا أثبت فى النسخة المخطوطة . وفى مطبوعة بولاق « أزمانَ خَيْتَعُور » وهو تحريف ، ورواه فى الأمالى : « أزمانَ سِرْبالُ الشباب مُذَيَّلٌ » أى طويل ، كناية عن شدة شبابه وفضل قوته . والظاهر أن مِن فى قوله : مِن حَرّانٍ ، بمعنى البدلية ، أى فى زمن كون الأمير علىّ . ريم بأحوية العراق بدلا من أمير حران الذى لم يحسن جائزتى ، وحران مدينة عتيقة من مدن البلاد الشامية ، صارت بعد الفتح الإسلامى قصبة ديار مضر . واسم حران حقه المنع من الصرف ، ولكن صرفه للضرورة ، وفى البيت تضمين مع البيت الذى بعده .

(٢) ريمٌ خبر عن قوله الأمير . وأحوية ، بحاء مهملة ومثناة تحتية : جمع حِواء ، بكسر الحاء وهو البيت . والمرجان حيوان بحرى أحمر ، شبه النبات ، يتصلب وتشتد حرته إذا قوى يصير كالحجارة . والأكِلَّة ، جمع إكْليل : وهو التاج ، وكانوا يتنافسون فى التحلى بالمرجان مثل اللؤلؤ .

(٣) الفاء للتفريع والخطابُ لنفسه على سبيل التجريد وكنّى بكَحْل العينين عن الالتحاق ببلدها ، أى فأعمل الرحلة عن حران إلى العراق لتَكْحَلَ عينيك برؤية أمير قلبك . واستعير كَحْل العين لرؤية الشىء المحبوب ، لأن رؤيته تنفع البصر مثل نفع الكحل للعين ، قال حسان :

تناغى غزالا عند باب ابن عامر ... وكحل أما قيك الحسان بإثمد

والقَذَى ما يصيب العين من دقيق الغبار ، وأراد به ما يتركه البكاء فى العين من شبه القذى ، وجعل زوال البكاء برؤية الحبيبة كالكحل فى مداواة عينيه . ووَشْك رؤيتها قربها ، وتقدم الكلام على تصاريف الوشك فى شرح قوله : ستتركه وشكا فى يديك — من حرف الكاف من الملحقات .

(٤) عمرو بن سَمّان كان من أصدقاء بشار ، وقد حضر بشار مجلسه ، فقال عمرو لبشار : أنشدنا يا أبا معاذ شيئاً من غزلك ؛ فأنشأ هذه الأبيات يعتذر عن عدم إنشاده شعر تشويق من أجل نهى الخليفة إياه من ذلك .

أَمَا سَمِعْتَ بِمَا قَدْ شَاعَ فِى مُضَرٍ ... وفى الحُلَيفَيْنِ من نَجْدٍ وقَحْطَانِ (١)

قَالَ الخَلِيفَةُ لَا تَنْسُبْ بِجَارِيَةٍ ... إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَشْقَى بِعِصْيَانِ (٢)

• وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٤ جزء ٣ (٣) ، وفى خاص الخاص فى الباب السابع :

نَظَرَتْ عَيْنِى لِحَيْنِى ... نَظَراً وَافَقَ شَيْنِى (٤)

سَتَرَتْ لَمَّا رَأَتْنِى ... دُونَهُ بِالرَّاحَتَيْنِ

---

(١) وقع فى المخطوطة « من بحر » بموحدة وحاء مهملة وراء ، وفى مطبوعة بولاق « نجر » بنون فجيم فراء ، وكلا اللفظين لا معنى له لتعين أن يكون المراد بالحليفين جذمين من العرب ليسا من مضر ، فالظاهر أنه تحريف (نجد) بنون فجيم فدال ، ونجد منازل ربيعة كما جاء فى حديث الفتنة ، ومن بيان الحليفين فيكون أطلق نجداً وأراد سكانه مجازاً نحو : واسأل القرية . وأراد بقحطان قبائل اليمنية ، وهم خير أخوال المهدى ، فلذلك كانوا أحلاف مضر .

(٢) لا تَنْسُبْ ، يقال : نَسَبَ بالمرأة ، بتخفيف السين المفتوحة ، يَنْسُبُ ، بضم السين وكسرها ، نسيبا ، إذا شبب بها فى الشعر ، أى ذكر محاسن شبابها . والنسيب يقال له أيضاً الغزل . وإياك تحذير وتكريره تأكيد كقول الفضل بن عبد الرحمن القرشى :

فَإِيَّاكَ إِيَّاكَ المِرَاءَ فَإِنَّهُ ... إِلَى الشَّرِّ دَعَّاءٌ وَلِلشَّرِّ جَالِبُ

وهو ضمير منصوب بفعل مضمر وجوبا لكثرة الاستعمال ، وأصله أُحَذِّرُكَ ، فلما استتر الفعل ليصير صيغة تحذير انفصل الضمير ، ويتعدى إلى المحذر منه على ثلاثة وجوه : « إياك وكذا » على المفعولية معه . و « إيَّاكَ كَذَا » على المفعولية به ، أى أحذركه . و « إياك أن تفعل » على أن المصدر مفعول به . ومعنى أن تشقى بعصيان « إياك أن تعصى » فيكون العصيان سببا لشقائك ، فحول الإسناد إلى التحذير من الشقاء .

(٣) قال فى الأغانى : دخل المهدى إلى بعض حُجَر الحرم فنظر جارية تغتسل ، فلما رأته وضعت يدها على عورتها ، فقال المهدى : « نظرتْ عينى لحَينى » ثم أُرْتِجَ عليه ، فقال : من بالباب من الشعراء ؟ قالوا : بشار ، فأذن له فدخل ، فقال له : أجز « نَظَرَتْ عينى لحينى » فقال بشار هذه الأبيات ارتجالا . ونقل مثله الثعالبى فى خاص الخاص عن كتاب ابن المعتز فى طبقات الشعراء ، وفيه أن البيت الأول كله للمهدى وما بعده لبشار .

(٤) رواه فى خاص الخاص « أبصرت عينى لحينى . منظراً . . الخ » . والحين ، بفتح الحاء المهملة : المحنة . واللام للعلة ، واستعار اللام لمعنى العاقبة ، كقوله تعالى : « فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا » أى فكان لهم عدوا لأنهم لم يلتقطوه ليكون عدوا بل « قالت —

قَبَدَتْ مِنه فُضُــول   لَنْ تُوارَى باليَدَيْنِ(١)
فانْثَنَتْ حتى تَوارَى   بين طى المُكَتنين
فتمَنَّيْتُ وقَــلْـبِى   لِلْهَـوَى فى زفرتين(٢)
أنّنِى كُنتُ عليــه   سَاعَةً أو سَاعَتَيْن

● وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٥ جزء ٣ ، وصفحة ٦١ جزء ١٥ ، وفيه قصة انظرها إن شئت فى الموضعين من الأغانى :

أُمَامَةُ قدْ وُصِفتِ لنا بحُسْنٍ   وإنّا لا نَرَاكِ فَأَلْمِسِيـــنَا(٣)

● وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٧ جزء ٣ وفى زهر الآداب صفحة ١٤٠ جزء ١ البيتين الأولين وفى أخبار أبى تمام للصولى ص ٢١٦ :

يَا قَوْمِ أُذْنِى لِبَعْضِ الحَىِّ عَاشِقَةٌ   والأُذْنُ تَعْشَقُ قَبْلَ العَيْنِ أَحْيَانَا

ـــ امرأة فرعون قرةُ عين لى ولك » . أى نظرت عينى فكان حَيْنى . والشين : العيب ، وقد كتب فى النسخة المخطوطة من الأغانى كلمة شين بنون فى آخرها دون ياء ، وكتب فى المطبوعة ، وفى نسخة خاص الخاص بياء بعد النون ، والذى فى المخطوطة أولى ، لأنه إن كان البيت كله للخليفة فهو لا يليق به أن ينسب إلى نفسه شيئا ، وبالأحرى إذا كان المصراع الثانى لبشار على لسان الخليفة ، فيبقى النظر فى وجه كسر النون من شين إن لم تكن متصلة به ياء المتكلم » والذى يظهر أن يكون وافِقٍ بكسر الفاء ، اسمَ فاعل من وَفِق لكذا ، بمعنى صادفه فيكون وافق صفة لنظراً ، أى نظراً مصادف شين ، والشَّين شَيْنُ الجارية ، أى عيبها ، كناية عن عورتها ، وعلى ذلك يعود الضميران فى قوله فى البيتين بعده « دونه » و « منه » .

(١) هكذا رواه فى خاص الخاص ، والبيت بعده ، والظاهر أن لن تحريف ، وأن أصله لا توارى أو أن توارى ، أى فضول عن أن توارى . ووقع فى الأغانى عوضهما بيت واحد « فَتَمَلّتْ منه فضول   تحت طى المكتنين » .

(٢) هذا البيت والذى بعده لا يوجدان فى خاص الخاص . وتثنية زفرتين لمجرد التكرير كقوله تعالى : « ثم ارجع البصر كرتين » .

(٣) كذا فى الأغانى فى الجزء ٣ ووقع فيه فى الجزء ١٥ « مليكة » عوض « أمامة » .

قالوا بمن لا ترى تهذى فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كانا (١)

هل من دواء لمشغوف بجارية يلقى بلقيانها روحا وريحانا (٢)

● وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٠ جزء ٣ فى هجاء المهدى (٣) :

خليفـــــة يزنى بعماته يلعب بالدبوق والصولجان (٤)

أبدلنـا الله به غــــيره ودس موسى فى حر الخيزران (٥)

---

(١) قال فى زهر الآداب : سئل أبو تمام من أين أخذت قولك :

ولم أفهم معانيها ولكن ورت كبدى فلم أجهل شذاها

فكنت كأننى أعمى معنى بحب الغانيات ولا يراها

قال أخذته من قول بشار : « ياقوم أذنى لبعض الحى عاشقة » البيتين .

(٢) تقدم روح وريحان فى شرح قوله :

وجنات قال الإله لها كو نى فكانت روحا وروحا وراحا — فى الملحقات .

(٣) مضت قصة هذين البيتين فى المقدمة فى سبب قتل بشار ، والظن أنهما تقوّل عليه للإيقاع به .

(٤) لا شك أن المصراع الأول بهتان من قائله . والدبوق ، بفتح الدال وتشديد الباء المضمومة ، قال فى القاموس لعبة يلعبها الصبيان اهـ . ولم أقف على صفتها ، ويظهر أنها لعبة عربية . والصولجان اسم فارسى لعصا يبلغ طولها مقدار ما يصل من يد الفارس إلى الأرض ، وفى نهايتها التى تباشر الأرض عصية أخرى مجعولة على عرض العصا الطويلة ، وتجعل كرة فى الأرض ، ويتقابل الفريقان اللاعبان أحدهما يضاد الآخر ، والأكثر أن يكون كل فريق يشتمل على عدد اثنين إلى أربعة فرسان ، ويدفع أحد اللاعبين الكرة فيشد وراءها كلا الفريقين ، ولهم إصطلاح فى كثرة تدافع تلك الكرة وأماكن من الأرض إذا بلغتها كان الفلج للفريق الذى أوصلها إليه ، وأصل الصولجان لعبة فارسية وانتقلت إلى الهند والغرض منها التمرن على الفروسية ، وقد نقلت إلى العرب فى أول الدولة العباسية ، وانتشرت رويداً رويداً . فأشار بشار إلى لعبين أحدهما عربى والآخر فارسى .

(٥) دعاء على الخليفة بالموت ، وقوله : ودس موسى الخ ، دعا بالفقد على ولى العهد موسى الهادى ، فكنى عن ذلك كناية فيها تحقير موسى الهادى واستخفاف بأمه الخيزران . وموسى الهادى هو ابن المهدى ، كان فى زمن بشار ولىّ عهد أبيه ، جعل له العهد سنة ١٦٠ بعد ان خلع نفسه عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من ولاية العهد التى جعلها له المنصور بعد المهدى ، وبويع موسى الهادى بالخلافة سنة ١٦٩ ، وتوفى فى ربيع الأول سنة ١٧٠ .

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٧٤ جزء ١٣ [1] :

بَكَى حُرَيْبٌ فَوَقَّرَهُ بِتَعْزِيَةٍ   ماتَ ابنُ نِهْيَى وقد كانا شريكين
تَفَاوَضَا حين شابا فى نسائهما   وحلّلاَ كلَّ شىء بَيْنَ رِجْلَيْنِ [2]
أمسَى حُرَيْبٌ بما أسْدَى له وغَدَا   كَرَاكِبِ اثْنَيْنِ يَرجُو قُوَّةَ اثنين [3]
حَتَّى إذَا أخَذَا فى غير وجْهِهِما   تَفَرَّقَا وهَوَى بين الطَّرِيقَيْنِ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦٩ جزء ٣ ، وبعضها فى زهر الآداب صفحة ١٩ جزء ٢ :

واللهِ لولا رِضَى الخليفةِ ما   أُعطِيتُ ضَيْماً عَلَىَّ فى شَجَنِ [4]
ورُبَّمَا خيرَ لابنِ آدمَ فى الـــكُرْهِ وشَقَّ الهوَى على البَدَنِ [5]
فَاشْرَبْ على أُبْنَــةِ الزَّمَانِ فَمَا   تَلْقَى زَماناً صَفَا من الأُبَنِ [6]

---

(١) قال فى الأغانى فى ترجمة حماد عجرد : كان لحماد صاحب يقال له حريب على مذهب حماد فى الزندقة ، فلما مات حماد عزاه بشار بهذه الأبيات . قلت : والأظهر أنه تصغير للتحقير وأنه حرب الذى ورد اسمه فى ص ١٢٥ من الجزء الثانى ، وابن نهى هو حماد .

(٢) معنى تفاوضا ، اشتركا شركة عامة فى كل شئ ، والشركة فى جميع المال تسمى شركة المفاوضة ، ومنه جاءت المفاوضة فى التشاور ، كأن كل أحد من المتشاورين يفوض لصاحبه أن يبدى ما يرتئيه من غير مؤاخذة بينهم . والمصراع الأخير أجمع شىء للقذف بأصنافه .

(٣) أى كراكب بعيرين ليكون ذلك أسرع له فى سيره ، فلما تباعدا سقط بين طريقيهما ، وهذا تمثيل لخسارة حريب بموت حماد .

(٤) يريد الخليفة المهدى إذ قد نهاه عن الغزل . والضيم : غمط الحق ، والشجن : الحزن ، أى استجاب للخليفة فى الكف عن النسيب والغزل فى حال حزنه على ذلك الكف . ومعنى أعطيت ضيما ، التزمتُ به .

(٥) أشار إلى قوله تعالى : « وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم » . . . الآية . والهوى هنا مصدر بمعنى المفعول ، وهو يعنى : وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم .

(٦) خطاب لنفسه على طريقة التجريد ، والأبنة ، بضم الهمزة وسكون الباء الموحدة : العيب ، وأراد بالزمان زمان عصره ، أى فاشرب ولو كان الزمان معيبا ، فلا يصدك عن شرب الخمر ، فعلى بمعنى مع ، فإن كل زمان لا يخلو من عيوب .

اللهُ يُعْطِيكَ من فَوَاضِلِهِ   والمرءُ يُغْضِي عَيْناً على الكُمَنِ (١)
قَدْ عِشْتُ بينَ الرَّيْحَانِ والرَّاحِ والْـمِزْهَرِ   فى ظِلِّ مَجْلِسٍ حَسَنِ (٢)
وقد مَلأْتُ البلادَ ما بَيْنَ يَعْبُو   رَ إلى القَيْرَوَانِ فاليَمَنِ (٣)

---

(١) الخطاب لنفسه على طريقة التجريد ، والفواضل : النعم ، والكُمَن ، بضم الكاف وفتح الميم ، جمع كُمْنَة ، بضم فسكون ، وهى الرمد أو جرب العين . والمعنى أن عطاء الله لا ينقطع ، وأنه إذا أصابه ضر يصبر عليه ولا ييأس .

(٢) رواه فى زهر الآداب « بين الندمان » ورواية الأغانى أوضح ، والريحان تقدم فى أول قصيدة ، والمزهر تقدم فى صفحة ١٩٦ جزء ٣ .

(٣) شبه كثرة تناشد شعره بين الناس فى البلاد بملء البلاد بشعره ، فاستعار ملأت إلى معنى نَشَرْت ، وإسناد الملء إلى نفسه مجازى ، لأنه أكثر الإجادة ، فكان سبباً لنشر شعره فى الآفاق . وأل فى البلاد للعهد ، أى بلاد الإسلام التى يروى فيها الشعر العربى . وقوله : ما بين يعبور الخ ، عطف بيان من البلاد ، وهى الأقطار التى تقع بين هذه الجهات من المشرق والمغرب العربى والجنوب العربى ، إذ كانت جهته من بغداد جهة الجوف ، وذكر ما بين يدل على أن الأسماء المذكورة أقطار من البلاد . فأما يعبور فقد تقدم الكلام عليها فى الصفحة ٣٠٩ من الجزء الثانى من الشرح . وذكرنا أنها كتبت هنالك وفى البيت ٢ من صفحة ٢٩٩ من الجزء الثالث بمثناة تحتية فعين مهملة فوحدة ، وأنها وقعت كذلك فى بيت نُسب فى كتاب الحيوان للجاحظ صفحة ٥٣ الجزء ٧ إلى شاعر اسمه مومان (كذا كُتب فى كتاب الحيوان لمومان) ، وقد بحثت عن هذا الاسم فى عداد الشعراء من الوافى للصفدى ومعجم الأدباء فلم أعثر عليه ، ولعله اسم على وزن فَعْلان من مومن إذا كثرت أولاده ، أو هو نسبة إلى الموم بضم الميم ، وهو الشمع ، ونسب بالنون على غير قياس مثل صيدلانى ، وحذفوا الياء تخفيفاً ، ويحتمل أن يكون ما فى كتاب الحيوان تحريفا عن المومل ، وهو تحريف قريب . والمومل هو ابن أُمَيْل ، شاعر كوفى من مخضرمى الدولتين ، ترجمه فى الأغانى وياقوت والصفدى فى الوافى وفى نكت الهميان ، وله قصة مع المنصور . توفى سنة ١٧٠ . (وضبط اسمه فى نسخة من نكت الهميان بكسرة على الثانية من ميم مومل وبضمة على همزة أميل) . وهو المومل بن جميل ابن عم مروان بن أبى حفصة . ويحتمل أنه تحريف مويال ، وهو اسم شاعر ذكره العينى فى شرحيه الكبير المطبوع والصغير لشواهد النحو ، وقال هو مويال (هكذا فى نسخ ثلاث مخطوطة من الصغير) ولم أجده فى الوافى ، وهو ابن جهم المذحجى ، ونسب إليه الشاهد :

ألم تعلمى يا عمرك الله أننى   كريم على حين الكرام قليل

وهذا البيت الذى فى كتاب الحيوان هو :

قد كنت صَعَّدْتُ عن يَعْبُورَ مغتربا   حتى لَقِيتُ بها حِلْفَ الندى حَكَمَا

شِعْراً تُصَلِّى له العَوَاتِقُ والثُّيــبُ صلاةَ الغُوَاةِ للوَثَنِ(١)

— فأما اسم يعبور فكتب فى الأغانى المطبوع والمخطوط بغين معجمة عوض العين المهملة ، وكذلك وقع فى رسالة الغفران للمعرى صفحة ٧٧ الطبعة الأولى (أمين هندية بالقاهرة) ، ويتعين أنه اسم بلد فى أقصى الشرق من بلاد الإسلام . ووقع فى الأغانى عن عمر بن شبة قال : يغبور ملك الصين ، فيقتضى ذكر ذلك فى سياق بيت بشار أن يقرأ ملك ، بضم الميم وسكون اللام ، أى اسم مملكته . وفى القاموس فى فصل الباء من باب الراء « يغبور لقب ملك الصين » ، وفى تاج العروس فيما استدركه فى مادة فغر « فُغْفُور » كعُصْفُور ، لقب لكل من ملك الصين ، وإليه ينسب الخزف الجيد الذى يؤتى به من الصين » ، ولا شك أنها الكلمة التى ذكرها صاحب القاموس بباء موحدة عوض الفاء ، لأن الباء فى لغة كثير من الأعاجم يكون مخرجها بين الباء والفاء ، فهذه كلمة أخرى هى غير الكلمة التى نحن بصددها ، إذ يتعين أن الكلمة التى فى بيت بشار اسم بلد ، لأنه ذكرها مع القيروان واليمن ، وأتى لها باسم المكان الدال على التوسط وهو « بين » ، وكذلك بيت مومان لا يستقيم إلا أن يعبور اسم بلد ، ولم يذكره ياقوت فى جميع مظان ذكره ، اللهم إلا أن يكون ذلك القطر قد اشتهر باسم سلطانه ؟ ووقع فى معجم ياقوت أن بلاد الصين سميت الصين لأن صين بن يغبر أول من نزلها ، فتأمل . وكانت مملكة الخلافة العباسية فى عهد بشار تنتهى من جهات الشرق إلى تخوم الهند والصين ، وتنتهى من جهة الجنوب إلى بحر عُمان حيث بلاد اليمن ، وتنتهى من جهة الغرب بنهاية بلاد إفريقية التى تتصل إلى حدود المغرب الأقصى ، حيث قامت دعوة إدريس العلوى ، وذلك ما شمله قول بشار : « ما بين يعبور إلى القيروان فاليمن » . وأما القيروان فهى قاعدة إمارة إفريقية ، وهى المدينة التى بنيت فى الساحة التى كان استقربها المسلمون زمان غزوة إفريقية ثم انجلوا عنها بصلح ، ثم عادوا إلى تلك الساحة فى الفتح الثانى لإفريقية بقيادة معاوية بن حُدَيج فى خلافة معاوية بن أبى سفيان سنة ٤٥ : خمس وأربعين ، إذ كان جيش المسلمين قد نزل بتلك الساحة وتخيروها مُناخا يليق جَوُّه بأمزجتهم ومَرَاعيه بإبلهم ، وجعل فى تلك الساحة آباراً للسقى ، إذ كانت قليلة الأمطار ، وسميت القيروان ؛ والقيروان : الجيش ، وكان قد دفن بها أبو زمعة البلوى عُبَيْدٌ من أهل بيعة الرضوان ، واشتهر أنه قد دُفن معه فى قلنسوته شَعَرٌ من شعر النبى صلى الله عليه وسلم . ثم اختط الأمير عقبة بن نافع مدينة هنالك فسميت باسم تلك الساحة مدينة القيروان سنة ٥٠ خمسين ، وجعل سوراً دوره اثنا عشر ميلا . وكانت القيروان فى زمن بشار لإمارة عمر بن حفص المهلبى ، ثم يزيد بن حاتم المهلبى ، وهما ممدوحا بشار ، وكانت القيروان قاعدة إفريقية ودار إمارتها إلى سنة ٦٠٢ حين انتقلت الإمارة إلى مدينة تونس فى عهد الدولة الموحدية بإفريقية . وأما اليمن فهى القطر الجنوبى من بلاد العرب الشامل البلاد اليمن وحضرموت إلى عمان .

(١) شعرا : تمييز لما بين ، لأنه صار كالمقدار بمنزلة جريب ونحوه ، واستعار الصلاة للتعظيم والإكبار . والعواتق ، جمع عاتق : وهى المرأة الشابة قبل التزوج ، وهو وصف خاص بالأنثى ، وفى حديث صلاة العيدين : « ولتخرج العواتقُ وربات الخدور وليشهدن الخيرَ ودعوةَ المسلمين » . فربات الخدور المتزوجات . والثيبُ : أراد به بشار جمع ثَيِّب ، وقد تقدم فى (صفحة ١٨٣ جزء ١ المطبوع) أنه جمعٌ غريب .

ثُمَّ نَهَانِي الْمَهْدِيُّ فَانْصَرَفَتْ ‏ ‏ نَفْسِي صَنِيعَ الْمُوَفَّقِ اللَّقِنِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ لا شَرِيكَ لَهُ ‏ ‏ لَيْسَ بِبَاقٍ شَيْءٌ عَلَى الزَّمَنِ

* وأنشد له فى أمالى المرتضى صفحة ٤٨ جزء ٤ فى الزمان وأهله :

عَتَبْتُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَيُّ حَيٍّ ‏ ‏ مِنَ الأَحْيَاءِ أَعْتَبَهُ الزَّمَانُ(١)
وَآمِنَةٍ مِنَ الْحَدَثَانِ تُزْرِي ‏ ‏ عَلَيَّ وَلَيْسَ مِنْ حَدَثٍ أَمَانُ
وَلَيْسَ بِزَائِلٍ يُرْمِي وَيُرْمَى ‏ ‏ مُعَانٌ مَرَّةً أَوْ مُسْتَعَانُ(٢)
مَتَى تَأْبَ الْكَرَامَةَ مِنْ كَرِيمٍ ‏ ‏ فَمَا لَكَ عِنْدَهُ إِلَّا الْهَوَانُ(٣)

* وأنشد له فى الكامل صفحة ٢٣٣ جزء ١ يهجو عُبَيْد الله بن قزعة :

خَلِيلَيَّ مِنْ كَعْبٍ أَعِينَا أَخَاكُمَا ‏ ‏ عَلَى دَهْرِهِ إِنَّ الْكَرِيمَ مُعِينُ(٤)
وَلَا تَبْخَلَا بُخْلَ ابْنِ قَزْعَةَ إِنَّهُ ‏ ‏ مَخَافَةَ أَنْ يُرْجَى نَدَاهُ حَزِينُ
كَأَنَّ عُبَيْدَ اللهِ لَمْ يَلْقَ مَاجِداً ‏ ‏ وَلَمْ يَدْرِ أَنَّ الْمَكْرُمَاتِ تَكُونُ(٥)

---

(١) أعتبه : أزال عتبه ، أى أرضاه فأزال سبب العتب ؛ والعتب : اللوم . قال تعالى : « وإن يستعتبوا فما هم من المعتَبين » . والمعنى أن الزمان لا يفارقه ما يتذمر الناس منه ولا ينفع لومه .

(٢) جملة يرمى هى خبر زائل ، الذى هو اسم فاعل زال العامل عمل كان والخبر مقدم . ومُعان : اسم زائل مؤخر . ومرة منصوب على الظرفية لأنه أراد مرةً من الأزمنة . والمعنى لا يزال المُعان يرمى مرةً فهو ساعتئذ مستعان به يرمى عن غيره ، ويُرمى مرة أخرى فهو ساعتئذ مُعان من غيره ، فلا تجد أحداً مستعاناً دائماً ولا معاناً دائما ، يريد أن دوام الحال ليس من طبع الزمان ، فأناد هذا المعنى بشىء من التعقيد المعنوى .

(٣) أى أن الكرام يحبون قبول كرامتهم ويهينون من يأبى قبولها ، يريد ويعكسهم اللئام ، وفى المثل : « لا يأبى الكرامة إلا لئيم » ووجه المناسبة لما قبله أن أهل الزمان ضدان ، والزمان لا يخلو من الأحوال المتضادة .

(٤) كَعْب ، هو كعب بن ربيعةَ بن عامر بن صَعْصَعَةَ ، وهو أبو عُقَيْل الذين هم موالى بشار .

(٥) قال المبرد : عبيد الله بن قزعة ، هو أبو المغيرة ، وهو أخو الملوى المتكلم ، والملوى من أصحاب إبراهيم النظام اهـ .

قُلْ لأَبِي يَحْيَى مَتَى تُدْرِكُ العُلَا ... وفِي كُلِّ معروفٍ عليك يَمِينُ[1]

إذا جِئْتَهُ في حاجةٍ سَدَّ بابَهُ ... فلم تَلْقَهُ إلاَّ وأنتَ كَمِينُ

* وأنشد له الراغب في المحاضرات صفحة ٢٨٩ جزء ١ ، وفي غرر الخصائص صفحة ٢٨٦ بيتاً لعله من الأبيات الخمسة التي قبله :

إذا سَلَّمَ المسكينُ طار فؤادُه ... مخافةَ سُؤْلٍ واعتراه جُنُونُ[2]

* وأنشد له في العقد الفريد صفحة ١٠٣ جزء ١ :

حَتَّى مَتَى لَيْتَ شِعْرِي يابنَ يَقْطِين ... أُثْنِي عليكَ بما لا مِنْكَ تُولِينِي[3]

أمَا علمتَ جَزَاكَ اللهُ صَالِحَةً ... عَنِّي وَزَادَكَ خيراً يابْنَ يقطين[4]

أنِّي أُرِيدُكَ للدنيا وزينتِها ... ولاَ أُرِيدُكَ يومَ الدِّينِ للدِّينِ

* وأنشد له العكبري في شرح المتنبي صفحة ١٠٦ جزء ٢ والجرجاني في الوساطة صفحة ٢٢٠ والموازنة صفحة ١٢٥ :

خُلِقُوا سَادَةً فكانوا سَواءً ... كَكُعُوبِ القَنَاةِ تَحْتَ السِّنَانِ[5]

---

(١) ذكر ابن خلكان البيتين الأخيرين من هذه الأبيات وأن بشاراً قالها يهجو حماداً عجردا ، وهذا مخالف لما حكاه المبرد ، وكان الذي أوهم ذلك ابن خلكان تكنيته بأبي يحيى فظنه يعني حماداً لأن حماداً هو ابن يحيى وهذا وهم ، لأن الذين ترجموا حماداً لم يذكروا أنه يكنى أبا يحيى ، بل كنيته أبو عمر ، فلعل لعبيد الله بن قزعة كنيتين : أبو المغيرة وأبو يحيى .

(٢) المسكين : الشديد الفقر .

(٣) ابن يقطين هو علي بن يقطين ، كان من أصحاب بشار ومن المتهمين بالزندقة ، وقتل في خلافة المهدي سنة ١٦٩ ، وهي السنة التي اشتد فيها المهدي في طلب الزنادقة ، فقتل فيها علي بن يقطين .

(٤) في كامل المبرد صفحة ٢٠ جزء ٢ نسبة هذا البيت والذي بعده إلى إسماعيل بن القاسم ، وقبلهما بيتان آخران ليس منهما البيت المتقدم .

(٥) في رواية الموازنة : « قادة » ، قال الآمدي في كتاب الموازنة : أخذه البحتري فقال :

• وأنشد له الشريشى فى شرح المقامات صفحة ١١٦ جزء ١ [1] :

قالوا العَمَى مَنظرٌ قَبيـــحٌ   قُلْنَـا بفَقْدِى لَـكُمْ يَهُونُ
تَاللهِ ما فى البِلادِ شَىْءٌ   تَأْسَى على فَقْدِهِ العُيُون

• وأنشد له فى البيان صفحة ١٤٨ وصفحة ٢٥٠ جزء ٣ وصفحة ١٨٨ جزء ١ :

مِنْ فَتَاةٍ صُبَّ الجَمَالُ عَلَيْهَا   فى حديثٍ كَلَذَّةِ النَّشْوَانِ [2]
ثُمَّ فَارَقْتُ ذاكَ غيرَ ذَمِيـــمٍ   كلُّ عَيْشِ الدُّنْيَا وإنْ طَالَ فَانِ

= كالرمح فيه بِضعَ عشْرَةَ فَقْرَةً   مُنْقَادَةٌ تحتَ السنان الأَصْيَدِ

والكُعوب جمع كعب : وهو الفقرة فى قناة الرمح . قال زياد الأعجم :

وكنتُ إذا غَمَزْتُ قَنَاةَ قَوْمٍ   كَسَرْتُ كُعُوبَهَا أوْ تَسْتَقِيما

(١) نسب الصفدى هذين البيتين إلى أبى العلاء المعرى . انظر شرح الطغرائية ص ٢٨٤ جزء ٢ ، والمقدمة العاشرة من نكت الهميان .

(٢) رواه الجاحظ فى موضعين من الجزء الثالث من البيان « من فتاة » و« فى حديث » ، ورواه فى الجزء الأول « وفتاة » و« من حديث » وهذه الرواية أظهر ، أى يزداد حسنها إذا تكلمت ، فيكون كقوله المتقدم :

وبِكْرٍ كنُوَّارِ الرِّياضِ حديثُها   تَرُوقُ بوجهٍ واضحٍ وقَوَامِ

وعلى الرواية الأولى يكون البيت متصلا ببيت قبله ، والمعنى واحد . وقد استعار الصَّبّ الذى حقيقته إفراغ الماء دفعة لإعطاء الكثير من الحسن ، كما استعار التيمى الشَّنَّ فى قوله :

لعَنَ الإلاهُ تَمِلَّةَ بنَ مُسَافِرٍ   لَعْنًا يُشَنُّ عليه من قُدَّامُ

أى لعنا كثيراً ، واستعارة صفات المياه الكثيرة فى العطاء شائعة فى الكلام البليغ . قال علقمة بن عبدة يستعفى الحارث بن جبلة عن أخيه شأس بن عبدة وكان أسيرا عنده :

وفى كل حىّ قد خبطت بنعمة   فحَقٌّ لشأْسٍ من نَدَاكَ ذَنُوب

وقال تعالى : « فإن للذين ظلموا ذَنوبا مثلَ ذَنُوب أصحابهم فلا يستعجلون » . والذنوب : دلو الماء . ومنه قول الناس : أفاض علىّ من عطائه وغرقنى بإنعامه . وشبهوا الكريم بالغيث والوابل .

● وأنشد له في المحاضرات صفحة ٦٣ جزء ٢ :

إذا الحربُ قامتْ بهم شمّروا   وكانوا أسِنّةَ خُرْصَانها[١]

● وأنشد له في الأغاني صفحة ٦٤ جزء ٣ أنه مات له حمار فرآه في النوم فقال له : لماذا مُتَّ ؟ ألم أكُنْ أحسن إليك ؟ قال الحمار[٢] :

سيّدي خُذْ بِي أتانًا   عندَ بابِ الأصْبَهانِي[٣]

تيمتني ببنانٍ   وبدَلٍّ قد شجانِي[٤]

تيَّمتني يومَ رُحْنا   بثناياها الحِسانِ

وبغُنْجٍ ودلالٍ   سَلَّ جسمي وبَرانِي[٥]

ولها خَدٌّ أسيلٌ   مِثْلُ خَدِّ الشَّيْفَرانِي[٦]

فلِذا مِتُّ ولو عِشْتُ إذًا طالَ هَوانِي

---

(١) قال ابن النبيه :

نجا وأسلم للخرصان أسرته   فصيد القوم رزق النسر والسيد

والخرصان ، جمع خُرْص ، مثلث الخاء : وهو الرمح .

(٢) كانت الحُمُر رَكوب أهل العراق ومصر ، ولكثير من الشعراء ذكر لحمرهم في أشعارهم ، وكان لأبي الحسين الجزار حمار مات فرثاه بعدة مراث جمعها بعض معاصري الصفدي في مجلد . قال الصفدي : ولم أر هذا المجلد .

(٣) لعل الأصبهاني هذا كانت له أتن فارهة . ومعنى خذ بي : خذ بدى أتانَ الأصبهاني . والأتان : أنثى الحمير .

(٤) البِنان ، بكسر الموحدة ، جمع بَنَّة بفتح الباء : الرائحة ، وللحمير رائحة كريهة عند الناس لكنها مألوفة لنوعها . والدل ، بفتح الدال : إظهار المرأة الاعتزاز بحسنها ، وإظهار الصلابة في المعاملة تحببا لا جِدًّا .

(٥) الغُنج ، بضم الغين المعجمة وسكون النون : غزل المرأة مع محبها . والدلال هو الدل المتقدم آنفا . والمرأة الغَنِجة ، بفتح الغين وكسر النون : هي المعروب ، يسميها أهل المدينة الغنجة ويسميها أهل مكة الشَّكِلة .

(٦) سئل بشار : ما الشيفراني ؟ فأجاب سائله : هذا من غريب الحمار فإذا لقيته فاسأله .

• وأنشد له التبريزى فى شرح الحماسة صفحة ١٢٠ جزء ١ ، وهو بيت مشهور :

أنا المُرَعَّثُ لا أخفَى عَلَى أحَدٍ ذَرَّتْ بِيَ الشمسُ للقاصِى والدَّانِى(١)

• وأنشد له فى الصبح المنبى صفحة ١٥٤ :

حُشَاشَةٌ ودَّعَتنِى يومَ بَينِهِمُ وشَيَّعَتهم وخلَّتنِى وأحزانِى(٢)
وقد أشاروا بتَسليمٍ على حذر من الرقيب بأطرَافٍ وأجفَانِ

• وأنشد له فى المختار صفحة ٤٨ :

هل تعلمين وراء الحبِّ منزلةً تُدنِى إليكِ فإنَّ الحبَّ أقصانى(٣)

---

(١) أحسب أن هذا البيت هو عين البيت الواقع فى الديوان عدد ٧٢ ورقة ٩ بلفظ « الدانى والنائى » ، فى حرف الهمزة ، فاشتبه على ناقليه ، ويجوز أن يكون أعاده بشار فى قصيدة نونية .

(٢) الحشاشة ، بضم الحاء وتخفيف الشين المعجمة : بقية الروح فى المريض ، ومعنى ودعته : أنها زالت منه فبقى بلا روح . وتقدم فى البيت الثانى من صفحة ٢٦ من الجزء الثانى ، وأخذه المتنبى فقال :

حُشاشة نفس ودَّعتْ يوم ودعوا فلم أدر أىَّ الظَّاعِنَيْن أشيِّعُ
أشاروا بتسليم فجُدْنَا بأنفُس تَسِيل من الآماق والسُّمُّ أدْمُعُ

(٣) ذكر الراغب فى المحاضرات صفحة ١١٠ جزء ٢ أن بشاراً أنشد امرأة هذا البيت فيحمل على أنه من شعره ، ونسبه إليه ابن عبد ربه فى العقد الفريد صفحة ٢٣٠ جزء ١ ، وفى عيون الأخبار صفحة ١١ جزء ٣ ، وذكر أبو الطاهر فى شرح المختار أن البيت ليعقوب ابن عبد الرحمن المخزومى صاحب عمر بن أبى ربيعة ، وأن بشاراً استعاره وبنى عليه بقية أبياته ، وأنه قد كان ادعى هذا البيت قبله شاعر يقال له أبو مرة المدنى ، وبناه على بيت آخر وبعث بهما إلى أهل مكة ، وأن أهل مكة نظروا فإذا هذا البيت أحد البيتين معروف ليعقوب بن عبد الرحمان ، وأنهم كتبوا أبيات يعقوب المخزومى كلها وفى ضمنها هذا البيت ، ووجهوا بها إلى المدينة وارتفعوا إلى عامل المدينة ، وأنه أدب أبا مرة على السرقة ا هـ . وكنت رأيت هذا البيت فى جملة أبيات يعقوب المخزومى فى بعض كتب الأدب نسيته الآن ، وهى قصيدة مدحى وهى هذه :

يا رِئمُ قُولِي لِمِثْلِ الرِّئمِ قدْ هَجَرَتْ　　يَقْظَى فما بالُها في النَّوم تَغْشَانِي (١)
لَهْفِي عليْها ولَهْفِي مِنْ تَذَكُّرِها　　يَدْنُو تَذَكُّرُها منى وتَنْآنِي (٢)
إذْ لا يَزالُ لها طيفٌ يُؤَرِّقُني　　نَشْوانَ من حبها أو غيْرَ نَشْوانِ (٣)

● وأنشد له في روض الأخيار المختصر من ربيع الأبرار في الروضة الثلاثين :

من زَادَنَا النَّقْدَ زِدْنَا في مودَّته　　ما يَطْلُبُ الناسُ إلا كُلَّ رُجْحَانِ (٤)

= قد قلتُ حين بدا لي محْلُ سيدتي　　وقد تَعَاظَمَ بي شوق وأحزاني
هل تعلمين وراء الحب مَنْزِلَةً　　تُدْنِي إليكِ فإن الحب أقصاني
قالت نعم قلتُ ماذا كُمْ لسيدتي　　وطاعةُ الحب تَنْفِي كُلَّ عِصْيَانِ
قالتْ فدَعْنَا بلا صُرْمٍ ولا صِلَةٍ　　ولا صدود ولا في حال هجران
حتى يشُكَّ وُشَاةٌ قد رَمَوْكَ بنَـا　　وأعْلَنُوا بكَ فينا أيَّ إعْلَانِ

(١) الرئم الأول : علم امرأة جعلها واسطة بينه وبين خليلته ، والرئم الثانية : الظبية البيضاء . وقوله : قد هجْرت الخ ، هو مقول القول .

(٢) اللهف ، بفتح الهاء وسكونها : مصدر لهف ، بوزن فرح ، أي حزن وتحسر ، وهو يستعمل غالباً مفعولا مطلقاً نائباً عن فعله ، أي أتلهف لهفاً ، وعليها متعلق بلهف ، وكذلك منّا متعلق بلهف الثاني ، وكلا اللهفين من حال المتكلم ، إلا أن اختلافهما بالمتعلق ، وهذا مثل استعمال : ويل في قول الأعشى : « ويل عليك وويل منك يا رجل » ، فلهفى عليها تحسر على حالها مستعمل في التعجب من حالها ، إذ تزوره في نومه وتهجره في يقظتها . ولهفي من تذكرها تحسر على نفسه ناشيء عن عدم نسيانه إياها ، وجملة يدنو تذكرها الخ ، بيان لجملة لهفي من تذكرها .

(٣) نشوان : حال من ياء المتكلم في يؤرقني . والنشوان : فعلان من نشا نشواً ، أي سكر ، أي يزيل طيفها النوم عني ولو كنت نشوان ، لأن شأن النشوان ألا يوقظه شيء .

(٤) الذي في محاضرات الراغب صفحة ١١٠ جزء ٢ أن هذا البيت أحد بيتين أجابت بهما قينة كان يهواها بشار حين أنشدها : « هل تعلمين وراء الحب . . . البيت » وفي شرح المختار صفحة ٥٠ أن بشاراً كتب به إليها وأنها أجابته بهذا البيت وبيت قبله وهو :

نعم أقول وراء الحب منزلة　　بذل الدراهم يدني كل إنسان

• وأنشده في المختار صفحة ٦٦ وفي بهجة المجالس البيتين الأولين فقط :

قد أذهَبَ الداء حُسّادِي بكثرتهم ولو فَنُوا عزَّ دائي مَنْ يُداوِيني(١)

لا عِشْتُ خِلْواً من الحُسّادِ إنّهُمُ أعزُّ فقداً من اللاّئي أحبُّونِي(٢)

أبقَى ليَ الله حُسّاداً وغمَّهُمُ حتى يموتوا بداء غيرِ مكفُون(٣)

• وأنشد له في المختار صفحة ٣٤٠ :

حَسْبُ قلبي ما به من حُبِّها ضاقَ من كِتمانه حتى عَلَنْ

---

(١) المراد بالداء داء الحسد ، فالداء فاعل أذهب ، والمعنى أن داء الحسد أفناهم ، لأن الحسد يثير في نفس الحاسد حرقة وغيظا ، فإذا دام أفضى بصاحبه إلى الهلاك . ولذلك يقال : حرق عليه الأرم . وقال بشار أو غيره « ومات أكثرنا غيظا بما يجد » فكنى بشار بفناء حساده عن دوام ما حسدوه عليه حتى نهك الحسد جسومهم فأتلفهم ، كما قال الحارث ابن حلزة :

فبقينا على الشَّناءةِ تَنْمِينَا حصون وعِزَّةٌ قَعْسَاء

قبلَ ما اليومِ بيَّضَتْ بعيون الناس فيها تَغَيُّظٌ وإباء

والباء في قوله بكثرتهم ، للملابسة ، أي مع كثرتهم . وقوله : ولو فَنُوا : يقتضي أنه قد بقيت منهم بقية ، أي ولو انقرض جميعهم لحزنت لفقدهم ، فلم يستطع طبيبي أن يداوي حزني على خلوي من الحساد . ويعضد هذا المعنى البيت الثالث . وضبط في طبعة مختار المختار همزة الداء بفتحة ، فيصير المعنى قد أذهب حسادي دائي ، أي شئ حسدهُمْ غليل ، وتكون الباء في بكثرتهم للسببية ، لأن كثرة الحساد تؤذن بكثرة الخلال المحسود عليها ، ولو انقرضوا لبقيت خلواً من الحساد ، وتلك حالة من ليس من أهل الشرف . وعز : معناه أعجز وغلب ، قال تعالى : « وعزني في الخطاب » . وقال مجنون بني عامر :

قطاةٌ عزَّهَا شَرَكٌ فباتت تُجاذبه وقد عَلِقَ الجناح

ومن يداويني : مفعول عز .

(٢) استعمل اللاء اسم موصول لجماعة الذكور على وجه الشذوذ ؛ قال أحد بني سُلَيم :

فما آباؤنا بأمَنَّ منه علينا اللاّء قد مَهَدُوا الحُجُورا

(٣) يعني أبقى الله لي حساداً يخلف فريق منهم الفريق الذين يموتون من الحسد ، فهو لا يخلو من الحساد ، وهم لا يموتون إلا بداء الحسد .

لا تَلُم فيها وحَسِّنْ حبها　　كلُّ ما قَرَّتْ به العَيْنُ حَسَنْ

• وأنشد له فى كتاب الزَّهْرة صفحة ١٦٥ :

أمْ بأنْ أقول وَدِدْتُ أنِّى　　سَلَوْتُ فما يُطَاوِعُنى لِسَانى

• وأنشد له فى الزَّهْرة صفحة ٣٤٨ :

أُحِبُّ بأن أكونَ على بيانٍ　　وأخشى أن أموت من البَيَان (١)

فَقَدْ أصبحْتُ لاَ فَرِحًا بدُنيا　　ولا مستنكِراً دَارَ الهَوانِ (٢)

يقَلِّبُنى الهوى ظَهراً لبطْنٍ　　فما أخْفَى على أحد بِرانى (٣)

• وأنشد له فى البيان صفحة ١٢٢ جزء ٢ :

وخَدٍّ كعَصْبِ البُرْدِ حَمَّلْتُ صاحِبى　　إلى مَلِكٍ للصَّالِحَات قَرِينِ (٤)

---

(١) البيان : فصاحة التعبير وبلاغة القول ، ومعنى هذا أنه يحب أن يكون من أهل البيان ، لأن البيان كمال ، والنفس تحب الكمال ، ولكنه يخشى أن يموت بسبب كلام من بيانه يغيظ أهل الاستبداد أو أهل المكر . ومن ابتدائية .

(٢) يريد أن زمانه زمن فتنة فلا فرح له بما فى الدنيا من اللذات ، وهو فى نكد من عدم استطاعة إنكار معاملته بالهوان ، ودار الهوان : مجاز عن حالة المعاملة بالهوان .

(٣) قوله : ظهراً لبطن : تمثيل لحالة تمكن الهوى منه وظهور آثاره عليه ، فصار مشهوراً به لا يخفى . وانتصب ظهرا على البدل من ياء المتكلم بدل مفصل من مجمل أو بدل بعض ، أى يقلب ظهرا منى لأجل بطن ، أى يقلب الظهر ليقلب عقبه البطن .

(٤) العصب ، بفتح فسكون : ضرب من برود اليمن محكم النسج ، واليمن كانت مشهورة بجودة المنسوجات ، فن نسجها الحبرة ؛ ومنها الريط ، ومنها البرود النجرانية والسحولية ، وكلها مخططة بالألوان والأشكال . قال النابغة :

له خُلُجٌ تَهْوِى فُرَادَى وتَرعوِى　　إلى كل ذى نِيرَيْنِ بادى الشَّوَاكِل

وقال أبو الأسود :

كبُرْدِ اليمانى قد تقادم عهدهُ　　ورُقْعَتُه ما شئتَ فى العينِ واليد

وقال بشار فى الافتخار بلبسه : « أرْوِى النَّدَامَى وأجُرُّ العَصْبا » تقدم فى ١٨ من ١٣ .
وقال ابن شرف فى لبس حسناء (قلائد العقيان صفحة ٢٥٢) :

• وأنشده فى المجموعة الأدبية ورقة ٤١ :

وجاريةٍ يُغْـــلِى بأمثالِها الفتى   شَمُوفٍ لألبابِ الرجالِ قَتُونِ(١)

- قَامتْ تجرُّ بُرُودَ العَصْبِ والحِبَرِ   ضعيفةُ الخطْوِ والميثاقِ والنظَرِ

وقد شبه بشار الحديث والكلام بالسحر فى قوله :

وكأنَّ تحت لسانِهــا   هاروتَ ينفثُ فيه سِحرا

وبلذة السُّكْر فى قوله « بحديث كلذة النشوان » وبالبرود المزينة فى قوله : « وحديثٍ كالوشْىِ وشْىِ البرُود » . وبزهر الرياض فى قوله :

وكأن رَجْـــعَ حَدِيثِها   قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِينَ زَهْرا

وقوله :

وبكر كنُوّار الرياض حديثها   تروق بوجه واضح وقوام

وقوله :

وحديث كأنه قطع الرو   ض وفيه الصفراء والحمراء

وقد شبهوا حسن القول وجيد الشعر بالبرود اليمنية ، كما قال بشار : « وحديث كالوشى وشى البرود » ، تقدم فى صفحة ٢٧٢ الجزء ٢ ، وقال ابن ميادة (صفحة ١٥٨ جزء ١ من البيان للجاحظ) :

نعم إننى مهدٍ ثناء ومِدْحة   كبُرد يمانٍ يَرْبَحُ البيعَ تاجِرُه

وقال أبو قردودة (صفحة ١٥٩ جزء ١ من البيان) يرثى أبا عمار الطائى قتيل النعمان ابن المنذر :

يا جَفْنَةً كإزاءِ الحوضِ قد هَدَمُوا   ومَنْطِقاً مثل وَشْيِ اليُمْنَةِ الحِبَرَةْ

والمعنى أنه مدح بكلام فصيح بليغ .

(١) قال صاحب المجموعة : يعنى بالجارية قصيدة قالها فجرت على أفواه الرجال لجودتها . ويغلى بأمثالها الفتى ، أى هى من الشعر الذى يعطى عليه الممدوح ويرغب فيه . والقتون من الحيوان : ما قل أكله ، والقتين : القليل الأكل ، أى جارية ليست مما يأكل ويشرب . والحوباء : النفس ، أى عضت لهذه القصيدة نفسى حتى جاءت على هذه الصفة فقصدت لها ملكا أو صرفتها إلى تشبيب اهـ . أقول : أراد أن بشاراً سلك فى هذين البيتين مسلك الإلغاز والمعاجاة ، فجاء بألفاظ كلها تورية ذات معان قريبة ومعان بعيدة ، وأراد منها المعانى البعيدة ، فلفظ جارية شائع فى المرأة المملوكة ، والمراد اسم فاعلة من الجرى المجازى المستعار للانتشار والفشو . —

مَحَضْتُ لها الحَوْبَاءَ حتى استَتَرْتُها لِسَائِسِ مُلْكٍ أو كَوَاعِبِ عِينِ

* وأنشد له فى الظرائف واللطائف صفحة ٩ :

إنَّ دَهْرًا يَضُمُّ شَمْلِي بِسَلْمَى لَزَمَانٌ قَدْ هَمَّ بالإحْسَانِ (١)

* وأنشد له فى المختار فى صفة مُنْتَشٍ صفحة ٢٧٠ :

دارتْ له الـكَأْسُ حتى زاحَ باطِلُهُ فطَرْفُه نائِمٌ فى عَيْنِ يَقْظَانِ (٢)

رَيْحَانَةُ القَلْبِ لو كانَتْ تُسَاعِدُنى إذنْ رَضِيتُ بها مِن كُلِّ رَيْحَانِ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣٢ جزء ٣ :

— ولفظ يغل متبادر فى وفرة الثمن ، واستعاره لتوفير العطاء . وشعوف ، بشين وعين مهملة ، فعول ، من شعفت إذا تمكن حبها من شعاف قلب محب لها . والشعاف ، بكسر الشين : نياط القلب ، وشعوف ، فعول ، بمعنى فاعل يستوى فيه المذكر والمؤنث ، أى شاعفة ، وإسناد الشعف إليها مجاز عقلى ، لأن الذى يشعف هو حبها . والألباب العقول والقلوب ، والمراد التورية بالمعنى المستعار له شعوف ، وهو شدة الرغبة فى سماعها . وتكون ترشيح للإلغاز لأنه من ملائمات المعنى القريب لجارية لأنهم كانوا يحمدون فى الجوارى قلة الأكل لئلا يغلب عليها الشحم فيذهب بكثير من محاسن القد ، وأيضاً كانوا يعدون الجارية الأكول معيبة ، واستعار بشار القتون لشىء اللى لا يأكل لتتم له التورية . وأو فى قوله أو كواعب عين : للتقسيم ، أى بعض القصائد قصدت بها ملكا وبعض القصائد قلتها تغزلا ، وذلك أن واو رب دات على كثرة القصائد .

(١) هذا البيت مذكور فى دلائل الإعجاز لعبد القاهر صفحة ٢٣٠ غير منسوب إلى أحد ، وفى روايته « يلف شمل بسعدى لزمانٌ يهمّ » الخ . ومعنى اللف الاشتمال بشقة ثوب ، استعارة للقاء والاتصال ، وكذلك الضمير . والشمل : هو جماع عددهم وأمرهم . ويقال فى الدعاء للقريب : جمع الله شملك . والمعنى أنه زمان عليه سيما إرادة الإحسان ، أى يخالف عادة الأزمنة لأن الناس يتوهمون الزمان والدهر والدنيا ونحو ذاك حريصة على الإساءة إلى الناس .

(٢) يظهر أن ضمير له عائد على اسم مذكور فيما قبله ، مثل نديم أو شخص ، وقد بينه بقوله ريحانة القلب ، فيقدر الحبيب . والريحانة تشبيه بليغ ، أى هى كالريحانة القلب فى حسن المنظر والخبر . وزاح : زال وانقشع ، والباطل : ما كان فى النديم من الهذيان والبذاءة والشتم فى حال سكره ، أى شرب الخمر حتى غلبه السكر فسكت بعد أن هذى .

غَنِّي لِلْغَرِيضِ يا ابْنَ قُنَانِ(١)

وأن من هذه القصيدة قوله :

وَرَاهَا   فى هلالُ السماء بالبَرَدَانِ(٢)

* وأنشد له فى كتاب الآداب وفى كتاب الصديق وأربعة منها فى كتاب الزهرة(٣) غير معزوة ، وهى الأولان والرابع والخامس :

خَيْرُ إخْوَانِكَ الْمُشَارِكُ فى الْمُرِّ   وأَيْنَ الشَّرِيكُ فى الْمُرِّ أَيْنَا

---

(١) قيل لبشار : من هو ابن قنان ، لسنا نعرفه من مغنيى البصرة ؟ فقال : وما عليكم منه ! ألكم دين قبله ؟ قالوا : ليس بيننا وبينه شيء ، إنما أردنا أن نعرفه . قال : هو رجل يغنى لى ولا يخرج من بيتى . والغريض : هو المغنى المشهور ، اسمه عبد الملك ، والغريض لقبه ، بفتح الغين المعجمة وكسر الراء . والغريض : الأبيض الطرى من كل شيء ، ومنه سمى الطلع إغريضاً ، ولقب به لأنه كان أبيض الوجه نضراً غض الشباب حسن المنظر ، وهو من الموالى ، من مولدى البربر ، مخنث ، وولاؤه للثريا صاحبة عمر بن أبى ربيعة وأخوات ثلاث لها ، هن بنات على بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بمكة ، وكان يحسن ضرب العود ونقر الدف والتوقيع بالقضيب ، أخذ الغناء عن ابن سريج وكان يخدمه ، ولما رأى ابن سريج ظرفه وحسن منطقه وحسن غنائه ، خشى أن يأخذ غناءه ، ولما اشتهر غناؤه ، لما كان فى غنائه من الشجا . وغنى الأرمال والأهزاج فلم يفرق سامعه بينه وبين ابن سريج . وقال البصراء بالغناء : ابن سريج أحكم صيغة ، والغريض أشجى غناء . وقد عاش الغريض عمراً طويلا ، وخرج فى آخر عمره إلى بلاد عَكّ من اليمن ، فاستوطنها فى زمن الوليد بن عبد الملك ، وتوفى فى خلافة سليمان بن عبد الملك على الأصح ، وقيل فى خلافة عمر بن عبد العزيز . ومعنى غنى للغريض : غنى أصواتا فيها ألحان تنسب للغريض .

(٢) يحتمل أنه عنى بالبردان ماء لبنى عُقيل بنجد ، وبنو عقيل موالى بشار كما تقدم فى المقدمة . تخيل أنه زار مواطن مواليه ، أو حكى زيارته ، ويحتمل أنه أراد به موضعاً خارج بغداد ، وكان بشار قاطناً بغداد ، ويحتمل أنه أراد به اسم مكان فى منزله كان يجلس فيه بالغداة كما تقدم فى صفحة ١٥ من المقدمة فى الجزء الأول ، وفى ٢ من صفحة ٢٥٦ ، وأراد بهلال السماء حبيبته .

(٣) كتاب الزهرة فى الإخوان لحفيد وكيع بن خلف ، وكنى نفسه فى أثناء الكتاب أبا محمد ، وأحسب أن اسمه على بن عيسى . نسخة وحيدة فى العالم مخطوطة بمكتبتنا نسخت سنة ٤٦٣ .

الذى إن شَهِدْتَ سَرَّكَ فى الحـــىِّ وإن غبتَ كانَ أُذْنًا وعَيْنَا[1]

مِثْلَ حُرِّ الياقوت إنْ مَسَّه النَّا ... رُ جَلَاه البلاءُ فازداد زَيْنَا[2]

أنتَ فى معشر إذا غبتَ عنهم ... بدَّلوا كل ما يَزِينُكَ شَيْنـا[3]

وإذا ما رَأَوْكَ قالوا جميعاً ... أنتَ من أكْرَمِ الرجال علينـا

ما أرى للأنامِ وُدًّا صحيحاً ... عادَ كل الأنام زُوراً وَمَيْنَا[4]

---

(١) أراد كان أذنا لك وعينا لك ، أى كالأذن وكالعين فى إبلاغ ما يهم صاحبه من الأخبار والمشاهدات .

(٢) الياقوت : معدن من الحجارة الكريمة ، له شعاع فى لون حبّ الرمان ، وهو مثل ألوان حب الرمان يكون قانيا وتكون حمرته إلى البياض ، والأجودُ منه الأحمر ، ومنه صنوف ذات ألوان من زرقاء وصفراء وسوداء ، ولكن المعروف الأجود هو الأحمر ، وهو الحُرُّ منه ، ويسمى عندنا الرُّوبيل ، ومن خواصه أنه لا تؤثر فيه النار ، وإذا وضع فى النار ازداد جلاء وحمرة ، ويوجد فى الجبال الشاهقة من لاهور وسرنديب ، وتجرفه السيول فتخرجه من معادنه أحجاراً متفاوتة . وغير الحُر منه يتأثر بالنار ، وإلى هذا المعنى أشار بشار . والحُر من كل شىء الخالص منه . والمعنى تشبيه هذا الصاحب بأنه يثبت على المكاره ولا يتغير بالحوادث . وذكر ابن خلكان فى ترجمة يعقوب المنجنيقى بيتين قال إنهما منسوبان إلى جماعة من الشعراء ولا يُعرف قائلهما على الحقيقة ، أولها :

أَلْقِنِى فى لَظًى فإنْ أَحْرَقَتْنِى ... فتَيَقَّنْ أَنْ لستُ باليـاقوت

ورأيت فى هدية الأريب للشيخ الجد المقدس محمد الطاهر ابن عاشور أنهما لوزير اسمه ياقوت ، كتب بهما إلى مليكه فى نكبة نالته منه ، وذكر معهما قصة . ونسبهما الصفدى فى شرح لامية الطغرائى إلى الوزير يعقوب المنجنيقى ، ولعل الصفدى لم يقف على كلام ابن خلكان . ومما ينسب إلى الحريرى وأنشده صاحب العباب ورقة ١١٦ من أبيات :

وطَالَمَـا أُصْلِىَ اليَاقُوتُ جَمْرَ غَضًى ... ثم انطفَى الجَمْرُ والياقوتُ ياقوتُ

(٣) أى تحدثوا عنك بمساو ليست فيك ، وفيك أضدادها .

(٤) الزور : الباطل والكذب فى صورة الحق تمويها . والمين : الكذب مطلقاً . وأخبر عن الأنام بالزور والمين مبالغة . والأنام اختلف فيه : فقيل اسم للناس خاصة . وقيل هو اسم للحيوان . وبهما فسر قوله تعالى : « والأرض وضعها للأنام » . وفيه لغات ثلاث : أنام كسحاب ، وآنام كساباط ، وأنيم كأمير ، ويظهر أنه اسم جامد .

* وأنشد له في العقد الفريد صفحة ١٤٧ جزء ٣ في هجاء سليمان بن علي (١) :

يا سَوْأَةً يُكْثِرُ الشَّيطانُ إن ذُكِرَتْ ... منها التَّعَجُّبَ جاءتْ من سُلَيْمانا
لا تَعْجَبَنَّ لِخَيْرٍ [زال] من يده ... فكَوْكَبُ النَّحْسِ يَسْقِي الأرضَ أحْيانا (٢)

* وأنشد له في المجموعة الأدبية ورقة ٥٤ :

كأنها روضةٌ منــــوَّرة ... تَجْمَع طِيبا ومَنْظَراً حَسَنا (٣)

* وأنشد له في الأمالي صفحة ١٥١ جزء ٣ :

إنّني أشتهي لقاءكِ واللــــهِ فماذا عليكِ أن تَلْقَاني (٤)
قد تَلُفُّ الرياحُ غُصْناً من البا ... نِ إلى مثله فيلتقيان (٥)

---

(١) قال في العقد الفريد : ومن تقبيح الحسن قول بشار هذا ، وكان سليمان وصل رجلا فأحسن . ونسب ابن نباتة في شرح رسالة ابن زيدون هذين البيتين إلى الخليل بن أحمد وفيها « جاء من يده » عوضا عن « زال من يده » وهو أحسن .

(٢) النحس : سوء الحال ، قال حُمَيْد الأرقط :

تأوّبَهَا في يوم نحس وقِيرَّة ... خليل أبو الخَشْخَاش والليلُ بارد

والمراد بكوكب النحس ، الكواكب التي هي من كواكب البروج ، وهي التي إذا نشأ السحاب في سمتها لا يمطر ، وعكسها الأنواء ، وهي الكواكب التي إذا نشأ السحاب في سمتها أمطر ، قال الفرزدق :

يا مَنْ رأى عارضاً يُسَرُّ به ... بين ذِرَاعَيْ وجَبْهَةِ الأسَدِ

أي بين هذين الكوكبين من كواكب برج الأسد ، وهو من بروج الصيف ، وقد ورد في حديث الموطأ : نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يقولوا مُطِرْنا بنَوْء كذا ونوء كذا ، وإنما يقولون : مطرنا بفضل الله ورحمته . والمعنى أن الكوكب الذي اعتيد أن لا يمطر سحابه قد يمطر مطراً غزيراً .

(٣) ذكرت في المقدمة ما قاله الأصمعي في التنويه بهذا البيت .

(٤) إن كان كافا الخطاب مفتوحين كما ضُبطا في طبعة أمالي المرتضى ، فهو خطاب لبعض أصدقائه ، ولكن طبعة البيتين طبعة غزل وغرام ، يناسب أن يكون خطاب عشيقته ، فيكون قوله : تلقاني ، لحناً أو سهواً ، والصواب أن يقول : تلقيني .

(٥) في البيت الثاني من الأبيات اختلال الروي ، لأن الضمير لا يكون روياً ، فيجب اعتبار الحرف الذي قبله ، ففيه عيب الإجازة كقول الشاعر :

قافية الهاء

• أنشد له فى العمدة صفحة ١٠٤ جزء ١ وفى الزهرة صفحة ٨٥ :

اللهُ صَوَّرَهَا وصَيَّرَها لاَقَتْكَ أو لم تَلْقَها تَرَها[1]
نُصباً لعَيْنِك لا تَرَى حَسَناً إلا ذَكَرْتَ به لها شَبَها
إنى لأُشْفِقُ أن أُقَدِّمَها قَبْلِى وأكرهُ أن أُؤَخِّرَها[2]

قافية الواو

• أنشد له الراغب فى المحاضرات صفحة ٣٣٧ جز ١ :

قد نَامَ وَاشٍ وغَابَ ذُو حَسَدٍ فاشْرَبْ هَنيئاً خَلاَ لكَ الجَوُّ

قافية الياء

• أنشد له فى الأغانى صفحة ٣٥ جزء ٣ وصفحة ٤٩ جزء ٦[3] :

— خليلىّ سيرا واتركا الرحل إننى بمهلكة والعاقبات تدور
فبيناه يشرى رحله قال قائل لمن جمل رخو الملاط نجيب

فبين الحرفين الباء والراء تباعد فى المخرج ، وهو عيب شديد .

(١) البيتان الأولان أوردهما فى العمدة فى التنبيه على عيوب القوافى والأغلاط لفحول من الشعراء منهم بشار ، إذ سها عن أن الهاء فى « ترها » هى صلة لا تصلح لأن تكون قافية . قال وقد روى بيت بشار « تزها » بالنون والزاى ، عوضا عن الباء والراء ، جمع نزهة ، وهى الرواية المتعينة لأن رواية « ترها » بالراء صيرت الفعل مجزوما ولا وجه لجزمه ، ولا عيب فيه على هذا ، ولكن ابن رشيق لم يطلع على البيت الثالث فيبقى القول فيه كالقول فى البيت الأول . والمفعول الثانى لصيرها هو قوله نصباً لعينك ، وبين صورها وصيرها الجناس المحرف .

(٢) هذا البيت ذكره فى الزهرة ولم يذكر فى العمدة ، وبذلك لم يبق مفر من خلل قوافى هذه الأبيات . ومعنى البيت أنه لا يحب أن يموت بعدها لما يناله من الحزن ، ولا أن تموت بعده لما فيه من الغيرة .

(٣) قال جعفر بن محمد النوفلى ، وكان يروى شعر بشار : أتيت بشاراً فقال لى : —

غَـدَا مَالِكٌ بِمَلاَمَاتِهِ عَلَيَّ وَمَا بَاتَ من بَالِيَهْ[1]
تَنَاوَلَ خَوداً هَضِيمَ الحَشَا من الحور مَحْظُوظَةً عَالِيَهْ[2]
فقلتُ دع اللومَ في حُبها فَقَبْلَكَ أَعْيَتْ عُذَّالِيَهْ

— ما شعرت منذ أيام إلا بقارع يقرع بابي مع الصبح ، فقالت الجارية ، هذا مالك بن دينار ، فقلت : مالي ولمالك بن دينار ، ما هو من أشكالي ؟ ائذني له . فدخل فقال : يا أبا معاذ ، أتشتم أعراض الناس وتشبب بنسائهم ؟ فلم يكن عندي إلا أن دفعت عن نفسي فقلت : لا أعود ، فخرج ، فقلت في أثره هذه الأبيات . ا هـ . قلت : مالك بن دينار مولى بني سامَةَ بن لؤي ، أحدُ الأعلام الزهاد من صغار التابعين ، روى عن أنس بن مالك من الصحابة وعن سعيد بن جبير وعطاء من التابعين ، وروى عنه عاصم الأحول . وقد أخرج له أصحاب السنن ، وذكره البخاري في صحيحه تعليقا ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة ، وقيل سنة ثلاثين ، وقد جاء بشاراً لأجل موعظته .

(١) ما وقع في هذه القصيدة من الهاءات بعد ياءات المتكلم في الأبيات الأول والثالث والسادس والسابع هاءات سكت اجتلبت للوقف على ياء المتكلم المضاف إليها ، المفتوحة لأجل المحافظة على فتحة الياءات التي هي فتحة تخفيف ، فإن القوافي مراعى فيها الوقف وكذلك الأسجاع .

وفواصل الآيات كقوله تعالى : « فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه ، إني ظننت أني ملاق حسابيه » الآيات . وغَدَا : أي صباحا ، وقوله على متعلق بملاماته ، والباء في بملاماته للملابسة ، أي جاء ملابسا للملامات ، أي لائما .

(٢) التناول هنا مستعمل في الذكر باللسان ، شبه الذكر بالأخذ باليد ، لأنه لما لامه على الاستهتار بعبدة ووعظه فكأنه تناولها منه يريد افتكاكها . والخَوْد ، بفتح الخاء : الشابة الناعمة ، وتقدم في صفحة ٣٦٣ من الجزء ٣ ، وهضيم بمعنى مهضوم ، أي منقوص ، وهو مستعار لقلة اللحم والشحم في الخصر وما حوله ، ولم يجر هضيم على مطابقة موصوفه المؤنث ، وهو خَوْد ، لأن فعيلا بمعنى مفعول إذا جاء وصفا لموصوف يلزم التذكيرَ ، والحشا : البطن ، ويقال في صفة المرأة : هضيم الكشح ، قال امرؤ القيس :

هصرت بفودي رأسها فتمايلت علىَّ هضيم الكشح ريا المخلخل

والمحظوظة : التي أعطيت الحظ ، وهو النصيب من الكرامة والإقبال ، والحظوة : الكرامة ، تقدمت في ١٢ من ١٤٠ . وغدا في قوله : غدا مالك ، من أخوات كان ، وهي هنا تامة غير طالبة خبرا ، لأن المعنى أنه جاء في الغداة ، والهاء في بملاماته ، للمصاحبة ، وهي في موضع حال من مالك ، وعلىَّ متعلق بغدا . والبال : الخاطر والفكر ، أي وما كان من خاطري أن يغدو علي مثله ، إذ لا يغدو مثله على مثلي ، وشأن من يغدو أن يكون عن بييت في خاطر المغدو عليه ، فبات عاملة عمل كان ، ومن : تبعيضية مجازاً ، أي في بالي . وتقدم في ٢٣ من ١٨٦ . والملامات جمع ملامة ، وهي اللوم الشديد ، صيغ له صيغة المفعلة للمبالغة .

وإنّي لأكتُمُهم سِرَّها غداةَ تقولُ لها الخاليه[1]
عُبَيدةُ مالكِ مسلوبةً وكنتِ مُقرطقةً حاليه[2]
فقالتْ على رُقبةٍ إنّني رهنتُ للرَّعْثِ خلخاليه[3]

(١) أى تقول لها المرأة الخالية عن العشق فلا تفطن لأحوال أهله .

(٢) وقعت هذه الأبيات فى موضعين من الأغانى أولها فى أخبار بشار ، وثانيهما فى أخبار بشار مع عبدة خاصة ، فرواها فى الموضع الأول فى النسختين المطبوعة والمخطوطة :

عبيدة مالك مسلوبة وكنت معطرة حاليه

ورواها فى الموضع الثانى فى النسختين المخطوطة والمطبوعة هكذا :

أعبدة مالك مسلوبة وكنت مقرطقة حاليه

والرواية الثانية أحسن لأن مقرطقة أنسب بقوله مسلوبة ، وبقوله حالية ، وبقوله فى البيت بعده « رهنت المرعث خلخاليه » ، فالمقرطقة لابسة القرط ، وهو وصف اشتق من معنى لبس القرط على غير قياس ، والقياس أن يقول مقرّطة ، ولعله عدّل عنه لكراهة إيهامه أن يكون من التقريط ، وهو تقطيع الكراث ونحوه ؛ والقرط ، بضم القاف : الشنف المعلق بالأذن ، من لؤلؤة أو كرة فضة ، وقد تبعه فى هذا الاشتقاق عمر بن الوردى فى قوله :

مرَّ بنا مُقرْطقٌ ووجهُهُ يحكى القمرْ
قلتُ أبو لؤلؤة منه خذوا ثأر عمر

أراد التلميح إلى قصة طعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه من يد أبى لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة ، وفى قوله أيضاً :

رأيت مليكه المُقرطق فى خدمته قائماً فقلت ليما

وقال الخفاجى فى شفاء الغليل : أخطأ ابن الوردى فظن مقرطق بمعنى ذى قرط ، وإنما هو مقرط كما فى شرح الفصيح اه . يعنى وأما المقرطق ، فمعناه أن يكون بمعنى الذى ألبس قرطقاً ، بضم القاف والطاء ، وهو مثل القباء معرب « كرته » عن الفارسية ، ولم تبينه كتب اللغة العربية ، وقد سبق بشار بهذا ، فلعلها لغة المكثر فى بغداد وغيرها .

(٣) على رُقبة ، أى مع مراقبة الرقباء ، أى جهرت بذلك ، وهذا كقول عمر بن أبى ربيعة :

فقالت وألقتْ جانبَ السِّترِ إنّما مَعِى فتحدّثْ غيرَ ذى رُقبةٍ أهلى
فقلت لها مالى لهم من تَرَقُّبٍ ولكنّ سِرِّى ليس يحمِلُهُ مِثْلى

ويدل لهذا قولها : « ولو أجلب الناس أحواليه » . أى رهنت المرعث ، وهو بشار ، خلخالى وغيره من الحلى ، لأن السؤال عن تجردها من جميع حليها .

بمَجْلِسٍ يومِ سَأُوفِي بِهِ ... ولَوْ أَجْلَبَ النَّاسُ أَحْوَالِيَهْ(١)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٤٣ جزء ٣ فى خطاب رجل ثقيل:

هَلْ لكَ فى مالى وعِرْضى معاً ... وكُلُّ ما يَمْلِكُ جِيرَانِيَهْ(٢)

واذهَبْ إلى أبْعَدِ ما يُنْتَوَى ... لا رَدَّكَ اللهُ ولا مَالِيَهْ

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٥٢ جزء ٦ :

عَبْدَ مُنًّى وأَنْسِي ... قَدْ مَلَكْتُمْ قِيادِيَهْ

شَابَ رَأْسِي ولم تَشِبْ ... وَابَلاَئِي لِدَاتِيَهْ(٣)

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٣٩ جزء ٣ أن الخليفة المنصور خرج فى وقت الهاجرة راكباً وحوله جماعة فيهم بشار ، فقال المنصور : إنى قائل بيتاً فمن يجيزه ؟ وقال :

وهَاجِرَةٍ نَصَبْتُ لها جَبِينِي ... يُقَطِّعُ ظَهْرُهَا ظَهْرَ العَظَايَهْ(٤)

فبدر بشار بقوله :

وقَفْتُ بها القَلُوصَ فَفَاضَ دَمْعِي ... على خَدِّي وأَقْصَرَ وَاعِظَايَهْ(٥)

---

(١) قوله : بمجلس ، متعلق بقوله رهنت ، أى رهنته ضمانا فى مجلس يوم الرصال . وأجلب بمعنى صخب ، مشتق من الجلبة بالتحريك ، وهى اختلاط الأصوات . والمراد صخب القوم والنهى عن أن توفى له . وأحوال : اسم بمعنى حول ، وهو فى الأصل جمع حَوْل ، بمعنى المكان القريب ، كما ثنوه فقالوا حواليه ، ولايقصدون اثنين ولا جمعا .

(٢) الهاءات فى البيتين للسكت كما تقدم قريباً فى القطعة قبل هذه . وأراد بما يملك جيرانه ، أنهم يعطونه ذلك لأنهم ملوا من حلوله عند جارهم .

(٣) كذا ثبت فى الأغانى ، وهو تحريف صوابه لداتيه ، بتاء بعد الألف ، جمع لدة ، بوزن عدة وهو التِّرْب ، أى شاب رأسى قبل الإبان ، فلداتيه فاعل تشب ، وجملة وابلائى معترضة بين الفعل وفاعله . والهاءات للسكت كما تقدم آنفا .

(٤) ذكرت القصة فى المقدمة . والعظاية ، بفتح العين وتخفيف الظاء المعجمة : دويبة من صنف الوزغ ، أى إن حر وقت الظهر من تلك الهاجرة يشق ظهر العظاية مع اعتياده ملاقاة الشمس . والجبين أطلقه على الوجه ، من إطلاق الجزء على الكل .

(٥) أراد بهما لائميه على البكاء ، وهما الصاحبان له فى السير على طريقتهم التى جاء بها —

* وأنشد له فى غرر الخصائص صفحة ٢٧٠ وفى المحاضرات صفحة ٢٦٢ جزء ١ يستنجز وعداً :

هَزَزْتُكَ لاَ أَنِّى وَجَدْتُكَ نَاسِيًا   لأَمْرِى ولا أنِّى أَرَدْتُ التَّقَاضِيَا[1]
ولـكنْ رأيتُ السَّيْفَ من بَعْدِ سَلِّه   إلى الهَزِّ مُحْتَاجًا وَإنْ كَانَ مَاضِيَا

* وأنشد له فى الأغانى صفحة ٦١ جزء ٣ أن رجلا سأله عن منزل فوصفه فلم يهتد ولم يفهم ، فقام بشار وأخذ بيد الرجل وجعل يقوده حتى أبلغه إلى الدار وقال :

أَعْمَى يَقُودُ بصـيراً لا أبَالَـكُمُ   قَدْ ضَلَّ مَنْ كَانَتْ العُمْيَانُ تَهْدِيه

قافية الألف اللينة

إنا وضعنا قافية الألف اللينة فى آخر الحروف تبعاً لاصطلاح أهل اللغة ، وكان حقها أن لا تكون رويا لأنها مدة وليست بحرف ، ولـكن الشعراء بنوا عليها

— قول امرئ القيس : « قفا نبك » ، ومعنى أقصر أى انتهى . قال زهير : « صحا القلب عن سلمى وأقصر باطله » أى انتهيا عن وعظهما ، والوعظ هو الكلام الذى فيه إرجاع عن فعله وتشديد قلبه وتخويفه عواقب جزعه . قال امرؤ القيس :

وقوفا بها صحبى علىّ مطيهم   يقولون لا تهلك أسىً وتجمل

ومعنى انتهائهما عن وعظه أنهما رأيا من شدة شوقه ما أحدث لهما شفقة .

(١) أصل الهز : التحريك « وهزى إليك بجذع النخلة » ، ثم استعير للتنشيط والتذكير من النقلة ، وشاع حتى صار كالحقيقة ، فقالوا : هز الحادى الإبلَ إذا نشطها بحدائه ، فأطلق على النشاط الهِزَّة بكسر الهاء ، ويقال : هز عِطْفَ فلان إذا نشطه ، قال تأبط شرا :

إنى لَمُهْدٍ من ثَنَائِى فقاصِدٌ   به لابن عَمِّ الصِّدْقِ شمسِ بنِ مَالك
أَهُزُّ به فى نَدْوةِ الحى عِطْفَه   كما هَزَّ عِطفى بالهِجان الأَوَارِكِ

وأراد بشار هذا المعنى وهو التنشيط للعطاء ، أى التعجيل به ، ولذلك قال : « ولا أنى وجدتك ناسيا   لأمرى . . . » . والتقاضى طلب قضاء الدين ، أى لا حق لى عليك حتى —

قصائد كثيرة من عهد الجاهلية ، وهى المسماة بالمقصورة ، وهذا خلاف ما فعله جامع ديوان بشار ، إذ جعل القصائد التى على قافية الألف عقب ذوات حرف الهمزة ، وهو تسامح مبنى على أن اسم الألف عند المتقدمين يطلق على الهمزة وعلى الألف اللينة .

● أنشد له فى العقد الفريد صفحة ١٥١ جزء ٣[1] :

مِن حُبِّها أَتَمَنَّى أَنْ يُلاقِيَنِى مِن نَحْوِ بَلْدَتِها نَاعٍ فَيَنْعَاهَا[2]
كيما أقُولَ فِراقٌ لا لِقاءَ لَهُ وتُضمِرَ النَّفْسُ يَأْساً ثُمّ تَسْلاها[3]

= أتقاضاه ، بل أنت أهل الفضل . وهَزُّ السيفِ : صَقْله ومَسْحه إعجابا به ، ويقال : سيف هَزْهَازٌ ، أى صاف ذو رونق . شبه الممدوح فى تحريك أريحيته لتعجيل العطاء بالسيف يسله صاحبه ثم يمسحه ، لا لأنه يصلح للضرب ، بل لزيادة جلاء حسنه ، فى قوله : هززتك ، استعارة تبعية ، وتقدم فى صفحة ١٠٥ من الجزء الثالث وفى قوله : ولكن رأيت السيف الخ ، تشبيه ضمنى لاصريح ، لأنه يؤول إلى معنى أنت كالسيف يسله صاحبه ويهزه إعجابا به .

(١) نسبهما أبو هلال فى الصناعتين صفحة ٥٦ ، وأبو الفرج فى الأغانى فى ترجمة عمر بن أبى ربيعة إلى جنادة العذرى مع غيرها ، انظر صفحة ٧٢ جزء ١ . ونسبهما الصفدى فى شرح اللامية إلى الفزارى ، (انظر صفحة ١٤١ جزء ٢) وزاد عليهما بيتاً ثالثاً وهو :

ولَوْ تَمُوتُ لراعَتْنِى وقلتُ لَهَا يا بُؤْسَ للموتِ لَيْتَ الدَّهْرَ أبقاها

(٢) هذا معنى شاذ ركيك وهو شبيه بحماقة ديك الجن ، إذ قتل جاريتَه وغلامَه من الغيرة ، وكان يهواهما وأحرق جسديهما وخلط رمادهما بدميهما وصنع من عجين ذلك برنيتين للخمر ، فكان يضعهما فى مجلس شرابه يمينا وشمالا ، وينشد فى جاريته قوله :

يا طَلْعَةً طلعَ الحِمَامُ عَلَيْها وجَنَى لَهَا ثَمَرَ الرَّدَى بِيَدَيْها
رَوَّيْتُ من دَمِهَا الثَّرَى ولَطَالَمَا رَوَّى الهَوَى شَفَتَيَّ من شَفَتَيْها

وينشد فى الغلام قوله :

وقتلتُـــه وبه علىَّ كرامةٌ فلِىَ الحشا ولَهُ الفُؤَادُ بأسره
عَهْدِى به مَيْتاً كأَحْسَنِ نَائِمٍ والحُزْنُ يُسْفِحُ دَمْعَتِى فى نَحْرِه

فهذا ضرب من أفعال الجنون .

(٣) قال ابن خالويه ليس فى كلام العرب فعل يفعل (بفتح العين فى الماضى والمضارع) =

* وأنشد له في المختار صفحة ٢٨٥ :

إنّ الطبيبَ بِطبِّه ودَوَائه لا يستطيعُ دِفَاعَ مَقْدُورٍ أتَى
ما للطبيب يمــوتُ بالداء الذى قد كان يُبْرِى مثلَه فيما مَضَى
إلاّ لأنّ الخلق يَحْكُمُ فيهم من لا يُرَدُّ ولا يُجَاوَزُ ما قَضَى

* وأنشد له في المختار صفحة ٦٦ والشريشى في شرح المقامات جزء ١ صفحة ٢٧٣ ، واقتصر في المختار على البيتين الأخيرين ، وذكر الأربعة الشريشى إلا أنه قدم البيت الرابع ثالثاً والعكس :

كأنها يوم رَاحَتْ في مَحَاسِنِها فارْتَجَّ أسفَلُها واهتَزَّ أعلاَهَا
حَوْرَاءُ جاءت من الفِرْدَوْس مُقْبِلَةً فالشمسُ طَلْعَتُها والمِسْكُ رَيَّاهَا
مِنَ اللَّوَاتى اكتَسَتْ قَدّاً وشَقَّ لها من ثوبِهِ الحسنُ سِرْبالاً فَرَدَّاها(١)
رَاحَتْ ولم تُعْطِهِ بِرّاً لِلَوْعَتِه مِنْها ولو سَألَتْه النَّفسَ أعطاها

= مما ليس فيه حرف الحلق عينا ولا لاما إلا عشرة أحرف ، أبى : وقلبى ، وسلا ، وجبا (الماء جمعه فى الحوض) وخظا (سَمِنَ) ، وعضضت ، وبضضت ، وقنط ، وغسق ، الليل ، وركن ، ولم يذكر سيبويه إلا أبى لأنه متفق عليه ، ولذلك اقتصر على استثنائه بعض كتب التصريف والبقية مختلف فيها . ومعنى هذين البيتين من المعانى الشاذة بإفراط ويشبه أن يكون جنونا .

(١) اللواتى جمع اللاتى الذى هو جمع التى اسم موصول لجماعة النساء كالمواضى جمع الماضى . وردّاها : ألبسها الرداء

رفع أ. علاء الدين شوقى أسكنه الله الفردوس